الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة

كلية أصول الدين والحضارة والشريعة الإسلامية

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

الموضوع:

النبوة
بين الفلاسفة والمتكلمين

بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير

إعداد الطالب :

السعيد رحماني

تحت إشراف :

د. بشير بوجنانة

السنة الجامعية 1999 / 2000

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهداء

إلى والدتي ووالدي

إلى معلمي الأول عمار رحماني البلعيدي معلم القرآن بقريتنا

إلى الشيخ محمد الغزالي رحمة الله عليه

إلى الدكتور عمار طالبي أول عميد لجامعة الأمير عبد القادر

وإلى أستاذي الدكتور بشير بوجنانة

أهدي هذا الجهد المتواضع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وتقدير

إذا كان هناك من يستحق الشكر بعد الله تعالى في هذا البحث
فإنه أستاذي الدكتور بشير بوجنانة الذي تكرم علي بالإشراف
على البحث وأفادني بتوجيهات في غاية الأهمية،
ثم أشكر الأخ محمد طويجن عامل بمكتبة الجامعة
ثم الأستاذ كمال زراد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المقدّمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى اله وصحبه أجمعين وبعد:

تتبوأ النبوة موقعا مركزيا في مجموع بنية العقيدة الإسلامية، فهي أساس الإسلام، فإثباتها إثبات له، وإنكارها إنكار له، كما أن مصدر الأحكام الشرعية وحقائق ومفاهيم العقيدة هو الوحي الإلهي الذي يأتي عن طريق الأنبياء والرسل، ونتيجة لهذا الموقع الهام الذي تحتله النبوة واجهت تحديات كثيرة منها ما هو قديم ومنها ما هو حديث معاصر.

أما قديما فقد أثيرت مشكلة الوحي منذ أن بدأ النبي ﷺ دعوته فكفار قريش ويهود الجزيرة وقياصرة الروم وكياسرة الفرس استكثروا على محمد أن ينزل عليه وحي من السماء، وكثيرا ما كان كفار مكة يتهكمون عليه بترديد جملتهم التهكمية المشهورة هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء واستعصى عليه كل البعد أن يتصل بالملك، وبالغوا في الإنكار والتهكم حتى وصفوه بالكذب والسحر والكهانة وعزوا إليه قوى خفية لا حصر لها تزوده بما يدعيه من الوحي والمعارف والآيات، ومسألة النبوة كانت منذ عهد الباقلاني تؤلف جزءا هاما من المصنفات الكلامية.

وأما التحديات المعاصرة فهي كثيرة، منها إنكار النبوة بعامة ونبوة محمد ﷺ بخاصة، ومنها القول بتواصل الوحي بعده ممثلا في مسائل الرجعة والمهدية وعصمة الأئمة، ومنها القول بعدم صلاحية النبوة للحياة المعاصرة، والتشكيك في شخص الرسول وفي نسبة الوحي الذي جاء به.

ولعل أهم ما يطرح اليوم على النبوة من تحديات هو إنكار الحاجة إليها وادعاء كفاية العقل وحده، ومحاولة الإستدلال على عدم صلاحية الإسلام كمشروع لمجتمع ونظام للحياة الإنسانية وعلى عدم صلاحية التشريع الإسلامي وقدرته على إيجاد الحلول المناسبة لمشاكل البشرية وعدم مسايرة الفكر الإسلامي وأصول الشريعة للتطور الذي حققته البشرية في مختلف المجالات كالعلوم والتكنولوجيا والإتصال والتشريع والقانون والحقوق السياسية والمدنية والفن والفلسفة، فمسألة قدرة الإسلام على مواجهة المدنية الحديثة أثارها

وزير الخارجية الفرنسي غابريال هانوتو سنة 1900 في مقال بعنوان وجها لوجه مع الإسلام وهي مشكلة مازالت تثار وتشغل بال المفكرين المسلمين، بل لا يزال هناك من يردد مقولة المشركين في مكة فينسب الوحي إلى شخص الرسول وينكر علاقته بالسماء ويطعن في شخصه ويشكك في بعض جوانب حياته، وأكثر الذين ينكرون الوحي والنبوة يقولون بأن العقل وحده قادر على حل مشكلات البشرية ولا حاجة إلى الوحي والدين، وكل يوم يخرجون مؤلفات وكتب يدافعون من خلالها عن أرائهم، ويقود هذه الحملة المستشرقون وأتباعهم من المتغربين المنهزمين حضاريا.

إن هذه التحديات تجعل البحث في موضوع النبوة أمرا حيويا ومهما للدفاع عن العقيدة الإسلامية كما أن حاجة البشرية إلى من يأخذ بها إلى الطريق المستقيم تبدو ملحّة اليوم أكثر من أي وقت مضى، فبعد التطور المذهل الذي حققه الإنسان في كافة المجالات المعرفية، جرب من خلال ذلك كل النظريات والمذاهب الفلسفية العقلية المثالية والتجريبية المادية، فتبين العجز الكبير في حل أهم وأعقد المشكلات الإنسانية، الروحية والأخلاقية والتشريعية والأسرية.

فمن ناحية القيم والأخلاق تعاني البشرية إفلاسا كبيرا، فانتشرت الإباحية والخلاعة والمخدرات والخمور بشكل باتت تهدد كيان المجتمعات الغربية بالدمار والخراب. فانحلت الرّوابط الأسرية وانهارت وفقدت الأجيال المحضن الطبيعي الذي يزود الأبناء بالتربية الصحيحة والقيم الأخلاقية. ومن الناحية الروحية يعاني الناس فراغا كبيرا جعلهم يصابون بأمراض نفسية وعصبية لا يجدون سبيلا إلى مقاومتها إلا بالمهدئات والمخدرات وفي أحيان كثيرة يلجؤون إلى الإنتحار كما هو حال نجوم السنما والفن، ولعل أخر ما ينذر بالخطر ظهور بعض الطوائف الدينية تدعو إلى الإنتحار الجماعي، هذا الوضع الخطير جعل أعلام الغرب وفلاسفة الحضارة والعلم والأخلاق وحكماء الأديان يطلقون صيحات التحذير ويلحون على مراجعة المواريث والقيم الروحية لهذه الأمم، ومنهم من دعا صراحة إلى الرجوع إلى الدين والإقتداء بالأنبياء وعلى وجه الخصوص النبي محمد ﷺ فصاحب كتاب العظماء المائة الأولى في العالم وجدا نفسه مضطرا إلى وضع محمد على رأس هذه القائمة، وألكونت دونوي في كتابه مصر الإنسان دعا الغرب إلى ترك الإلحاد والعودة إلى الإيمان، والكسيس كاريل في كتابه الإنسان ذلك المجهول دعا إلى مراجعة

كل المعارف المتعلقة بالإنسان والإعتماد على مصدر آخر للمعرفة غير العقل، وكذلك موريس بوكاي في كتابه الإنجيل والقرآن والعلم، وأما حكماء الأديان فمنهم رجاء غارودي ومراد هوفمان الوزير الألماني السابق وعلي عزت بيڤوفيتش في كتابه الأخير الإسلام بين الشرق والغرب دعا الشرق والغرب إلى تبني الإسلام كحل لمشكلات الإنسانية المعاصرة وقد عده البعض من أهم ما كتب في دعوة البشرية إلى العودة إلى الوحي والنبوة.

إزاء هذا الواقع الذي تعيشه البشرية، وهذا التحدي الذي يوجه النبوة نتساءل: ما مركز النبوة والأنبياء في هذه الحياة التي تعتمد في إستقاء معلوماتها وقضاء أغراضها غالبا على الحواس الإنسانية والعقل الموهوب؟

وهل تجد فيه الكفاية والغنى والأمانة والوفاء؟ أم لا؟

وما هي ميزة الأنبياء بين جماعات العلماء وطوائف الحكماء والعقلاء؟

وهل يمكن مواجهة التحد ات التي تطرح على النبوة بالرجوع إلى الوحي الإلهي وإلى الإسلام ؟

وما هي مجالات الحاجة إلى النبوة والوحي؟

وهل بإمكان البشرية أن تتجاوز حقائق الوحي الإلهي؟

أم أنها ستظل تحتاج إليها في أهم وأخطر مجالات المعرفة كمعرفة الألوهية، والإخلاف والقيم الروحية، والحياة الإجتماعية؟

وما هي الدلائل التي يمكن أن تستند عليها النبوة في هذا الخصم؟

ذلك ما سنحاول الإجابة عنه بهذه الدراسة.

أغراض الدراسة : أما أغراض الدراسة فهي :

1. بيان الحاجة إلى النبوة ومبررات ذلك في ظل الوضع المتأزم الذي تعيشه المجتمعات المعاصرة ومحاولة ربط تعاليم النبوة بالحياة.

2. بيان كفاية أو عدم كفاية العقل البشري كمصدر للمعرفة الإنسانية وحاجته أو عدمها إلى الوحي الإلهي.

3. المساهمة في الرد على التحديات التي تطرح على العقيدة الإسلامية بالتركيز على الطعن في النبوة ومحاولة النيل منها بتشكيك المسلمين في مصدر دينهم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

4. الكشف عن بعض جوانب الفكر الإسلامي الأصيلة والمهمة في موضوع النبوة والمساهمة في تأصيل هذا الجانب، وذلك بعرض بعض ما كتبه المتكلمون والفلاسفة عن النبوة قديما والإنطلاق منه كقاعدة وأساس لبيان إستمرارية وتواصل الحاجة إلى النبوة، في كل المراحل التاريخية.

5. إبراز أن الوحي والنبوة هي أقوى وأعلى مصادر المعرفة في الفكر الإسلامي.

6. إظهار أدلة جديدة لرد التحديات التي تواجه النبوة وذلك بالإستفادة من الكشوف العلمية وفلسفة العلم ومن الفكر المعاصر.

الأسبـــاب :

هناك أسباب موضوعيـة دعت إلى إختيار هذا البحث ألخصها في النقاط التالية:

1. تجدد موضوعات العقيدة الإسلامية ومنها على الخصوص موضوع النبوة وحاجتنا الدائمة والملحة إليها مما يعني وجود الحاجة إلى دراسة جديدة وبيان يناسب العصر.

2. ظهور تحديات وتقولات كثيرة على النبوة ومحاولة النيل من عقيدة الإسلام بالإنقاص من قيمة الوحي والنبوة مما يعني ضرورة القيام بمثل هذه الدراسات والبحوث.

3. إضافة مساهمة جديدة إلى ما كتب في موضوعات العقيدة الإسلامية في ظل الحركة الفكرية التي تشهدها الساحة.

4. إثارة موضوع النبوة ولفت الإنتباه إلى نوع التحديات التي تطرح اليوم عليها.

وهناك سبب أخر ذاتي يرجع إلى إهتمامي الخاص بموضوعات العقيدة الإسلامية وبخاصة النبوة وقناعتي الراسخة بأن إعادة صياغة موضوعات العقيدة الاسلامية صياغة جديدة يمكن أن يحدث حركة إيجابية في حياة المسلم المعاصر الذي يعاني تشوشا وإضطرابا فكريا بسبب الجدل الذي طبع أسلوب علم الكلام وعرض العقيدة في السابق.

المصادر والمراجع :

لقد اعتمدت في هذا البحث على مصادر قديمة وحديثة، فالكتب القديمة أغلبها يتعرض لموضوع النبوة تعرضا جزئيا فبعضها يكتفي بتعريف النبوة والوحي وذكر أنواع المعجزات وبعضها يتعرض لأوجه الحاجة إليها فقط، كما فعل الماتريدي في كتاب التوحيد، ولانجد من أفرد النبوة ببحث مستقل إلا القاضي عبد الجبار الذي ألف كتابا سماه تثبيت دلائل النبوة، لكنه ركز الحديث كله على الرد على النصارى، وهو ذو باع طويل في هذا، فكتابه عبارة عن عرض واستقصاء لكل ما يقوله النصاري من اعتراضات وطعن في النبوة في ذلك الوقت ثم يقوم بالرد عليها من خلال أيات القران وإبراز خصائص النبي ﷺ .

وأما الفلاسفة فإنهم تكلموا عن النبوة من خلال محاولاتهم التقريب بين الدين والفلسفة مما جعلهم يعتبرون النبوة ظاهرة طبيعية والمعجزات ليست أمرا خارقا للعادة وإنما نتيجة عوامل ذاتية ترجع إلى نفس النبي وقواها.

وأما المراجع الحديثة فقد بعضا منها بعنوان النبوة لكنها تختلف من حيث الغرض ومن حيث طرحها للموضوع فعلى سبيل المثال كتاب النبوة والأنبياء للصابوني كتاب عام موجه للوعظ والإرشاد اعتمد فيه صاحبه على سرد قصص الأنبياء سردا تاريخيا محاولا استخلاص بعض الدروس والعبر منها. وكتاب على عيد الفتاح المغربي النبوة والأنياء في الفكر الإسلامي في معظمة تأريخ للنبوة، وأما كتاب الندوى النبوة والأنبياء في ضوء القرآن فقد ركز فيه مؤلفه على إبراز أهمية البعثة النبوية وعظمتها ومأثرها وختم النبوة.

الصعوبات :

من المتوقع لدى كل باحث أن تعترضه صعوبات أثناء إعداد البحث ومما اعترضني منها ما يلي:

أ. **سعة الموضوع وثقله وضيق مجال الإتيان بالجديد فيه.**

2. تغير الأساتذة المشرفين عدة مرات وذلك أني كلما سجلت الموضوع مع أستاذ من المشارقة وأعددت الخطة وشرعت في البحث ينقطع المشرف عند الإجازة الصيفية عن التدريس فاضطر إلى تغيير الخطة مع المشرق الجديد مما تسبب في تعطل البحث.

3. قلة المراجع، فأغلب الكتب القديمة في علم الكلام والفلسفة الإسلامية طبعت طبعات قديمة فهي إما نادرة وإما نافذة وإما أغلبها ضاع من المكاتب الجامعية كما هو الحال في مكتبة جامعة عين الباي، أما مكتبة جامعة الأمير فهي حديثة وفقيرة إلى المراجع والمصادر القديمة خاصة في علم الكلام والفلسفة.

4. إنعدام الأمن ولعل هذا من أهم العوائق التي واجهتني مما صعب التنقل إلى المدن والمكتبات.

ومع ذلك فقد تنقلت إلى عدة مناطق من الوطن وحتى إلى تونس مرات عديدة، وأشير إلى أن أهم مكتبة وجدت فيها مراجع هامة جدا هي مكتبة المركز الثقافي بمدينة الحجار بعنابة.

5. إنقطاعي عن البحث من عام 1994 إلى عام 1996م بسبب تجندي في الخدمة الوطنية.

المنهج المتبع في الدراسة:

اعتمدت في البحث المنهج التحليلي المقارن فقمت بعرض أقوال الفلاسفة والمتكلمين وتحليلها ثم مقارنتها للوصول إلى النتيجة، كما أعتمدت المنهج الوصفي أيضا في الفصل الرابع خاصة.

مخطط الدراسة:

وقد قسمت الموضوع إلى تمهيد وأربعة فصول، ففي التمهيد تكلمت عن أهم ما يتميز به الإنسان وهو العقل والإستعداد للمعرفة والإكتساب العلمي، وعن أنواع المعرفة العقلية ومصادرها وحدود هذه المعرفة والعوامل التي تؤثر على العقل.

وفي الفصل الأول تكلمت عن بعض المفاهيم الأساسية للنبوة كمفهوم الوحي سواء من حيث اللغة أو الإصطلاح أو من حيث تعريف الفلاسفة والمتكلمين له، والفرق بين النبي والرسول.

وبحثت في الفصل الثاني أوجه الحاجة إلى النبوة والرسالة وبينت الحكمة من إرسال الرسل عند كل من الفلاسفة والمتكلمين ثم تكلمت عن النبوة بين من يقول بأنها مكتسبة ومن يقول بأنها منحة إلهية.

وأما في الفصل الثالث فقد عرضت لأهم صفات الرسل وعلاقتها بالنبي وبالوحي وذلك عند الفلاسفة والمتكلمين، ثم أفردت صفة العصمة بمبحث مستقل لكونها من أهم الصفات وأكثرها إتصالا بالوحي.

وفي الفصل الرابع والأخير بحثت أدلة النبوة مبينا أهم الدلائل التي يقدمها النبي لإقناع الإتباع وإفحام الخصوص مع تركيز الحديث على أهم الأدلة وهي المعجزات بنوعيها الحسي والعقلي، وعلى أهم معجزات محمد باعتباره خاتم الأنبياء والمرسلين.

وفي الخاتمة أشرت إلى أهم ما يمكن إستخلاصه من البحث في موضوع النبوة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التمهيد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

العقل والمعرفة

1. طبيعة الإنسان :
   أ. إزدواجية التكوين والطبيعة
   ب. الإستعداد للمعرفة والقدرة على التعلم
2. مفهوم العقل :
   أ. العقل في اللغة
   ب. العقل في الإصطلاح
3. مصدر المعرفة الإنسانية :
   أ. النظرية اللاأفلاطونية
   ب. المذهب العقلي
   ج. المذهب التجريبي
4. حدود المعرفة العقلية
5. العوامل التي تؤثر على العقل :
   أ. العجلة والهوى
   ب. إرتباط العقل بالحواس والزمان والمكان
6. نسبية المعرفة العقلية
7. العقل والوحي

جامعة الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

العقل والمعرفة

1. طبيعة الإنسان :

الإنسان خلقه الله تعالى في هذا الكون وميزه عن سائر الموجودات الأخرى من الجمادات والحيوانات بمميزات منها :

أ. إزدواجية التكوين والطبيعة :

فالإنسان في طبيعته التكوينية يجمع بين عنصرين عنصر المادة – الطين– وعنصر الروح، فهو جسد وروح وعقل فقد خلقه الله تعالى في المرحلة التكوينية الأولى من قبضة الطين ثم نفخ فيه من روحه فاستوى بشرا سويا في المرحلة الثانية فشهد بذلك الحدث الكون ميلاد مخلوق جديد هو الإنسان « فقد استجمع في تكوينه العناصر التي تتكون منها سائر الموجودات الأخرى والتي ترجع إلى عنصرين أساسين عنصر الروح والعقل وعنصر المادة والتراب»[1] وهو ما أكده الخطاب الإلهي في إعلان خلق آدم إذ قال تعالى:﴿ وإذ قال ربك للملائكة إن خالق بشرا من صلصال من حماء مسنون فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾[2] فهذه هي الميزة الأولى التي ميز الله بها الإنسان.

ب. الإستعداد للمعرفة والقدرة على التعلم :

قد بين الله تعالى في القرآن الكريم كما رأينا في الآية السابقة كيف خلق الإنسان، وتضمن ذلك تقرير مكانته في الكون والطاقات الروحية والنفسية والعقلية التي زود بها، ولعل من أهم ما يميز به الإنسان من بين سائر الموجودات الإستعداد للمعرفة النامية المتجددة، فهو وحده على الأرض الذي يستطيع أن يتعلم ويكتسب المعارف المختلفة، فباستطاعته أن ينمي معارفه ويكتشف ما حوله ويطور وسائله وأساليب حياته وطرائق بحثه فهو « مستخلف في الأرض مزود بخصائص الخلافة، وأولى هذه الخصائص الإستعداد للمعرفة، وللمعرفة النامية المتجددة، ومجهز

---

[1]. عبد المجيد النجار: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي، ص22

[2]. سورة الحجر. الآية 26

لإستقبال المؤثرات الكونية »[3] فالإنسان هو وحده القادر على ملاحظة الطبيعة وعلى الإختبار واستخلاص القوانين والنسب واكتشاف العلاقات وقراءة النصوص وتحليلها. وفك الرموز التاريخية وإسترجاع الماضي وقد أكد القرآن الكريم قطبية الإنسان للكون على مستوى آخر هو المستوى المعرفي وتتمثل هذه القطبية فيما خص به الإنسان من قدرة على الإستعاب المعرفي للكائنات فهو مهيأ بوسائله الإدراكية لأن ينقل العالم الخارجي في صورته الكمية والكيفية إلى عالمه الداخلي فيصبح هذا الكائن يحمل في ذاته ذلك العالم الكبير»[4] وإستطاع الإنسان بهذه المواهب الإلهية الربانية التعرف على نواميس الكون يقول محمد فتحي عثمان:« ونتيجة لما وهب الله هذا الإنسان من قدرات نفسية وعقلية إستطاع أن تيعرف على النواميس والقوى الكونية ويستخدمها»[5].

ومعارف الإنسان يستمدها من مصادر متعددة، فهنها ما يستمدها من التأملات الفلسفية العقلية المجردة وتسمى هذه المعرفة بالمعرفة الفلسفية أو المعرفة العقلية، وإما أن يستمد معارفه من المحسوسات والموجودات المادية التي تقع تحت طائلة الحواس وتسمى المعرفة العلمية أو التجريبية، وإما أن يستمدها من نصوص الوحي الإلهي الذي يتلقاه الرسل عن طريق الملائكة.

والوسيلة التي يدرك بها الإنسان معرفه ويتلاقاه هو عقله، فبه ينظر في الكون ويتأمل في الوجود، وبواسطته تتوجه الحواس إلى الموجودات والمحسوسات وبه يقرأ الإنسان نصوص الوحي ويفهمها، فهو الأداة المعرفية للكائن البشري.

فما هو العقل وما هي حدود المعرفة العقلية؟، وهل هناك عوامل تؤثر في هذه المعرفة ؟

2. مفهوم العقل :

العقل هو وسيلة الإدراك والتميز وأداة الحكم على الأشياء وهو مناط التكليف في الشريعة الإسلامية، وهو القوة المميزة في الإنسان التي تعرفه بالأشياء، فهو

---

3. سيد قطب: مقومات التصور الإسلامي، ص266
4. عبد المجيد النجار: المرجع السابق ص23
5. محمد فتحي عثمان: القيم الحضارية في رسالة الإسلام/ ص56

قوة كاشفة وموجهة في الإنسان، فإذا فقد الإنسان عقله فقد إنسانيته وصار مجنونا لا اعتبار له في الحياة العملية والعلمية، وفيما يلي سأعرف العقل في معنييه:

أ. العقل في اللغة:

كلمة العقل من ناحية اللغة مشتقة من عقل بمعنى ربط وثاقه ليحفظه عن الإفلات، « ويطلق العرب العقل على ما يحفظ الإنسان من موجبات الردى »[6] وإلى هذا أشار الراغب بقوله:« العقل في اللغة يقال للقوة المهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة وأصل العقل الإمساك، والإستمساك تعقل البعير بالعقال وعقل الدواء البطن. وعقلت المرأة شعرها وعقل لسانه كفه ومنه قيل للحصن معقل والعقل الحراسة والمنع»[7].

ب. العقل إصطلاحا :

نحاول فيما يلي أن نتعرف على مدلول كلمة العقل من خلال أقوال بعض العلماء والفلاسفة ونبدأ بتعريف النجار للعقل إذ يقول فيه:« إن العقل الذي نعنيه في مجال حديثنا هو تلك القوة المعيارية في الإنسان، التي على أساسها حمل أمانة الخلافة، والتي على أساسها خوطب بالوحي ليتحمله فهما وتطبيقا »[8].

ويعرفه العقاد بقوله :« العقل في مدلول لفظه العام ملكة يناط بها الوازع الأخلاقي أو المنع عن المحضور والمنكر، ومن هنا كان اشتقاقه من مادة عقل التي يؤخذ منها العقل، وتكاد شهرة العقل بهذه التسمية أن تتوارد في اللغات الإنسانية الكبرى التي يتكلم بها الملايين من البشر »[9]. وأما الباقلاني، فيشير إلى مفهوم العقل بقوله:« العقل هو العلم بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات ومجاري العادات»[10]. وفي نفس السياق يأتي الماتريدي الذي يقول: « هو الذي يجمع بين المجتمع ويفرق بين الذي حقه التفريق وهو الذي سمته الحكماء العالم الصغير »[11].

---

6. محمد تقي المدرسي: المنطق الإسلامي أصوله ومناهجه، ص144
7. الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص342
8. عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل، ص.58
9. عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية، ص8
10. الإيجي: المواقف 79/2
11. الماتريدي: كتاب التوحيد، ص5

وأما القاضي عبد الجبار فاعتبر العقل عبارة عن جملة من المعارف والعلوم التي متى حصلت للمكلف استطاع النظر والإستدلال والقيام بالوجبات والتكاليف »[12]. وعرفه الكندي تعريفا موجزا يفيد معنى إدراك الأشياء ومعرفتها على حقيقتها فقال: « العقل جوهر بسيط مدرك للأشياء بحقائقها »[13]. وأما الأمير عبد القادر الجزائري فيرى أن العقل أمر لا يطلب له حد واحد لأنه إسم يطلق بالإشتراك على عدة معان وشبهه بالعين فهو لفظ يطلق على معاني كثيرة، وقسم العقل في تعريفه إلى أربعة فقال:«الحق الكاشف للغطاء أن العقل إسم يطلق بالإشتراك على أربعة معان:

فالأول: الوصف الذي يفارق به الإنسان سائر البهائم وهو الذي استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية.

الثاني: هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الإثنين أكثر من الواحد وأن الشخص الواحد لا يكون في مكانين

الثالث: علوم تستفاد من التجارب بمجاري الأحوال فإن من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال له عاقل في العادة، فهذا نوع أخر من العلوم يسمى عقلا.

الرابع: أن تنتهي قوة تلك الغريزة إلى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها، فإذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا»[14].

بهذا نجد أن الأمير عبد القادر يجمع العقل من مجموع تلك المعارف التي تنطبع في ذات الطفل فيميز بها الأشياء وفيما يستفيده الإنسان بعد أن يكثر من التجارب في الحياة وفيما يكون عنده من قوة معنوية تمنعه عن الإنغماس في اللذة والفساد وتقهر نزعة الهوى فيه.

وأما الفارابي فقد ذكر في كتابه –رسالة في العقل–، معاني العقل ثم ذكر أقوال من سبقوه فقال:« العقل يقال على أنحاء كثيرة:

1. الشيء الذي به يقول الجمهور في الإنسان أنه عاقل، ويقصدون به جودة الروية في استنباط ما ينبغي أن يؤثر أو يتجنب على الإطلاق.

---

12. حسني زينه: العقل عند المعتزلة، ص32.
13. جعفرال ياسين: فيلسوفان رائدان، ص41
14. الأمير عبد القادر: المقراض الحاد، ص11،12

2. العقل الذي يردده المتكلمون على ألسنتهم فيقولون هذا مما يوجبه العقل أو ينفيه العقل، ويعنون به المشهور في بادىء رأي الجميع فإن بادىء الرأى المشترك عند الجميع أو الأكثر يسمونه العقل »[15].

ثم بعد ذلك يختار تعريفا للعقل يستقيه من كتاب البرهان لأرسطو فيقول:« إن العقل في كتاب البرهان هو قوة النفس التي بها يحصل للإنسان اليقين بالمقدمات الكلية الصادقة الضرورية لا عن قياس أصلا ولا عن فكر بل بالفطرة والطبع»[16].

من خلال ما سبق نخلص إلى أن العقل في الانسان هو قوة معيارية، هذه القوة صادرة عن النفس حسب رأي البعض وصادرة عن القلب والضمير حسب رأي البعض الآخر، وهي تتألف من أمرين الأول قوة فطرية يولد الإنسان مزوداً بها وبها يتميز عن الموجودات الأخرى، والأمر الثاني مايكتسبه الإنسان من معارف وتجارب في الحياة ينمي بها ويوجه القوة الفطرية الأولى التي زود بها ويهذبها فتقوى فيه هذه القوة وتتغلب على قوة الشهوة والهوى.

3. مصدر المعرفة الإنسانية :

تدور حول المعرفة الإنسانية مناقشات فلسفية حادة واحدى تلك المناقشات التي تتناول مصادر المعرفة، وأهم النظريات التي تتحدث عن مصدر المعرفة في الفكر الفلسفي عموما هي:

أ. النظرية الأفلاطونية :

وهي النظرية تقول بأن المعرفة والإدراك عملية استذكار للمعلومات السابقة على اعتبار أن النفس الإنسانية كانت موجودة بصورة مستقلة عن البدن قبل وجوده، ولما كان وجودها هذا متحرر من المادة وقيودها تحررا كاملا أتيح لها الإتصال بعالم الحقائق المجردة عن المادة وأمكنها العلم بها، وحين اضطرت إلى الهبوط من عالمها المجرد للإتصال بالبدن والإرتباط به في دنيا المادة فقدت بسبب ذلك ما كانت تعلمه من تلك المثل والحقائق الثابتة، وذهلت عنها ذهولا تاما. ولكنها تبدأ باسترجاع إدراكاتها عن طريق الإحساس بالمعاني الخاصة بالأشياء كلها ضلال وانعكاسات لتلك

---

15. الفارابي: رسالة في العقل، ص3-4
16. الفارابي: المرجع ذاته، ص8

المثل والحقائق الأزلية الخالدة في العالم الذي كانت تعيش فيه النفس . فالمعرفة بمفهوم هذه النظرية هي قيام الإحساس بعملية إسترجاع واستذكار للتصورات العامة السابقة على الإحساس والموجودة في عالم المثل.

ب. المذهب العقلي :

يرى أتباع هذا المذهب أن أساس العلم هو المعلومات العقلية الأولية، فعليها تقوم المعارف الإنسانية، وبالفكر والتأمل يستنبط الإنسان معارفه النظرية من معارف سابقة، والتفكير هو الجهد الذي يبذله العقل الإنساني في سبيل اكتشاف وتصديق علم جديد من معارفه السابقة، ويتميز أصحاب هذا الإتجاه باعتبارهم العقل مصدرًا للمعرفة الحقيقية التي تتميز بالضرورة والشمول « فإذا كان التجريبيون يعتبرون الحواس أبواب المعرفة، فإن العقليين يردون المعرفة إلى العقل ويرون أنها تمتاز بالضرورة والتعميم، ويراد بالضرورة أن المعرفة العقلية صادقة، وتوجب صدقها ضرورة عقلية، إن أحكامها وقضاياها صادقة على الدوام صدقا ضروريا محتوما إذ لا يمكن أن تصدق مرة وتكذب »[17]. وبما أن العقل البشري واحد في جميع الناس وأنه أحسن الأشياء قسمة بين البشر فإن حقائقه بديهية ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان وهذا ما يقول به العقليون، يقول الدكتور الطويل :« ومن هنا كانت الحقائق البديهية القبلية في كل صورها ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان ولا تختلف باختلاف الظروف والأحوال ودليل العقليين في صحة دعواهم أن هذه المبادىء عامة في الناس جميعا وأن العقل يدركها بمجرد تفتحه من غير ما حاجة لأى تجربة »[18].

وبهذا يكون المقياس الأساسي للتفكير البشري بصورة عامة هو المعارف العقلية الضرورية، فهي الركيزة الأساسية التي لا يستغنى عنها في كل مجال، ويجب أن تقاس صحة كل فكرة وخطئها على ضوئها.

ج. المذهب التجريبي :

وهو القائل بأن التجربة هي المصدر الأول لجميع المعارف البشرية، وهي المحك الذي تقاس عليه فما لا يخضع للتجربة فلا يوثق به، ويستند هذا

---

17. توفيق الطويل: أسس الفلسفة، ص374
18. توفيق الطويل: المرجع ذاته، ص349

المذهب فيما يذهب إليه إلى أن الإنسان حين يكون مجردا عن التجارب بمختلف ألوانها لا يمكن له أن يعرف أية حقيقة من الحقائق مهما كانت واضحة، ولذا يولد الإنسان خاليا من كل فكرة ومعرفة، ويبدأ وعيه وإدراكه بابتداء حياته العملية، ويتسع علمه كلما اتسعت تجاربه ولا وجود لمعارف عقلية ضرورية سابقة على التجربة، فالتجربة هي الأساس الوحيد للحكم الصحيح، وهي المقياس العام في كل مجال من المجالات، وحتى يتوصل إليه العقل لابد من إخضاعه للتجربة للحكم عليه، وقد غالى أتباع المذهب التجريبي في اعتبار المصدر الوحيد للمعرفة هو التجربة وإنكار المعرفة الأولية والفطرة كمصدر للمعرفة، ووجود عقل يفكر، ويلخص الدكتور الطويل طبيعة هذا المذهب بقوله :« وسرعان ما تطور المذهب التجريبي واتخذ صورا شتى كلها على اتفاق في رفض المعرفة الأولية السابقة على كل تجربة، وإنكار الفطرة مصدرا للمعرفة، بل غالى بعض اتباع هذه النزعة الحسية فأنكروا وجود عقل يفكر وأسرفوا في تقدير الحس الخالص مصدرًا للمعرفة، فالعقل يولد صفحة بيضاء ليس فيها نقش سابق على التجربة، إن التجربة هي التي تخط على هذه الصفحة سطورها »[19].

وإذا نظرنا إلى كلا المذهبين نرى أن الوقت الذي يغالي العقليون في أهمية العقل كمصدرٍ للمعرفة وللعلم اليقيني، يغالي أصحاب المذهب الحسي في اعتبار الحس والتجربة مصدرًا يقينيًا للمعرفة الإنسانية.

4. حدود المعرفة العقلية :

الإنسان يتميز عن غيره من الموجودات بالعقل فهو أهم العناصر التي تميزه، فهو مناط التكليف، والقوة التي يدرك بها الإنسان الأشياء، ويتعامل مع حقائق الوجود والعلم والوحي الإلهي، والسؤال هل إدراك العقل له حدود أم مُطلق القدرة الإدراكية، يدرك الأشياء إدراكا كليًا ومطلقا ؟

للإجابة على التساؤل نحاول العودة قليلا إلى تاريخ النهضة الحديثة للإطلاع على بعض إنجازات العقل الإنساني في مجال المعارف المختلفة، لقد أتاحت النهضة الأوروبية الحديثة فرصة عظيمة للبحث العقلي الذي حقق به الإنسان تقدما كبيرا في مختلف الميادين والمجالات المعرفية كميدان التشريع والقانون بمختلف فروعه، وميدان الإقتصاد

---

[19]. توفيق الطويل: المرجع السابق، ص354

بمختلف التخصصات، وميدان علم الإجتماع و علم النفس و علوم الكون و الفضاء، و الطب و الأحياء، ولكن رغم هذا كله نلاحظ أن الذي توصل إليه العقل الإنساني من المعارف و المكتشفات إذا ما قورن بما لم يتوصل إليه لا يعني إلا الشيء القليل، وقد أثار هذه القضية وناقشها بعض كبار فلاسفة العلم في هذا العصر و إذا ما ألقينا نظرة على بعض المجالات يمكن أن ندرك ذلك بسهولة ولنأخذ أمثلة على ذلك ونبدأ بمجال دراسة الإنسان و الطبيعة، لقد قامت دراسات كثيرة في الفكر الحديث وفي الفلسفة الحديثة و المعاصرة عن الإنسان وعن الطبيعة ولكن بعد جهد كبير تجلت بعض الحقائق من أهمها و أكثرها وضوحا أن ما توصل إليه البحث في مجال الدراسات الإنسانية لا يمثل في حقيقة الأمر إلا الشيء القليل مما ينبغي معرفته، فكل الذي توصل إليه الباحثون و الفلاسفة ما هو إلا مجرد خطوات أولى لا تغني ولا تحقق الغرض المطلوب، وقد عبر أحد أكبر الدارسين للإنسان على هذا الرأي، وهذه الحقيقة، وهو الطبيب و الفيلسوف الفرنسي الكسيس كاريل مؤلف كتاب الإنسان ذلك المجهول بقوله: « وأما مجال معرفة الإنسان فواقع الأمر أن جهلنا مطبق، فأغلب الأسئلة التي يلقيها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق غير محدودة في دنيانا الباطنية غير معروفة. إننا مازلنا بعيدين جدا عن معرفة ماهية العلاقات الموجودة بين الهيكل العظمي و العضلات و الأعضاء ووجوه النشاط العقلي و الروحي. ومازلنا نجهل العوامل التي تحدث التوازن العصبي ومقاومة التعب و الكفاح ضد الأمراض إننا لا نعرف كيف يمكن أن يزداد الإحساس الأدبي وقوة الحكم و الجرأة وما هي الأهمية النسبية للنشاط العقلي و الأدبي وكذا الديني وعلينا أن ندرك أن علم الإنسان هو أصعب العلوم جميعا»[20].

وليس الكسيس كاريل وحده الذي يعترف بهذه الحقيقة ويدافع عنها بل إننا نجد عالمين أمريكيين آخرين هما روبرت غروس وجورج ستانسر يذهبان نفس المذهب فقد أكدا في كتابهما العلم في منظوره الجديد هذه الحقيقة بقولهما: « ونفس الشيء إذا ما نقلنا العملية – المعرفة العقلية – إلى مستوى الإنسان وما يتعلق بذاته وحقيقته فإننا نجد أن العقل لا يملك المعطيات المتعلقة بذات الإنسان وحقيقته وبفصول حياته ماضيا وحاضرا

---

20. الكسيس كاريل: الإنسان ذلك المجهول، ص18-22

ومستقبلا إلا النز اليسير، فكيف يكون قادرا على إصابة الحق المطلق في تقدير ما ينبغي أن تكون عليه الحياة فعلا وتركا »[21].

فالعقل البشري إذا له حدود لا يمكن أن يتخطاها في مجال المعرفة فهو عاجز عن معرفة الحقيقة الكاملة في مجال الإنسان وكيانه وهو أقرب إليه، فكيف إذا كان الأمر يتعلق بأمر آخر أعقد وأبعد وهو عالم الغيب وهناك عوامل كثيرة تؤثر على العقل سنذكر منها بعضا فيما يلي :

5. العوامل التي تؤثر على العقل :

العقل الإنساني مرتبط في إدراكه بعوامل كثيرة تؤثر فيه سلبا وإيجابا وتحدد طبيعة المعرفة التي يتوصل إليها فوصوله إلى الحق كشفا وتقديرا ليس متعلقا بمطلق الحركة العقلية على اعتبار أنه بمقتضى كونه عقلا يصل إلى الحقيقة حتما مثلما الوحي الذي يصيب الحق حتما وإنما هو رهين في إصابته الحق بشروط كثيرة وقيود وحدود مختلفة ومتنوعة تمثل كلها عناصر مؤثرة في تحديد دور هذه الوسيلة الإنسانية إلى المعرفة، ومن العوامل التي تؤثر فيه ما يلي :

أ. العجلة والهوى :

العقل الإنساني مركب في جسم إنسان له رغبات وميول وطاقات كثيرة متجددة وتتجاذبه مشاعر وأحاسيس متضاربة فهو محكوم بها ومتأثر بها في معظم الأحيان، ومن النادر أن يتخلص الإنسان من تأثير هذه العوامل، كما أن الإنسان بطبيعة تركيبه ومحدودية عمره يتعجل الأمور ويسعى إلى استباق الزمن مما يعرضه للقفز على بعض الحقائق وتعجل المراحل مما يحد من إدراكه الحقيقة ويصرفه عن الحق، فالإنسان لا يستعمل عقله استعمالا مباشرا للكشف عن الحق بل يسلك طرق النظر والإستدلال والفكر وهو طريق يتصف بالمرحلية والتدرج والترابط، كما أن هذا السبيل تحف به جملة من المخاطر التي تعيقه عن إصابة الحق، من هذه المخاطر العجلة والهوى والألفة والعادات، وقد بين هذا الأمر أحد الباحثين بقوله :« فالعقل ليس وسيلة للكشف المباشر على الحق، بل يسلك إلى الحق طريقا صارما عبر ما يسمى بالنظر أو الفكر، وهذا الطريق يتصف بالمرحلية والترابط، فهو طريق المقايسة والموازنة والإنتقال بين

---

[21]. روبرت غروس وجورج ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، فصل العقل

المقدمات للوصول إلى المجاهيل، وهذا الطريق الدقيق المسالك تحف به جملة من المخاطر التي تهدد بإعاقة العقل عن إصابة الحق، فالإنسان خلق عجولا مما قد يعرضه لتعجل المراحل في النظر العقلي »[22].

هذا عن جانب طبيعة العقل وما ركب عليه الإنسان، أما عن جانب العوامل التي تؤثر على العقل من خارجه والتي تطرأ عليه وهي ما ركب في الإنسان من الإستعداد لاكتساب العادات والألفة فيقول :« وركب على نزعات من الهوى قد تشوش عليه بترتيب تلك المراحل واكتسب في خضم حياته الإجتماعية الإلف والعادة والتقليد والإنشداد إلى موروث الآباء والأجداد مما قد يعوقه عن الإنطلاق في مراحل النظر وكل ذلك يؤول بالعقل إلى الوقوع في الخطأ »[23]. هذه العوامل تفقد الثقة في العقل وفي المعارف العقلية وتفتح المجال للإنسان وأفاقا للبحث عن مصدر اخر للمعرفة أكثر دقة وثقة.

ب. **ارتباط العقل بالحواس والزمان والمكان :**

عمل العقل وحركته مرتبطان بالحس وبالزمان والمكان ففي سبيل الوصول إلى الحق والمعرفة يتحرك الإنسان في معطيات الحس فهو يبدع إنطلاقا من الأشياء التي تقع تحت حواسه الخمس ليدرك ما وراءها من المعقولات المجردة ولولا المعطيات الحسية لما كانت الحركة العقلية .. لأن نقطة انطلاقه هي في أكثر الأحيان ملاحظة حسية إذن مشكوك فيها»[24]، ومعطيات الحس التي ينطلق منها العقل مرتبطة هي الأخرى ومحدودة بالزمان والمكان، ومعطيات الزمان والمكان لا تمكن من معرفة ماهية الأشياء وحقيقتها « ومن المبين أن معطيات الحس محدودة بحدود مادتها وفي ظرف الزمان والمكان، فالحواس تجمع محصولها منهما لتقدمه إلى العقل.

إن معطيات الزمان والمكان تتعلق بالأشياء تعلق بيان إلا من حيث هي آثار وشواهد على ثبوت حقيقتها وعلامات على خصائصها، أما كنه الأشياء وماهيتها فهي أبعد من أن تنالها بالبيان معطيات الزمان والمكان »[25]، وعليه نصل إلى القول أن المعرفة

---

22. عبد المجيد النجار: خلافة الإنسان، ص60
23. عبد المجيد النجار: المرجع ذاته، ص60
24. الكونت دي نوي: مصير الإنسان ، ص24
25. عبد المجيد النجار: المرجع السابق، ص61

العقلية في مجال الأشياء المادية لا يمكن أن يتجاوز نطاق حدود الظواهر والاثار والصفات الظاهرة ولا يمكن أن تصل إلى كنه الأشياء، ولعل هذا الطابع الذي يميز المعرفة العقلية هو الذي دفع بأحد الفلاسفة في هذا العصر إلى القول بوجوب الشك في المعارف العقلية والحذر من المعلومات التي يتوصل إليها الإنسان وفق آليات العقل والفكر فقال :« ويعتقد كثير من الناس خطأ أن هذه الآليات هي قياس وأن الإستدلال المنطقي وبالأحرى الإستدلال الرياضي صحيح في كل الحالات والواقع ليس كذلك، فعلينا أن نقف من تدرج الفكر الإنساني موقفا حذرا لأن نقطة الإنطلاقة هي في أكثر الأحيان ملاحظة حسية، إذن مشكوك فيها أو ملاحظة ترتكز على الذكاء الفطري والحقيقة أن الذكاء الفطري لا يعتمد عليه»[26] فعلينا إذن أن نراعي المعارف العقلية والصور التي تتكون في الدماغ البشري ولا نمنحها ثقة مطلقة ونسلم بها تسليما لأن هذه المعارف والصور تتشكل في الدماغ البشري فهي خاضعة لتركيبه وللجهاز الحسي الذي يصله بالعالم الخارجي والآليات المنطقية التي تنتج المعارف العقلية.

6). نسبية المعرفة العقلية :

وعليه فالمعرفة التي يصل إليها العقل البشري نسبية لأنها محدودة بعاملي الزمان والمكان وبمدى ما تصل إليه حواس الإنسان، وكل هذه الوسائل المحدودة لا تتعدى الإطار المكاني والزماني الذي يعيش فيه الإنسان، فالعقل يتحرك في معطيات الحس ولولاها لما كانت المعارف العقلية وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا في قوله تعالى ﴿صم بكم عمي فهم لا يعقلون﴾[27] يقول أبو الحسن الندوي:« فلو حللت المعقولات كلها تحليلا دقيقا وسمعت قصة رحلة العقل الطريفة والطويلة المدى لعرفت أن وسيلة العقل في اكتشاف العوالم الجدد والغوص في البحار المجهولة إنما هي هذه المحسوسات التي تبدو تافهة حقيرة والمعلومات البدائية التي لولاها ولولا ترتيبها ترتيبا خاصا لما وصل العقل إلى هذه النتائج الخطيرة ذات القيمة الكبيرة »[28]، فالعقل في الإنسان محكوم بظروف كثيرة منها ظروف المادة وظروف الزمان والمكان والحواس، « ولذلك لابد من تصحيح الخطأ الذي ساد الحضارة المعاصرة والذي يقول إن العقل يتصف

---

26. الكونت دي نوي: مصير الإنسان، ص24
27. سورة البقرة، الأية 171
28. أبو الحسن الندوي: بين الدين والمدنية، ص18

بالقدرة على إصابة الحق المطلق »[9]، ولأن العقل يقيم معارفه على القياس المنطقي من خلال إقتراحات وكلمات لخواطر شخصية لا تصل إلى الحقيقة المطلوبة وقد عبر فيليب فرانك عن هذه الصفة التي يتصف بها العقل الإنساني بقوله :« يتألف القياس المنطقي من اقتراحات بكلمات والكلمات هي إشارات لخواطر شخصية ولذلك فإن هذه الخواطر إذا كانت مشوشة وجردت من الأشياء في إهمال فإن البناء الفوقي يفقد تماسكه والنظام الحالي للمنطق يساعد على تثبيت الأخطاء القائمة على الخواطر الشائعة وترسيخها أكثر مما يساعد في البحث عن الحقيقة، لهذا فإن ضرره أكبر من نفعه »[10]، وبما أن العقل بهذه الصفة من المحدودية والتأثر بكل تلك العوامل السابقة فانه يحتاج إلى معين ومساعد يأخذ به إلى طريق معرفة الحقيقة ويوصله إلى الحق، فما هو؟ وما علاقة العقل الإنساني بالوحي الإلهي؟

7: العقل والوحي :

فيما سبق تبين أن العقل الإنساني يحتاج إلى مصدر أخر للمعرفة غير الذي يتوصل إليه بواسطة الحواس والتأمل والإستدلال يمكنه من إدراك حقائق الأشياء بما لا يترك مجالا للخلط والخطأ ويزيل الشك والحيرة والتناقض الذي يطبع المعرفة العقلية الفلسفية، فهل يمكن أن يكون هذا المصدر هو الوحي؟

إن الوحي في مفهومه العام الذي سبق الحديث عنه هو تلك المعارف الكلية التي أوحى الله تعالى بها إلى رسله بواسطة الملائكة يعلم من خلالها الإنسان عن حقائق الألوهية والوجود والخلق والحياة والأخرة والمصير بعد الموت إلخ...، ولا ريب أن الوحي بهذه الصفة يكون هو المصدر الوحيد الذي يملك المواصفات التي تجعله قادرا على إزالة الإشكالات المعرفية في حياة الإنسان، فهو يقدم له معارف كاملة ومطلقة ويقدم للعقل الحقيقة كلها، فعقل الإنسان يحتاج إلى الوحي والشرع ليكشف له حقائق الوجود والحياة والكون والأخرة والألوهية يقول الغزالي:«إعلم أن العقل لن يهتدي إلا بالشرع، والشرع لم يتبين إلا بالعقل، فالعقل كالأساس والشرع كالبناء ولن يغني أساس ما لم يكن بناء ولن يثبت بناء ما لم يكن أساس، فالعقل كالبصر والشرع كالشعاع ولن يغني البصر ما لم يكن شعاع من خارج ولن يغني الشعاع ما لم يكن بصر، فالشرع إذا فقد العقل لم

---

[9]. روبرت غروس وجورج ستانسيو: المرجع السابق، فصل العقل
[10]. فيليب فرانك: فلسفة العلم، ص114

يظهر به شيء وصار ضائعا ضياع الشعاع عند فقد نور البصر، والعقل إذا فقد الشرع عجز عن أكثر الأمور عجز العين عند فقد النور»[31].

فالعقل لا يتوصل بنفسه إلى معرفة كليات الشيء دون جزئياته وهو لا يهدي إلى تفاصيل الشرعيات ولا إلى تفاصيل أحوال الميعاد. وإذا كان الغزالي يقرر أن العقل يحتاج إلى الوحي ولا يمكن أن يستغني عنه وبدونه لا يظهر ولا يفرق ولا يعرف الحق، فإن الإمام محمد عبده يؤكد أن العقل لا يعرف إلا ظواهر بعض الأشياء وعوارضها وهو لا يصل إلى كنه حقيقة ما ويعطي مثالا بالضوء، فيقول:« إذا قدرنا عقل البشر قدره وجدنا غاية ما ينتهي إليه كما له إنما هو الوصول إلى معرفة عوارض بعض الكائنات التي تقع تحت الإدراك الإنساني حسا كان أو وجدانا أو تعقلا، ثم التوصل بذلك إلى معرفة مناشئها وتحصيل كليات لأنواعها والإحاطة ببعض القواعد لعروض ما يعرض لها، والوصول إلى كنه حقيقة ما فمما لا تبلغه قوته لأن اكتناه المركبات إنما هو باكتناه ما تركبت منه وذلك ينتهي إلى البسيط الصرف وهو لا سبيل إلى اكتناهه بالضرورة وغاية ما يمكن عرفانه هو عوارضه وآثاره، خذ أظهر الأشياء وأجلاها كالضوء لم يستطيع ناظر أن يفهم ما هو ولا أن يكتنه معنى الإضاءة نفسه وإنما يعرف من ذلك ما يعرف كل بصير له عينان وعلى هذا القياس »[32].

فالعقل له مجال محدود يعمل فيه هو المحسوس المشاهد أو المقروء الموجود في نصوص الوحي، أما ماعدا ذلك فلا مجال للعقل أن يعمل فيه ولا طاقة له به، فالقرآن أرشد العقل إلى العمل فيما بين أيدي الإنسان من ظواهر الكون وما يمكن النفوذ إليه من وقائعه وبهذا فالعقل يحتاج إلى الوحي أشد ما تكون الحاجة، فهو يحتاج إلى معين ومرشد يستعين به فيرشده في تحديد الأحكام، أحكام الأعمال وتعيين الوجه الصحيح في الإعتقاد بالصفات الإلهية، ومعرفة ما ينبغي أن يعرف من أحوال الآخرة، ولا يكون لهذا المعين سلطان على نفسه حتى يكون من بني جنسه ليفهم منه أو عنه ما يقول.

---

31. أبو حامد الغزالي: معارج القدس في معرفة مدارج النفس، ص57-58
32. محمد عبده: رسالة التوحيد، ص66-67

وإذا لم يجد العقل هذا المعين إتجه إلى الشطط والبعد عن الحقيقة، فالعقل لا يملك أدوات تسمح له بإدراك الحياة الحاضرة في جميع أحوالها ونواحيها فكيف يعرف الحياة الآخرة الغائبة.

كما أن العقل لا يستطيع وحده الوصول إلى معرفة ما فيه سعادة الأمم وما يتحقق به صلاحهم دون مرشد إلهي يرشده إلى الصراط المستقيم. ولهذا فإننا سنبحث في الفصول الآتية من البحث في الوحي والنبوة وحاجة العقل إليها وفي أي المجالات يحتاج العقل إلى الوحي وإلى النبوة، وفي كيفية حصول النبوة وتلقي الوحي، وفي أدلة صدق الرسل والأنبياء وسنبدأ ببيان بعض المفاهيم الأساسية المتعلقة بالنبوة والرسالة، ثم تنتقل بعدها إلى بيان الحاجة إلى النبوة والوحي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

الوحي والنبوة

المبحث الأول: الوحي وأنواعه

1. مفهوم الوحي :

أ. الوحي في اللغة

ب. الوحي إصطلاحا

2. أنواع الوحي :

أ. الوحي القلبي

ب. الوحي التكليمي

ج. الوحي بإرسال الملك :

1. مجيء الملك على صورته الملكية

2. مجيء الملك على حالة غير مرئية

3. مجيء الملك في صورة بشرية

3. الوحي عند المتكلمين :

أ. كيفية الوحي إلى الرسول

4. الوحي عند الفلاسفة :

أ. الوحي عند الفارابي

ب. طريق المعرفة عند الفارابي

ج. الوحي عند ابن سينا

د. كيف يحدث الإتصال بالوحي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني : النبي والرسول

1. مفهوم النبي :

أ. النبي لغة

ب. النبي اصطلاحًا

2. مفهوم الرسول :

أ. الرسول لغة

ب. الرسول اصطلاحًا

3. الفرق بين النبي والرسول :

أ. عند المتكلمين

ب. عند الفلاسفة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
الوحى والنبوة

1. مفهوم الوحي :

من الواضح أن العقل الإنساني يحتاج الى هداية الوحي وإلى إرشاد النبي وفي المباحث التالية سنتكلم عن الوحي وأنواعه وعن النبي والرسول وكيف يتلقى العقل الإنساني الوحي ومن يتلقاه فنبدأ أولا بمفهوم الوحي.

أ. الوحي لغة :

كلمة الوحي في اللغة لها دلالات متعددة من أهمها الإشارة والإلهام والكلام الخفي، يقول إبن منظور: « الوحي: الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك" ويقال وحيت إليه الكلام وأوحيت إليه الكلام وأوحى أي كتب وأوحي إليه بعثه وأوحى إليه ألهمه »[33].

ويقول الفيروز أبادي: الوحي الإشارة والكتابة والمكتوب والرسالة والإلهام والكلام الخفي وكل ما ألقيته إلى غيرك، وأوحى إليه بعثه[34].

ويقول الرازي:"الوحي والكتابة وهو أيضا الإشارة والكتابة والرسالة والإلهام والكلام[35].

ويقول الزمخشري:"وأوحى إليه وأوحيت إذا كلمته بما تخفيه عن غيرك"[36].

وأما الراغب فقال: أصل الوحي الإشارة السريعة[37].

---

33. إبن منظور: لسان العرب المحيط، ج20، ص257-260
34. الزاوي أحمد الطاهر: ترتيب القاموس المحيط، ج4، ص401
35. الرازي مختار الصحاح، ص730
36. الزمخشري: أساس البلاغة، ص494
37. الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص515

فكلمة الوحي تفيد معنى الإعلام دون تقييد، فالإشارة والكتابة والكلام في سرعة وخفاء كلها وسائل إعلام ووحي.

ب. الوحي اصطلاحًا :

الوحي هو إعلام الله تعالى أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم، بما يريد إبلاغه لهم من شرع أوكتاب بالكيفية التي يريدها سبحانه، يقول الزرقاني: « أما الوحي فمعناه في لسان الشرع أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم، ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر »[38].

ويقول أبو بكر الجزائري: « الوحي الإلهي هو ما يوحي به الله تعالى من كلماته الصادقة في إخباره، العادلة في أحكامها، بطريقة من طرق الوحي إلى من يصطفي من الناس »[39].

فالوحي إذن هو أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كلما أراده إطلاعه عليه من ألوان الهداية والعلم وكل ما أراد تبليغه من الشريعة والأحكام، ويكون الوحي إما بالإلهام الغريزي وإما بالإلهام الفطري وإما بالوحي الكلامي المباشر وإما بواسطة الملائكة.

أما الوحي الغريزي فيكون من الله تعالى الى غير العاقل وهو بمعنى الإلهام الغريزي، قال الله تعالى: ﴿ وأوحى ربك الى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ﴾[40].

وأما الوحي الفطري، الى الملائكة فيكون من الله تعالى الى البشر على سبيل الإلهام الفطري الواضح من غير نبوءة كقوله تعالى: ﴿ وأوحينا الى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾[41].

---

38. الزرقاني: مناهل العرفان، ج1، ص63
39. أبوبكر جابر الجزائري: عقيدة المؤمن، ص213
40. سورة النحل: الأية 68
41. سورة القصص: الأية 07

وأما الوحي الى الملائكة فيكون من الله تعالى بطريقة تناسب ملائكيتهم كقوله تعالى: ﴿ إذ يوحي ربك الى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فأضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان ﴾[42].

الوحي الإلهي الى الرسل عليهم الصلاة والسلام ليس على كيفية واحدة وصورة معينة لا تتغير بل على مراتب، وقد أشار إليه القرآن إشارة واضحة ومحددة وذلك في قوله تعالى: ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم ﴾[43] وهذه الأنواع لها صور نلخصها فيما يلي:

2. أنواع الوحي :

أ. **الوحي القلبي** : ويكون بإلقاء المعنى الى قلب الرسول على وجه من العلم الضروري لا يستطيع له النبي دفعا ولا يجد فيه شكا، وهو على صورتين:

الأولى : النفث في الروع هو إلقاء المعنى المراد في قلب الرسول، وقد أشار رسول الله الى مثل هذا في قوله: « إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها واجلها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب »[44]، وهذا الإلقاء يكون من الله تعالى إلى قلب الرسول أو يكون من جبريل عليه السلام مع اليقين القاطع بأن هذا من لدن الله تعالى.

الثانية: الرؤية الصادقة، هي ما يراه النبي في منامه، فقد كان الرسول لا يرى رؤيا إلى جاءت مثل فلق الصبح، أي أن هذه الرؤيا تأتي في واقع الحياة كما رآها في المنام، وهذه الصورة من صور الوحي القلبي أشار إليها عليه السلام إشارة واضحة. فعن عائشة رضي الله عنها قالت:« أول ما بدىء به رسول الله من الوحي، الرؤيا الصادقة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء »[45]، بهذه الكيفية بدأ الوحي ينزل على رسول الله ﷺ.

---

42. سورة الأنفال: الآية 12
43. سورة الأنعام: الآية 112
44. البخاري: صحيح البخاري، ج1، بدء الوحي، باب1، ص4
45. البخاري: المرجع ذاته، ص4

ب. **الوحي التكليمي** : وهو تكليم الله تعالى أنبياءه كلاما مباشرا وهو على صورتين:

الأولى: الكلام المباشر، وهو كلام الله تعالى إلى نبيه دون واسطة من ملك، وقد اختلف فيه هل وقع أم لا، فيرى بعض العلماء أنه وقع للنبي وهو فوق السموات ليلة الإسراء والمعراج من فرض الصلاة وغيرها من الشرائع.

الثانية: الكلام من وراء حجاب، وهو أن يكلم الله نبيه من وراء حجاب، وقد حصل ذلك لموسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾[16].

وقال تعالى:﴿ فلما أتاها نودي من شاطىء الوادي الأيمن من البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ﴾[17].

وقال تعالى:﴿ تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ﴾[18].

فهذه الآيات كلها تشير إلى هذه الصورة من صور الوحي.

ج. **الوحي بإرسال الملك** : وهو أن يرسل الله تعالى ملكا مكلفا بالوحي فيوحي إلى رسوله ﷺ وهذا النوع هو أشهر أنواع الوحي وأكثرها والقرآن الكريم كله من هذا القبيل قال تعالى: ﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾[19].

ووحي الله عن طريق الملك إلى الرسول يكون على ثلاث صور:

1. مجيء الملك على صورته الملائكية :

وفي هذه الحالة يأتي الملك المكلف بالوحي على صورته الملائكية التي خلقه الله عليها فيراه الرسول أو النبي وهذه الحالة وقعت للرسول محمد بن عبد الله في حادثة الإسراء والمعراج قال تعالى:﴿ ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى ما كذب الفؤاد ما رأى،

---

16. سورة النساء: الآية 164
17. سورة القصص: الآية 30
18. سورة البقرة: الآية 30
19. سورة الشعراء: الآية 193

أفتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى ﴾[50]. كان النبي يحدث عن فترة الوحي فقال : « بينما أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرعبت منه فرجعت فقلت زملوني زملوني »[51].

ومن مظاهر وعلامات هذه الحالة « أن تعتريه شدة منشؤها تقريب الطبيعة البشرية إلى الطبيعة الملائكية، فهي انسلاخ من الجسمانية البشرية إلى اتصال بالروحانية الملائكية »[52]. وفي هذه الحالة أيضا يحدث عند قدوم الملك صوت صلصلة مثل صلصلة الجَرَس تنبيها وإيذانا بقدوم الملك وحكمة ذلك أن يفرغ النبي سمعه للوحي فلا يبقى فيه مكان لغيره. فهذه هي الصورة الأولى من صور الوحي إلى النبي.

2. مجيء الملك على حالة غير مرنية :

للملائكة القدرة على التشكل بالأشكال الحسنة الجميلة، وعلى الخفاء، وجبريل سيد الملائكة، كان يأتي رسول الله خفية فلا يرى ولكن يظهر أثر التأثر والتغيير والإنفعال على الرسول فيغط غطيط النائم، ويغيب غيبة كأنها غشية أو إغماء، وهي نوع من الإستغراق في لقاء الملك الروحاني، وانخلاع عن حالته البشرية العادية، فيؤثر ذلك على الجسم فيغط ويثقل ثقلا شديدا قد يتصبب منه الجبين عرقا في اليوم الشديد البرد، وقد يكون وقع الوحي على الرسول كوقع الجرس الذي صلصل في أذن سامعه. وكان الرسول في هذه الصورة من صور الوحي يعي ما يقوله الملك، ويعلم ضروريا أن هذا وحي من الله، فإذا انجلى عنه الملك وجد ما أوحي إليه حاضرا في ذاكرته منتقشا في حافظته كأنما كتب في قلبه، روى البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام سأل رسول الله فقال: « يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال الرسول: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس - وهو أشده عليه -فيَفْصِمُ عني وقد وعيت عنه ما قال »[53]، وهذه الحالة من أحوال الوحي كانت كثيرة الوقوع لرسول الله ﷺ وهي من أشد أنواع الوحي عليه، فقالت عائشة رضي الله

---

50. سورة النجم: الآية 14
51. البخاري: المرجع السابق، ج1، ص4
52. عبدالمجيد هاشم الحسيني: الوحي الإلهي، ص18
53. البخاري: المرجع السابق، ج1، ص4

عنها: « ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا »[54]

3. مجيء الملك في صورة بشرية :

من صور الوحي الملائكي وطرقه أن يتمثل الملك رجلا فيكلم النبي عليه الصلاة والسلام ويعي ما يقوله له وهي صورة مغايرة للصورة التي يأتي فيها الملك على حقيقته، ففيها ينتقل الملك من صورته الملائكية الى الصورة البشرية « كما تمثل الملك في صورة دحية الكلبي »[55] أو في صورة شاب على هيئة حسنة فيراه الحاضرون الجالسون مع النبي دون أن يعلموا أنه ملك ودون أن يعرفوا حقيقته، وليس في هذه الحالة شدة تعتريه ولا ثقل يشعر به وهو أيسر أنواع الوحي على النبي إذ أنه تعود على رؤيته ومعرفته قال رسول الله ﷺ :« وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما أقول »[56] فقد وقع الوحي بهذه الطريقة في حالات منها: مجيء الملك جبريل الى النبي وهو جالس مع أصحابه على هيئة رجل شاب حسن المظهر نظيف الثياب جميل الوجه في غاية الحيوية والنشاط والأدب، فجلس في مجلس العلم بأدب مع الرسول ﷺ ودار بينهما حوار معروف ذكرته كتب السنة.

عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ يوما بارزا للناس فأتاه جبريل فقال:« ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله، وتؤمن بالبعث، قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان، قال: ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » قال: « متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل وسأخبرك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربتها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئا فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم »[57].

---

54. البخاري: صحيح البخاري، ج1، بدء الوحي، باب1، ص4
55. مجلة الجامعة الإسلامية المدينة المنورة، ص48
56. البخاري: المرجع ذاته، ج1، بدء الوحي، باب1، ص4
57. البخاري: المرجع ذاته، باب 37، ص27-28

3. الوحي عند المتكلمين :

لا يختلف المتكلمون كثيرا في تعريف الوحي، فهم يتفقون في معظم عناصر تعريفهم للوحي، فهو يرجع إما الى علم ضروري يخلقه الله في نفس النبي، يعلم به أنه مخاطب من الله تعالى يقينا من غير رؤية أو مشاهدة للمتكلم أو هو ما ينتقش في ذهن النبي من المعاني بواسطة الكلام النفسي ويعبر عنها بألفاظه. وإما هو إتصال الملك إتصالا مباشرا بالرسول بإبلاغه بالوحي وقد يكون هذا الإتصال مصحوبا برؤية الملك وقد يكون غير ذلك، « فالماتريدي يذكر الوحي بمعان مختلفة منها:

النبوة: وهي إرسال الله الملائكة الى أنبيائه ورسله.

الإشارة: ومنها الإلهام كما في قوله تعالى: « وأوحى ربك الى النحل »[58].

والإسرار: كما في قوله تعالى « يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول »[59].

الوحي والإلهام: وإن كان كل منهما يسمى وحيا الا أن الإلهام لا يدري العبد معه كيف حصل له، ومن أين، وأما الوحي فيعلم النبي جهة الوحي »[60].

وأما الشهرستاني فيرى أن الوحي هو كل إتصال سريع يقوم به الملك مع الرسول ويشبه هذا الإتصال بوقع الصورة في المرآة ويمثله بالمنام الصادق يقول: « الوحي كل إتصال بسرعة الى الرسول يتم بواسطة الملك ويكون هذا الإتصال كوقوع الصورة في المرآة وأقرب مثال في ذلك الى المنام الصادق، فالوحي هو إلقاء الشيء الى الشيء بسرعة فكل صورة علمية يقبلها بطرقه الروحانية عن الملائكة الذين هم رسل الله اليه دفعة واحدة، كوقوع الصورة في المرآة فهو وحي »[61].

وأما البغدادي فيذكر عدة صور للوحي: كأن يخاطب الله تعالى الرسول مخاطبة بلا واسطة ويخلق في نفسه العلم الضروري الذي يعلم به أن الذي يخاطبه ربه لا محالة يقول:« أن يخاطبه الله تعالى بلا واسطة ويخلق في قلبه علما ضروريا يعلم به أن الذي يخاطبه ربه لا غير كما خاطب آدم»[62].

---

[58]. سورة النحل: الأية 67

[59]. سورة الأنعام: الأية 112

[60]. علي عبدالفتاح المغربي: النبوة في الفكر الإسلامي، ص80

[61]. الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص465

[62]. البغدادي: أصول الدين، ص156

فالعلم الضروري الذي يجده النبي في نفسه وعقله وقلبه ويكون على يقين من أنه من الله تعالى سواء جاءه هذا العلم بواسطة الملك أو ألقي إليه مباشرة من الوحي، ومن المتكلمين من قال بأن الوحي يتلقفه الملك من الله تلقفا روحانيا يحفظه من اللوح المحفوظ فينزل به الى الرسول فيلقيه عليه.

وهناك من يقول أن جبريل نزل بالمعاني على الرسول ﷺ وهو عبر عنها بلغة العرب بدليل قوله تعالى:﴿ نزل به الروح الأمين على قلبك ﴾[63]. ومنهم من يرى أن الله تعالى ألقى المعنى على جبريل وهو عبر عنه بلغة العرب ثم نزل به على قلب الرسول بهذه الصورة.

طريقة الوحي إلى الرسول ﷺ :

يرى المتكلمون أن للتنزيل أو الوحي طريقتين: إحداهما ينخلع فيها النبي عليه الصلاة والسلام من صورته البشرية ويقترب إلى ملاءمة الطبيعة الملائكية، ثم يأخذ من الملك الوحي، وثانيهما: تمثل الملك بصورته البشرية ثم يأخذ الرسول ﷺ منه الوحي، وهذه الأحوال يمكن أن تقع للرسول ﷺ وقد أشرنا في الحديث عن طرق الوحي إلى الرسول ﷺ إلى هاتين الطريقتين من طرق الوحي، وقد وقع الوحي بهما له،وهذا مفهوم الوحي وطريقته عند المتكلمين.

4. الوحي عند الفلاسفة :

أما إذا نظرنا إلى موقف الفلاسفة الإسلاميين من الوحي فإننا نجد أن فكرتهم تنطلق من محاولة التوفيق بين الدين والفلسفة، ومن نظرية العقول العشرة، والوحي يمثل أحدى طرق الاتصال بالعقل الفعال فالوحي يمثل اتصال النفوس الناطقة البشرية بالعقل الفعال، ويكون الاتصال بواسطة المخيلة.

فالنفس الإنسانية إذا حصل لها تجرد عن البدن إما بالنوم وإما بالرياضة وإما بقوتها في نفسها اتصلت بالنفس الفلكية وانتقش فيها ما في النفس الفلكية من العلم بالحوادث الأرضية ثم ذلك العلم العقلي قد تجربه النفس مجردا، وقد تصوره القوة المخيلة في صور مناسبة له، ثم تلك الصور تنتقش في الحس المشترك، كما أنه إذا أحس أشياء

---

63. سورة **الشعراء**: الآية **193**

بالظاهر ثم تخيلها، فإنها تنتقش في الحس المشترك، فالحس المشترك يرسم فيه ما يوجد من الحواس الظاهرة، وينتقش فيه ما تصوره القوة المتخيلة في الباطن وما يراه الإنسان في منامه والمحرور في حاله مرضه من الصور الباطنية، والنبي هو من له قوة معينة تمكنه من الاتصال بالعقل الفعال، وواضح أن هذه النظرية مستمدة من الفلسفة الأرسطية، وسنتعرض لكيفية الوحي عند الفارابي وابن سينا فيما يلي من الكلام.

أ. الوحي عند الفارابي :

كيف يوحي إلى الإنسان ومن هو الإنسان الذي يوحي إليه؟

إن المعرفة يكتسبها الإنسان بواسطة الاتصال بالعقل الفعال والاتصال بالعقل الفعال يكون نادر الوجود ولا يتم إلا لعظماء الرجال وهو ميسور من طريقين، طريق العقل وطريق المخيلة، أو طريق التأمل وطريق الإلهام، ولكن هل كل إنسان يصل إلى هذه المرتبة ؟ ليست النفوس كلها قادرة على الاتصال، وإنما تسمو إليه الأرواح القدسية التي تستطيع أن تخترق حجب الغيب وتدرك عالم النور، فالإنسان الذي حل فيه العقل الفعال هو الإنسان الذي يوحي إليه وذلك بالاتصال بالعقل الفعال، وقد بين الفارابي هذا بقوله: « الروح القدسية لا تشغلها جهة تحت عن جهة فوق، ولا يستغرق حسها الظاهر حسها الباطن، وقد يتعدى تأثيرها من بدنها إلى أجسام العالم وما فيه وتقبل المعلومات من الروح والملائكة بلا تعليم من الناس »[64].

طرق المعرفة عند الفارابي :

حصول المعرفة عند الفارابي يكون باتصال النبي بالعقل الفعال، ويكون من طريقتين، الطريق الأول هو طريق الفيلسوف : ويتم بالبحث والدراسة والتأمل فبفضل التأملات العقلية يستطيع الإنسان أن يصعد إلى منزلة العقول العشرة، ويترقى إلى درجة العقل المستفاد حيث يتقبل الأنوار الإلهية إلا أنه ليست كل النفوس قادرة على هذا الاتصال وإنما هذه الدرجة خاصة بالأرواح القدسية وهذا العلم هو علم الفلاسفة والحكماء.

الطريق الثاني لاكتساب المعرفة والاتصال بالعقل الفعال : فبالمخيلة والإلهام يتقبل الإنسان المعرفة وهذا حال الأنبياء فكل إلهاماتهم وما ينقلونه إلينا من الوحي أثر من

---

[64]. إبراهيم مدكور: في الفلسفة الإسلامية، ج1، ص37

آثار المخيلة ونتيجة من نتائجها، فقد تصعد المخيلة إلى العالم العلوي وتتصل بالعقل الفعال الذي تتقبل منه الأحكام المتعلقة بالأعمال الجزئية والحوادث الفردية فيكون التنبؤ، يقول الفارابي شارحا ذلك : « إن القوة المتخيلة إذا كانت في إنسان ما قوية كاملة جدا، وكانت المحسوسات الواردة عليها من خارج لا تستولي عليها استلاء يستغرقها بأسرها، ولا يستخدمها للقوة الناطقة، بل كان فيها مع اشتغالها بهذين فضل كثير تفعل به أفعالها التي تخصها وكانت حالها عند اشتغالها بهذين في وقت اليقظة مثل حالها عند تحللها منها وقت النوم، وكثير من هذه التي يعطيها العقل الفعال فتتخيلها القوة المتخيلة بما تحاكيها من المحسوسات المرئية، فإن تلك المتخيلة تعود فترتسم في القوة الحاسة ولا يمتنع إذا بلغت قوة الإنسان المتخيلة نهاية الكمال أن يقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة ويراها فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية وهذا هو أكمل المراتب التي تنتهي إليها القوة المتخيلة والتي يبلغها الإنسان بقوته المتخيلة »[65].

فالتنبؤ يكون بصعود المتخيلة إلى العالم الروحاني واتصالها بالعقل الفعال الذي تتقبل منه الأحكام المتعلقة بالأعمال الجزئية والحوادث الفردية، فالوحي فيض من الله عن طريق العقل الفعال فمن حل فيه العقل الفعال صار في أكمل المراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة ونفسه تكون كاملة يقول الفارابي: « وإذا حصل في كلا جزئي قوته الناطقة وهما النظرية العملية، ثم في قوته المتخيلة، كان هذا الإنسان هو الذي يوحي إليه فيكون الله عز وجل يوحي اليه بتوسط العقل الفعال، فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى الى العقل يفيضه العقل الفعال الى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم الى قوته المتخيلة، فيكون بما يفيض منه الى عقله المنفعل حكيما فيلسوفا ومتعقلا على التمام، وبما يفيض منه الى قوته المتخيلة نبيا منذرا بما سيكون ومخبرا بما كان »[66].

والوحي كما هو واضح من كلامه لا يكون مباشرة من الله تعالى الى النبي وإنما يكون بواسطة العقل الفعال الذي يستوحى من الله تعالى على المعقولات ثم يفيض بها على مخيلة الشخص الذي يوحى إليه.

---

65. الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص114-115
66. الفارابي: المرجع ذاته، ص125

ب. الوحي عند ابن سينا :

إذا نظرنا الى موقف ابن سينا فإننا لا نجده يبتعد كثيرا عن موقف أستاذه الفارابي فلقد تأثر به كثيرا واستوحى الأصول الأولية لنظريته في النبوة من استاذه الفارابي.

فهو يرى أن النفس الإنسانية لديها استعداد للوصول للعقل الفعال إما عن طريق العقل وإما عن طريق المخيلة فهناك من الناس من تستطيع نفوسهم عن طريق المخيلة أثناء النوم الصعود الى العالم العلوي حيث تنتقش الأحداث الماضية والحاضرة والمستقبلة في اللوح المحفوظ فأذا أدركوا هذا أثناء النوم عن طريق مخيلتهم فيحلمون بأشياء كأنها حقائق ملموسة. وهناك أخرون عظمت نفوسهم وقويت مخيلتهم فأدركوا ما في عالم الغيب في حالة اليقظة كما يدركونه في حالة النوم وهؤلاء الأنبياء الواصلون الى مرتبة النور والفرقان وهناك طريقان الى الإتصال بالعقل الفعال:

. طريق الفيلسوف الذي يكتسبه عن طريق مداومة النظر والتأمل العقلي.

. وطريق النبي الذي هو بالفترة وعن طريق صفاء المخيلة وقوتها وشدتها.

كيف يحدث الإتصال بالوحي :

الحقائق منقوشة في العالم العلوي وكل من إتصل به أدركها والمخيلة هي مصدر الصورة الباطينية فإذا إنصرفت عن مشاغلها الحسية أو أقلت أثناء النوم لابد أن تكون لها فلتات تخلص بها الى جانب القدس فينتقش فيها نقش من الغيب وإذا كانت النفس قوية الجواهر، وتستطيع الإستيلاء على الشواغل المختلفة لم يبعد أن يقع لها هذا الخلس والإنتهاز في حال اليقظة ومن وقع له هذا من حيث الفترة فهو من الأنبياء يقول ابن سينا: « ولنفسك أن ينتقش بنقش ذلك العالم بحسب الإستعداد وزوال الحائل قد علمت ذلك فلا تستنكر أن يكون بعض الغيب ينتقش فيها من عالمه »[67].

فالحقائق منقوشة في العالم العلوي وكل من إتصل به أدركها، وأصحاب النفوس الشديدة الصفاء، يشتعلون حدسا فيقبلون من العقل الفعال كل شيء فيوضح ذلك بقوله : « فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمباديء

---

[67]. ابن سينا: الإشارات، ص209

العقلية إلى أن يشتعل حدسا، وأعني قبولا لإلهام العقل الفعال في كل شيء فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء، إما دفعة وإما قريبا من دفعة، ارتساما لا تقليدا بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى، فإن التقليديات في الأمور التي إنما تعرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية »[68].

ويتكلم ابن سينا أيضا عن المعرفة الحدسية وعن اقتباس مثل هذه المعرفة من العقل الفعال وهي نوع من المعرفة الإستدلالية إذ أنها تدرك مباشرة بعض الحقائق المطلقة للعقل وهذه المعرفة يحصلها أصحاب العقل القدسي الذي هو استعداد قوي في بعض الناس يقبلون بمقتضاه المعارف مباشرة من العقل الفعال بنوع من الإلهام إن هذا العقل القدسي هو العقل الهيولاني الذي قبل من العقل الفعال قبل أي تعلم فيض المعقولات الثواني، فهو أعلى مراتب العقول ومن خواص الأنبياء وفي بيان ذلك يقول :« فيمكن أن يكون شخص من الناس مؤيد النفس بشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمباديء العقلية إلى أن يشتعل حدسا، وأعنى قبولا لإلهام العقل الفعال في كل شيء فترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء، إما دفعة وإما قريبا من دفعة، ارتساما لا تقليدا بل بترتيب يشتمل على الحدود الوسطى، فإن التقليديات في الأمور التي إنما تعرف بأسبابها ليست بيقينية عقلية وهذا ضرب من النبوة بل أعلى قوى النبوة والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية »[69]، وبهذا يتبين لنا أن مفهوم الوحي وطرق حصوله عند ابن سينا إنما هو بفيض من العقل الفعال كما هو عند أستاذه الفارابي.

والآن بعد أن تعرضنا لمفهوم الوحي وأنواعه وكيف يكون عند المتكلمين والفلاسفة سنبحث فيما يلي من المباحث بعض المفاهيم المتعلقة بالنبي والرسول باعتبارهما الشخصان اللذان يتلقيان الوحي من الله تعالى كما هو عند المتكلمين أو بفيض العقل الفعال كما هو عند الفلاسفة.

---

68. ابن سينا: المرجع السابق، ص210
69. ألبير نصري نادر: النفس البشرية عند بن سينا، ص68

المبحث الثاني
النبي والرسول

1. مفهوم النبي :

أ. النبوة لغة :

النبوة في اللغة كلمة تدل على معنى السمو والرفعة وعلى معنى الإنباء والإخبار يقول ابن منظور: « نبأ، النبأ: والخبر، والنبي هو من أنبأ عن الله تعالى، والنبوة والنباوة الإرتفاع عن الأرض وأنبأ نبأ والنبأ الصوت الخفي »[70].

ويقول الزمخشري: « نبأ، أتاني نبأ من الأنباء وأنبأت بكذا ونبئت واستنبأته: استخبرته »[71].

وفي القاموس المحيط قال:«نبأ، النبأ: الخبر والنبي المخبر عن الله تعالى. ونبأ، نبأ ونبوءا ارتفع، والنبأ الصوت الخفي»[72].

وقال الراغب في كتاب المفردات: « هو من النبوة: الرفعة وسمي نبئا لرفعة محله عن سائر الناس، النبوة والنباوة: الرفعة والإرتفاع ومنه قيل نبأ فلان مكانه »[73].

فالنبي هو الرفيع القدر والشأن، والنبوة هي الرفعة والسمو وهذا هو المعنى الأول المستفاد من اللغة، وأما المعنى الثاني فهو أن النبوة تعني الأخبار والإنباء عن غائب أوخفي، والنبي هو المخبر بهذا النبأ الغائب والخفي.

ب. النبوة إصطلاحًا :

وأما النبوة في معناها الإصطلاحي فهي وحي الله تعالى إلى انبيائه، والنبي هو من أوحي الله تعالى إليه بكلامه ووحيه وألقاه إليه إما في نفسه مباشرة وإما بواسطة ملك من ملائكته، قال الراغب:« النبوة هي سفارة العبد بين الله وبين خليفته من ذوي العقول، وهي إزالة علل ذوي العقول فيما تقتصر عنه عقولهم من مصالح

---

70. إبن منظور: المرجع السابق، ج3، ص562
71. الزمخشري: المرجع السابق، ص442
72. أحمد الزاوي: المرجع السابق، ج4، ص307
73. الإصفهاني: المرجع السابق، ص503

المعاش والمعاد، وهي سفارة بين الله تعالى وبين ذوي الألباب لإزاحة عللهم فيما يكتاجون من مصالح الداريـــن»[74].

وقال البوطي: « النبوة هي وصول خبر من الله تعالى بطريق الوحي إلى من اختار من عباده لتلقي ذلك »[75]، وقال البغدادي: « النبي من أتاه الوحي من الله تعالى ونزل عليه الملك به »[76]، وقال رشيد رضا: « النبي هو من أوحى الله تعالى إليه وحيا»[77].

فالنبي هو من اختاره الله تعالى من البشر فأوحى إليه ولم يأمره بالتبليغ.

2. مفهوم الرسول :

أ. الرسول لغة :

أما الرسول في اللغة فهو الذي يتابع أخبار الذي بعثه، ويسمى الرسول رسولا لأنه ذو رسالة، والرسول اسم من الرسالة ومن أرسلت وأرسل الشيء أطلقه وأهمله »[78]. وفي القاموس المحيط: « الإرسال الإطلاق والتسليط والإهمال والتوجيه، وتراسلوا: أرسل بعضهم الى بعض »[79] وفي المفردات قال الراغب: « رسل أصل الرسل الإنبعاث على التوءدة »[80]، فالرسول هو من يحمل ويتابع أخبارا ويحملها، فهو مبعوث يحمل كلاما وإخبارا الى غيره ويحمل كلاما فيطلقه الى من أرسل له ويلقيه عليه.

ب. الرسول إصطلاحًا :

الرسول هو من أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتيليغه الى الناس، قال الإيجي: « هو عند أهل الحق من قال له الله تعالى أرسلتك أو بلغهم عني ونحوه من الألفاظ، وهو المقصود بالإصطفاء والمنزلة عند الله تعالى »[81].

---

74. الإصفهاني: كتاب الإعتقادات، ص119
75. البوطي: كبرى اليقينيات، ص183
76. البغدادي: أصول الدين، ص164
77. محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، ص49
78. إبن منظور: المرجع السابق، ج ، ص1165-1166
79. أحمد الزاوي: المرجع السابق، ج3، ص337
80. الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص195
81. الإيجي: كتاب المواقف، ص337

وقال البغدادي: « الرسول هو من تتابع عليه الوحي، وهو من يأتي بشرع على الإبتداء أو ينسخ بعض أحكام شريعة قبله »[82].

وعرفه البوطي بقوله: « هو إنسان أوحى الله تعالى إليه بواسطة جبريل أن يبلغ عامة الناس أو فيئة منهم أمرا من قبل الله تعالى »[83].

وقال الصابوني: « الرسول إنسان من البشر أوحى الله تعالى إليه بشرع وأمره بتبليغه، فالرسالة أعلى من النبوة »[84].

وبناءًا على ما سبق يتبين أن الرسول هو من أوحى الله تعالى إليه بشرع وأوجب عليه تبليغه وتوصيله للناس في المكان الذي يريده وفي الزمان الذي يختاره، ولكن هل يوجد فرق بين النبي والرسول ؟

3. الفرق بين النبي والرسول :

أ. عند المتكلمين :

إذا نظرنا الى تعريفنا السابق للرسول والنبي والى مجمل الأقوال التي ذكرناها يمكن أن نلخص الفرق بين النبي والرسول عند المتكلمين في النقاط التالية:

1. النبي هو من أوحى الله تعالى إليه ولم يؤمر بتبليغ الوحي، وأما الرسول فهو من أوحى الله تعالى إليه وأمره بتبليغ ما أوحى إليه الى الناس.
2. الرسول أنزل الله تعالى عليه شريعة كاملة توجه حياة الإنسان والنبي لم ينزل عليه الله شريعة.
3. النبي أخص من الرسول فالنبوة جزء من الرسالة فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.
4. الرسالة أعلى مرتبة ومنزلة من النبوة، يقول البغدادي: « إن كل من نزل عليه الوحي من الله تعالى على لسان ملك من الملائكة وكان مؤيدا بنوع من الكرامات الناقضة للعادات فهو نبي، ومن حصلت له هذه الصفة وخص أيضا بشرع جديد أو نسخ بعض

---

[82]. البغدادي: المرجع السابق، ص54
[83]. محمد سعيد رمضان البوطي: المرجع السابق، ص184
[84]. محمد علي الصابوني: النبوة والأنبياء، ص15

أحكام شريعة كانت قبله فهو رسول نبي وليس كل نبي رسول »[85]، ويقول الإصفهاني في الفرق بين النبي والرسول : « ومن خاصية الرسول أن تكون له شريعة مخصوصة والنبي لا يختص بشريعة بل يكون مجددا لشريعة من تقدمه »[86].

ب. عند الفلاسفة :

أما الفلاسفة فيفرقون بين النبي والرسول في المسائل التالية :

1. الرسول هو الشارع والذي يأتي بشريعة، والنبي هو الحافظ الذي يحفظ شريعة غيره ويدعو الناس إليها.
2. الرسول يعم البشر والملائكة، أما النبي فلا يعم وإنما هو للبشر فقط.
3. كل رسول نبي ولكن النبي ليس برسول، وهذه الفروق أشار إليها الفارابي في كتاب الملة بقوله: « الفرق بين الرسول والنبي، الرسول الشارع والنبي الحافظ شريعة غيره، والرسول يعم البشر والملك، النبي لا يعم، وكل نبي رسول ولا عكس »[87].

ويقول ابن سينا « الرسول هو المبلغ ما استفاده من الإفاضة المسماة وحيا على عبارة استصوبت ليحصل بأدائه صلاح العالم الحسي والعالم العقلي بالعلم »[88].

وعند التدقيق في هذه الفروق لا نجد فرقا كبيرا بين ما يقوله الفلاسفة وما يقوله المتكلمون في التفريق بين الأنبياء والرسل، إلا أن أهم ما يمكن استخلاصه في هذا الفصل أن الوحي الإلهي عند المتكلمين يكون من الله تعالى إلى الأنبياء والرسل إما بواسطة الملك وإما مباشرة إلى النبي ولا دخل للنبي فيه بأي جهد أو قوة ذاتية أو عامل نفسي.

أما الفلاسفة فيكون الوحي عندهم بفيض عقل فعال إذا حصل استعداد في النفس وقوية المخيلة عند شخص ما فيمكن أن يحدث الإتصال بالعقل الفعال مما يجعل النبوة أمرا ممكنا لكل من توفرت فيه هذه الصفات.

---

85. البغدادي: المرجع السابق، ص342
86. الإصفهاني: الإعتقادات، ص220
87. الفارابي: كتاب الملة، ص74
88. إبن سينا: تسع رسائل في الحكمة، ص124

الفصل الثاني

الحاجة إلى النبوة

المبحث الأول: مجالات الحاجة إلى النبوة

1. المجال المعرفي وعالم الغيب
2. المجال الإجتماعي
3. المتكلمون والحاجة إلى النبوة
   أ. الماتريدي
   ب. الرازي
   ج. محمد عبده
4. الفلاسفة والحاجة إلى النبوة
   أ. الفارابي
   ب. إبن سينا
5. الحاجة إلى النبوة في مجال الأخلاق و
   أ. المذهب الوضعي والأخلاق
   ب. الوحي كمصدر للمعرفة الأخلاقية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثاني: النبوة بين المنحة والإكتساب

1. مصدر النبوة

أ. المتكلمون ومصدر النبوة

ب. الفلاسفة ومصدر النبوة

1. النبوة عند الكندي
2. النبوة عند الفارابي
3. النبوة عند ابن سينا

2. حقيقة النبوة

3. نقد نظرية الفلاسفة في النبوة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول: مجالات الحاجة إلى النبوة

إن العقل الإنساني يحتاج إلى سند ومصدر لمعرفة حقائق الأشياء في مجالات عدة وهذه المجالات يمكن حصرها في الآتي:

1. في المجال المعرفي وعالم الغيب :

ما الذي يجعل العقل يحتاج إلى الوحي في هذا المجال ؟

إن الأساس الذي يرتكز عليه عمل الإنسان ونشاطه وحركته في الحياة في عمارة الأرض هو العلم والمعرفة، فالإنسان كائن يختلف عن الحيوان، فهو كلما اتسعت أمامه آفاق المعرفة كلما كان نشاطه وعمله وحركيته في الحياة أكثر حرية وسهولة وكان بإمكانه الإبداع والإبتكار. هذا من جهة،ومن جهة أخرى يتميز العقل الإنساني بمزية التطلع إلى المعرفة والبحث الدائم والتساؤل المستمر خاصة في مجال عالم الغيب لذلك كانت المشكلة التي تواجهه منذ القديم هي تطلعه إلى معرفة أسرار الكون والحياة وحقيقة الوجود، وذلك سبب من أسباب التيه والشقاء الذي لحق الفلاسفة في المجال المعرفي السابق الذكر لأنه بقدر الحاجة الشديدة إلى المعرفة في هذا المجال بقدر ما ثبت عجز العقل وعدم قدرته على إدراك حقائقه، فأهمية معرفة مجال عالم الغيب والألوهية تفوق أي حاجة إنسانية أخرى. يقول كارل غاوس: « هناك مشاكل أعلق على حلها أهمية تفوق بما لا حد له تلك التي أوليها للمسائل الرياضية كتلك المتعلقة بالأخلاق وبعلاقتنا بالله أو بقدرنا ومستقبلنا ولكن حلها خارج كليا عن متناولنا، وهو يقع كليا خارج الميدان العلمي »[89] ، لذا كانت الحاجة إلى الوحي والرسالة حاجة حيوية بالنسبة للعقل الإنساني، فالوحي يساند العقل ويفتح له آفاقا للمعرفة فيما لم يكن بوسعه وحده أن يرتاده، وأحد أبرز الأمثلة على ذلك عالم الغيب الذي ظل العقل الإنساني في حاجة إلى معرفته لأن تلك الحاجة نابعة من طبيعته وفطرته إذ أن الإنسان كائن أو مخلوق متدين « فلديه شعور بالدين

---

[89]. جورج ستانسيو: العلم في منظوره الجديد، ص58

والدين في مفهومه هو الشعور والإيمان بوجود عالم متمـايز عـن ذلـك العـالم المحسـوس، فلدى الإنسان تطلع إلى ذلك العالم لمعرفته والإتصال به على نحو ما »[90].

فتأتي النبوة لتمد العقل بما يحتاج إليه من الحقائق والمعارف الخاصـة فـي المجـال المعرفي وهي أيضا تعمق لدى الإنسان البعد الروحي الذي يصله ويربطه بخـالق الكـون، وتعطيه المنهج الصحيح الذي يوصله إلى الهدف والغاية الحقيقية لوجوده وتكشف له عـن كيفيات العبادة وطرق ممارسة الشعائر التعبدية، يقول الرازي :« إن عقول العلماء تختلف في إدراك الحقائق ونادرا ما نجد آراء العلمـاء متفقـة فـي مسألة مـن المسـائل »[91]، وذلـك يعود إلى عوامل عديدة لا حاجة إلى ذكرها ومن هنا كانت الحاجة إلى الرسالة لبيان الحق في مسائل حيوية يتعلق بها مصير الإنسان والحياة ومستقبله الدنيوي والأخروي، « فـلأن العقول كما يقول الرازي متفاوتة والكامل قادر والأسرار الإلهيـة غزيـرة فلابـد مـن بعثـة الأنبياء وإنزال الكتب عليهم إيصالا لكل مستعد إلى منتهى كماله الممكن له حسب شخصه »[92]، وأما الماتريدي فيرى أن اختلاف العلماء وعجز العقل عـن ادراك الحقـائق كلهـا هـو علة الحاجة إلى الوحي ويبين ذلك بقوله « فالعلماء يتفاضلون في إدراك مـا بـه مصـالحهم في أمور الدين والدنيا، فيكون عند واحد منهم ما ليس عند غيره وإذا ثبـت ذلـك فـلا ندفـع أن يكون عند الله ما به صلاح عباده مما ليس عند خلقه فيوصلها إليهم برسله »[93]، ويؤكد ماسبق ذكره من أن العقل البشري عاجز عن إدراك الكلـي والإحاطـة بـه، ويبيـن الحاجـة إلى الوحي بقوله « وبينا بحمد الله حاجة العقول للرسل والقول بهم، وعجـز العقـل عـن الإحاطـة بـالكلي، ولأن العقـل إذ هـو سبب مخلـوق لـه حـد تعبيره مـن أسـباب الإدراك يتعرضـه مـا يتعـرض غيره مـن غمـوض الأشـياء واسـتغلاقها »[94]. فـالعقل كمـا يـرى الماتريدي لا يستطيع أن يدرك وجه الحق فيما يجب ولا يجب إلا بالخبر لأن تعرف الأمر والنهي والوعد والوعيد فيما ليس بمحسوس دليله لا يدرك إلا بالخبر الذي يـأتي بـه النبـي أو الرسول.

90: علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق، ص60
91. الرازي: محصل أفكار المتقدمين، ص517
92. الرازي: المرجع ذاته، ص517
93. الماتريدي: كتاب التوحيد، ص183
94. الماتريدي: المرجع ذاته، ص185

ومن هنا نستطيع القول أن إرسال الرسل في حقيقة أمره هو مساعدة لعقول البشر وتيسير لهم، وهو من أعظم المنن التي منّ الله تعالى بها على عباده، وإذا كان المتكلمون أمثال الرازي والماتريدي يرون ضرورة احتياج العقل الإنساني إلى الرسالة وعدم قدرته على الوصول إلى المعرفة الكاملة فإن بعض العلماء والفلاسفة في هذا العصر -عصر العلم والتطور الكبير في مجالات المعرفة المختلفة- قد أكدوا هذه الحقيقة، فقد تبين من خلال بحوث فلسفة العلم والحضارة أن العقل وحده لا يصل إلى معرفة حقيقة مطلقة من حقائق الوجود، وكل ما يتوصل إليه من معارف يبقى نسبيا ومحدودا وقابلا للنقض من حين إلى آخر، وقد دعا كثير من فلاسفة العلم والمعرفة إلى عدم التسليم بما يعتقد أنه صحيح وغير قابل للنقاش من المفاهيم والنظريات العلمية، فهناك كثير من المعارف والنظريات التي ظهر أنها خاطئة. جاء في كتاب العلم في منظوره الجديد ما يدل على أن ما توصل إليه الإنسان من المعارف العقلية والنظرية على مستوى البحوث المتعلقة بالإنسان وما يتعلق بذاته وحقيقته ما يبين أن العقل لا يملك من المعطيات المتعلقة بذات الإنسان وحقيقته وبفصول حياته ماضيا وحاضرا ومستقبلا إلا النزر اليسير، فكيف يكون قادرا على إصابة الحق المطلق في تقدير ما ينبغي أن تكون عليه الحياة وفعلا وتركا، فالعقل لا يملك القدرة الكافية على التشريع وكشف الحقيقة فيما يتعلق بحياة الإنسان وفيما يجب العمل به فكيف إذا كان الأمر يتعلق بما هو غائب عن حواسه وذهنه. ولو عدنا إلى نتائج البحوث العلمية فإننا نجدها لا تقدم الإجابات الحاسمة في كثير من المسائل الحيوية « ما من كمية من البحث على النسق الفيزيائي أو الكيميائي يمكنها أن تقدم صورة كاملة للعمليات النفسية والروحية والفكرية »[95].

وإذا عدنا الى تاريخ العلم نجد أن كثيرا من النظريات والمفاهيم التي سادت لفترة زمنية طويلة قدتغيرت بفضل اكتشافات جديدة وبحوث متطورة لعل أهم إكتشاف علمي منّ إكتشافات القرن العشرين هو أن الكون بأكمله بوصفه كلية واحدة قابل للبحث العقلاني باستخدام أساليب علمي الفيزياء والفلك. وقد تيسرت هذه النظرة الجديدة الى الكون بمجيء نظرية النسبية العامة لأنشتاين، وهي خلافا لنظرية نيوتن في الفيزياء، قد جمعت بين الجاذبية والمكان والزمان.

---

95. الدكاترة روبرت غروس وجورج ستانسيو: المرجع السابق، ص42-43

وهناك نظريات كثيرة كانت تقول أن الكون ليس له بداية وليس له نهاية ولكن التطور العلمي أثبت عكس هذه النظريات « فخلال العشرينات من هذا القرن اكتشف الفلكي إدوين هبل أثناء تحليله للضوء المنبعث من المجرات البعيدة، أن جميع المجرات الممكن رصدها يتباعد بعضها عن البعض، وكان هذا هو أول مفتاح لأسرار تاريخ الكون، فإذا كانت المجرات تتباعد الآن بعضها عن بعض فلا بد إذا من أنها كانت في الماضي السحيق متحدة، مما يدل على أن للكون بداية »[96].

كما أن هناك نظريات كثيرة في مجال العلوم، ومفاهيم كثيرة في مجال الفلسفة وعلوم الإنسان تغيرت، وهو ما يدل على عجز العقل ونقصه على الدوام، وعدم دقة المعلومات والمفاهيم التي يتوصل اليها مما يجعلها كما قلنا قابلا للنقص وعرضة للتغير كلما أتيحت فرصة ووسيلة للبحث والتدقيق في ظواهر الكون والحياة، فإذا إذا كان العقل لا يستطيع أن يدرك الكون المشاهد إدراكا كاملا، فهل بإمكانه أ، يدرك خالق الكون ويحيط به علما، وما هي سبيله إلى ذلك؟

العقل ومعرفة الألوهية :

الوجود الإلهي هو أصل الإعتقاد عند الإنسان ومن الأمور التي ظل عقله يتساءل عن كنهها ويحاول التعرف عليها، فقد حاول الفكر البشري عبر مراحل تاريخه الطويل حلّ الإشكال المطروح أمام العقل الإنساني وأفصل ما توصل إليه أعظم الفلاسفة قديما كسقراط أو أرسطو بعد بحث شاق وطويل القول بوجود قوة تحكم هذا العالم سمّوها المحرك الأول الذي لا يتحرك ولم يقدموا شيئا عن حقيقة هذه القوة أو هذا المحرك، فكل الذي توصل إليه العقل هو التسليم بوجود هذه القوة العليا ولكن ما هي؟ وكيف تعمل؟ وما علاقتها بالكون والإنسان والحياة؟ ذلك ما لم يجب عليه العقل، ولا قدرة له على الإجابة وقد لخّص أبو اليزيد العجمي محاولات العقل البشري لتصور الألوهية وكيف إنتهت إلى الإضطراب الشديد فقال:« إن محاولات العقل البشري في تصور ذات الإله لا ينتج إلا إضطرابا وخلطا، لأن العقل البشري بحكم طبيعة تكوينه وإستجابته للمؤثرات حول إعتماده على الحواس وإرتباطه بالجسم وغير ذلك من صفات المحدودية كل هذا جعل العقل البشري لا يصيب إلا فيما يراه ويحسه ويتصف بالحدود والتحيز» [*]،

---

[96]. روبرت غروس وجورج ستانسيو: المرجع السابق، ص60

[*]. أبو اليزيد العجمي: فقه العقيدة عند الشافعي: ص05

وهل بإمكان العقل مستقبلا أن يدرك حقيقة الألوهية بعيدا عن هداية الوحي ويعطي الوصف اللائق واللازم للإله الحق؟

لا يستطيع العقل في الحقيقة أن يصل إلى هذا المستوى من المعرفة ما لم يهتد بوحي سماوي صحيح النسبة إلى الإله فكل الذي توصل إليه إلى الأن هو صورة ضعيفة مبهمة عن هذا العالم الغيبي، يقول فليب فرانك:« وقد أعطى العقل البشري صورة ضعيفة مُجملة لهذا العقل ضمن الكمال الذي نجح فيه بالنسبة للهندسة وكل الجهود التي يبذلها الإنسان في بحثه عن الحقيقة تهدف إلى الإقتراب من هذا العقل غير أن الإنسان سوف يظل إلى الأبد بعيدا عنه» *.

وإذا كان هذا هو كل ما توصل إليه العقل عند بحثه لهذه المسألة المعقدة فإن هذه النتيجة منطقية باعتبار أن العقل يعتمد على الحواس ويتطلق منها فهي العوامل الأساسية المؤثرة فيه، كما أن الإستدلال المنطقي والقياس العقلي وهي وسائله للمعرفة تقوم على الحدس والحواس وفي القياس ينتقل العقل من الجزء إلى الكل ومجال الألوهية لا يقبل هذه الوسائل وعليه نقول إن الوسيلة الصحيحة لمعرفة الألوهية هي الوحي الذي يأتي عن طريق النبوة « فالأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة- التي لايشوبها جهل ولا ضلال ولا سوء فهم ولا سوء تعبير ولاسبيل إلى معرفة الله تعالى إلا ما كان عن طريقهم لايستقل العقل بها ولايغني فيها الذكاء ولاتكفي سلامة الفطرة وحدّة الذهن والإغراق في القياس والفنى في التجارب» *.

2. في المجال الإجتماعي :

لا تقتصر الحاجة إلى الرسالة والنبوة أو الوحي على المجال المعرفي وعالم الغيب وقضايا الألوهية، بل تمتد الحاجة إليها إلى المجال الإجتماعي وتشتد. فمهمة الرسل هي قيادة المجتمعات الإنسانية إلى الحياة الكريمة المستقيمة، بل إن النبوة تقدم أفضل النظم الإجتماعية في العالم وتقدم أفضل القواعد التي تنظم العلاقات الإجتماعية، لأن النبوة هي تعبير عن تطلع الإنسان إلى المثال والكمال وإلى الملأ الأعلى. وتعبر عن حاجة الإنسان إلى التدين، كما أن النبوة تمثل البعد الخارجي في

---

* . فليب فرانك: فلسفة العلم ص 323
* . الندوى: النبوة والأنبياء، ص26

علاقة الفرد بالآخر، وتعمل على غرس القيم الإجتماعية الفاضلة في المجتمع وبعث روح التعاون والمشاركة.

فلقد كانت المهمة التي أسندها الله تعالى إلى الرسل والأنبياء هي تربية الناس وتهذيب طباعهم وإصلاح طبائعهم على أساس الأخلاق الإجتماعية التي جاء بها الوحي والتي تقوم على تبادل الحقوق، والواجبات أو أداء الواجب مع المطالبة بالحق لا على أساس قانون الأغلب والأقوى، كما هو عند الحيوان، لهذه العوامل كانت الحاجة الى النبوة والوحي في الناحية الإجتماعية لا تقل أهمية عن الحاجة إليها في النواحي الأخرى التي سبق الحديث عن بعضها.

وقد إهتم كثير من المتكلمين والفلاسفة بهذه المسألة، وأرجعوا ذلك إلى عوامل منها أن الإجتماع البشري ضرورة، والفرد لا يستطيع أن يقوم بخدمة نفسه بمفرده، فلا بد أن يسهر كل فرد على خدمة الآخرين في حين يسهر الآخرون على خدمته، يقول طه الدسوقي:*إذا كان اجتماع البشر طبيعيا وأمرا فطريا، واحتياج الفرد إلى سائر أفراد المجتمع ضروريا، واحتياج المجتمع الى كل فرد من أفراده محتوما فإن المجتمع البشري يقوم على تعاون أفراده وهذا التعاون بين الأفراد يحتاج الى قانون وضابط يضبط سلوك الناس وهذا القانون لابد له من واضع ومشرع يتولى بنفسه أو بواسطة وكلائه تطبيق هذا القانون على الناس وحملهم على الإنصياع لحكمه »[97] وفيما يلي سنعرض لبعض أراء المتكلمين والفلاسفة في موضوع الحاجة إلى النبوة والرسالة.

3. المتكلمون والحاجة الى الرسالة :

يرى المتكلمون أن الإنسان بحاجة إلى النبوة، فالمجتمع يحتاج إلى نظام إجتماعي لتنظيم حياته وإلى سن قانون للعدل ولو تركت الجماعة الإنسانية بدون ذلك لحدث تنازع وتقاتل بينهم، فكما يحتاج الإنسان إلى الرسالة في الجانب الروحي يحتاج إليها في تنظيم شؤونه الدنيوية. وفيما يلي نعرض أراء بعض المتكلمين:

---

97. طه الدسوقي: النبوة في الإسلام، ص15

أ. الماتريدي :

يرى الماتريدي أن الناس يحتاجون إلى النبوة لوجود التنازع بينهم وادعاء كل منهم الحق مما يجعل حاجتهم إلى من يؤلف بينهم ويجمع كلمتهم ويردهم إلى معرفة الصلاح. فلو ترك الناس وشأنهم لاختلفوا في ذلك وراى كل واحد منهم ماله عدلا وما عليه ظلما. فيقول : « الأصل في ذلك وجوه أحدها وجود التنازع الظاهر بين الخلق على إدعاء كل منهم أنه أحق وأولى بالإصابة، وأن ليس فيهم من يفزع إليه ليحكم بينهم ويريهم بما به يتألف قلوبهم وتجتمع كلمتهم ومعلوم أن التنازع هو أصل كل فساد ومقدمة كل فناء وذلك كله قبيح في العقول، فقد إنتهت عاقبة العقول إلى من يعينها ويردها إلى ما جعلت هي له من الصلاح والمعرفة ومعلوم أن لا أحد أعلم بذلك ممن خلقها وأنشأها وفي ذلك لزوم القول برسول نعلم أنه من عنده جاء »[98].

فالحاجة إلى النبوة هي حاجة إلى التشريع وسن القوانين العادلة التي تمنع الظلم والجور وتسلط حكم العقل والرغبة الذاتية. فلو درسنا المجتمعات البشرية بعيدا عن النبوة والوحي لوجدنا الطبقية تطغى عليها ويكون الهرج والمرج بتعبير ابن خلدون ويخرب البناء والعمران ويختل نظام الإجتماع البشري.

ب. الرازي :

يذهب الرازي إلى القول بالحاجة الإجتماعية للنبوة ويرى بأن منزلة النبي من الناس كمنزلة القلب من سائر الأعضاء، فكما يحتاج الجسم إلى الدماغ والقلب فكذلك يحتاج الإنسان إلى الرئيس وهو النبي، فالنبي يكون بالنسبة للإنسان كالقلب بالنسبة للجسم ووظيفة النبوة تشمل الهداية إلى الصناعات النافعة ومعرفة الأدوية والسموم وغير ذلك، فيقول: « إن كل جنس تحته أنواع، فيوجد فيما بين الأنواع نوع واحد هو أكمله وكذا الأنواع بالنسبة إلى الأصناف، والأصناف بالنسبة إلى الأشخاص، والأشخاص بالنسبة إلى الأعضاء، فأشرف الأعضاء ورئيسها القلب وخليفته الدماغ ومنه تبث القوى على جميع جوانب البدن، فكذا الإنسان لابد فيه من رئيس والرئيس إما أن يكون حكمه على الظاهر فقط وهو السلطان وإما على الباطن وهو العلم أو عليهما معا وهو النبي، فالنبي يكون

---

98. الماتريدي: المرجع السابق، ص182

كالقلب في العالم وخليفته في الدماغ. وكما أن القوى المدركة إنما تفيض من الدماغ على الأعضاء وكذا قوة البيان والعلم إنما تفيض منه بواسطة خليفته على جميع أهل العلم »[99].

ولا شك أن الأنبياء يهدون البشر إلى الخير والحق وإلى السبيل القويم لحياة إجتماعية، تسودها قيم الخير والعدل وأحكام الحق، وأنهم يعرفون سبل الحياة اليومية على أكمل الوجوه وأحسنها ولكن ليست وظيفتهم الأساسية هي توجيه الناس إلى كيفية الصناعة والتجارة وإنتاج الأدوية أو الدخول في تفاصيل الأمور الحياتية والمعيشية اليومية. فهم وإن كانوا يعرفون ما تتطلبه حياتهم اليومية على أكمل أوجه المعرفة إلا أنهم لا يفرضون على البشر هذا النمط من المعيشة والحياة فأمر ذلك متروك لإجتهاد العقل البشري وظروف الحياة التي تتغير بإستمرار، وأما ما يقوله الرازي بأن مهمة الرسل هي معرفة صناعة الأدوية والسموم والأمراض وما إلى ذلك مما قاله فإنه بعيدا عن حقيقة النبوة ووظيفة الرسل لأن هذه المسائل تخضع للجهد العقلي للإنسان ولتجاربه وأبحاثه العلمية وهي أمور تتغير بتغير الزمان والمكان والأشخاص.

ج. محمد عبده :

يعد محمد عبده متكلما بارزا في العصر الحديث له آراء في مسائل كثيرة، ألف كتاب سماه رسالة التوحيد تضمنت آرائه في مسائل التوحيد والنبوة فقد أفاض في الحديث عن النبوة ربيان الحاجة إليها من نواح كثيرة ولاسيما الناحية الإجتماعية. فيرى أن البشرية قد مرت بأطوار ثلاثة، طور القصور وطور النبوة وطور الضلال، وأما طور النبوة ففيه وصلت البشرية إلى مرحلة التخلص من ذلك العالم الجسماني الذي كانوا فيه إلى عالم روحاني كانوا يسيرون في طلبه من حيث لا يشعرون فظهرت النبوة تهديهم إلى ما يستقبلون في هذا الطور الجديد، وهو طور يكون واضع النظام الإجتماعي فيه هو الله تعالى عن طريق رسل يرسلهم بشريعة العدل والحق لينقذوا البشرية من الحالة المترددة المتدهورة التي كانوا عليها.

فالرسل يبينون للناس ما اختلفت عليه عقولهم وتنازعتهم مصالحهم وشهواتهم، فيفصلون في تلك المخاصمات والنزاعات بأمر الله الصادع ويعودون بالناس إلى الألفة ويكشفون لهم سر المحبة ويلفتونهم إلى أن فيها إنتظام شمل الجماعة، ويفرضون عليهم

---

[99]. الرازي: المرجع السابق، ص518

مجاهدة أنفسهم ليستوطنوها قلوبهم، ويشعرون أفئدتهم، ويعلمونهم كذلك أن يرعى كل واحد حق الآخر وإن كان لا يغفل حقه ولا يتجاوز في الطلب حده، وأن يعين قويهم ضعيفهم ويمد غنيهم فقيرهم ويهدي راشدهم ضالهم ويعلم عالمهم جاهلهم.

فهذه الآداب الإجتماعية السامية والأخلاق الفاضلة هي التي تعطي للمجتمع التماسك والقوة والترابط وتشيع روح الأخوة والمحبة والتعاون بين أفراده، فيكون قويا متماسكا لا ضعيفا متنازعا، تكثر فيه العداوات والمخاصمات وليس هذا فقط بل « إن الرسل كما يقول محمد عبده يصنعون للناس بأمر الله تعالى حدودا عامة يسهل عليهم أن يردوا إليها أعمالهم كإحترام الدماء البشرية إلا بحق مع بيان الحق الذي تهدر له وحظر تناول شيء مما كسبه الغير إلا بحق مع بيان الحق الذي يبيح تناوله وإحترام الأعراض مع بيان ما يباح لهم وما يحرم من الأبضاع ويشرعون لهم مع ذلك أن يقوموا أنفسهم بالملكات الفاضلة كالصدق والوفاء والأمانة والمحافظة على العهود والرحمة بالضعفاء والإقدام على نصيحة الأقوياء والإعتراف بكل مخلوق لحقه»[100].

وليس هذا فحسب بل عليهم « أن يبلغوا عنه شرائع عامة تحدد لهم سيرهم في تقويم نفوسهم وكبح شهواتهم وتعليمهم من الأعمال ماهو مناط سعادتهم وشقائهم في ذلك الكون المغيب عن مشاعرهم لتفصيل اللاصق علمه بأعماق ضمائرهم في إجماله ويدخل في ذلك جميع الأعمال ظاهرة وباطنة»[101].

فهذه وظيفة النبوة في المجتمع فهي تحفظ نظامه وتسن له قوانين وتحدد أسس العلاقة بين الأفراد وحقوقهم وواجباتهم، وبنشر هذه الأحكام وتعليمها يقوم المجتمع الفاضل المتماسك والذي يظل هدفا منشودا للأمم والشعوب ومطلب كل حضارة وليس هناك من هو أقدر على تجسيد هذه المبادىء والقيم والمثل العليا أفضل من الأنبياء فهم المؤهلون نفسيا ومعرفيا وخلقيا لهذا الأمر وفيما يلي سنعرض للآراء بعض الفلاسفة ما يؤكد ما سبق ذكره.

---

100. محمد عبده: رسالة التوحيد، ص110

101. محمد عبده: المرجع ذاته، ص(94-95).

4. الفلاسفة والحاجة إلى النبوة :

إذا كان للنبي دور من الناحية الدينية والقيادة الروحية للناس وفي مجال المعرفة فإن له أيضا دورا يتصل بالمجتمع وبنظام حياته، فهو يمثل القيادتين الدينية والدنيوية ويمثل دور الدين في المجتمع، وهذا ما أشار إليه الفارابي وابن سينا في حديثهما عن النبي.

أ. الفارابي :

لقد أشار الفارابي إلى الدور الإجتماعي للنبي ونبه إلى أهميته، حيث ذكر أن كلا من النبي والحكيم هما الشخصان الصالحان لرياسة المدينة الفاضلة، هذه المدينة التي تتحقق فيها سعادة الأفراد على أكمل وجه، ولا يتم ذلك إلا بتعاون أفراد هذه المدينة وأداء كل منهم العمل الذي يختص به والوظيفة التي هيء لها. وفي كتاب المدينة الفاضلة بيّن أن أهم الوظائف هي رياسة المدينة الفاضلة، ويشبه هذه المدينة بالجسم في أعضائه فأهم عضو فيها هو القلب وكل الأعضاء تأتمر بأمره، فذلك رئيس المدينة الفاضلة وهو أكمل الأعضاء وهو الذي يجب أن تأتمر به الأعضاء الأخرى، فهو المثل الأعلى الذي ينظم جميع الكمالات ومصدر حياة المدينة وقوام نظامها، يقول الفارابي :« كذلك رئيس المدنية الفاضلة هو أكمل أجزاء المدينة فيما يخصه وله من كل ما شارك فيه غيره أفضله ودونه قوم مرؤوسون منه ويرأسونه آخرون »[102]. فرئيس المدينة هو أهم الأعضاء ووظائفه، أيضا ينبغي أن تكون هي أهم الوظائف يقول:« كذلك رئيس هذه المدينة ينبغي أن يكون هو أولا ثم يكون هو السبب في أن تحصل المدينة وأجزاؤها والسبب في أن تحصل الملكات الإرادية التي لأجزائها في أن تترتب مراتبها»[103].

فالفارابي وهو يتحدث عن رئاسة المدينة الفاضلة يضع شروطا لرئيس المدينة لا يمكن أن تتحقق إلا في النبي، كما أنه في الشرط الأول يذكر فيه ويثبت أن رئيس المدينة هو النبي أو الفيلسوف الحكيم،فيقول:« فإذا حصل ذلك في كلا جزئي قوته الناطقة وهما النظرية والعلمية، ثم في قوته المتخيلة، كان هذا الإنسان هو الذي يوحي الله فيكون الله ﷻ يوحي إليه بتوسط العقل الفعال فيكون ما يفيض من الله تبارك وتعالى إلى العقل يفيضه العقل الفعال إلى عقله المنفعل بتوسط العقل المستفاد ثم قوته المتخيلة، فيكون بما

---

102. الفارابي: أراء أهل المدينة الفاضلة، ص120
103. الفارابي: المرجع ذاته، ص120

يفيض منه إلى عقله المنفعل حكيما فيلسوفا متعقلا على التمام وبما يفيض منه إلى قوته المتخيلة نبيا منذرا، وهذا الإنسان هو في أكمل مراتب الإنسانية وفي أعلى درجات السعادة، وتكون نفسه كاملة متحدة بالعقل الفعال على الوجه الذي قلنا فهذا الإنسان هو الذي يمكن أن يبلغ به السعادة، فهذا أول شرائط الرئيس »[104]. فمن كانت هذه صفته كان هو الرئيس الأول الذي لا يرأسه أحد، وهو رئيس الأمة الفاضلة، ورئيس المعمورة من الأرض كلها.

ب. ابن سينا :

أما ابن سينا فيذكر أن للنبي وظيفة إجتماعية روحية ودنيوية وأعطى للعبادات معنى اجتماعيا، وأعتبر أن مهمة النبي والرسول هي تدبير أحوال الناس على ما تنتظم به أسباب معيشتهم ومصالح معادهم، ويرى أن حاجة الناس إلى الرسول وإلى النبي أشد من الحاجة الى إنبات الشعر على الأشفار والحاجبين وغيرها، من الأشياء الأخرى التي يحتاج إليها الإنسان ولا يمكن أن يستغني عنها، والإنسان بطبعه لا يمكن أن يستغني بمفرده ويكفي نفسه في حاجاته، وتدبير أمره، بل لابد من شريك من بني جنسه يعاونه على ضرورات حاجته. فيقول . « من المعلوم أن الإنسان يفارق سائر الحيوانات بأنه لا يحسن معيشته لو انفرد وحده شخصا واحدا يتولى تدبير أمر من غير شريك يعاونه على ضرورات حاجاته، وأنه لابد أن يكون الإنسان مكفيا بآخر من نوعه يكون ذلك الآخر أيضا مكفيا به وبنظيره فيكون مثلا هذا ينقل إلى ذاك وذاك يخبز لهذا، وهذا يخيط للآخر...»[105] وهذا يحتاج إلى اجتماع الناس لذلك اجتمع الناس وأنشؤوا المدن والحواضر، وهذه المدن والحواضر بدورها تحتاج إلى نظام إجتماعي ونظام أخلاقي يحكم المعاملات بَيْنَ أفراد هذه المدن وجماعاتها، هذا النظام ينبغي أن يكون محكما وملزما، وهذا ما يبينه بقوله : « فلابد في وجود الإنسان وبقائه من مشاركة ولا تتم المشاركة إلا بمعاملة ولابد في المعاملة في سنة وعدل ولابد للسنة والعدل من سان ومعدل »[106] والنبي هو الذي يأتي بهذه السنة وهذا العدل الذي ينظم الحياة الروحية والإجتماعية وحاجة الناس إلى هذا الإنسان هو أشد من الحاجات الأخرى.

---

104. الفارابي، المرجع السابق، ص(125-126)
105. ابن سينا: النجاة، ص(303-304)
106. ابن سينا: المرجع ذاته، ص(303-304)

ويرى ابن سينا أنه من الواجب أن يكون هذا الإنسان، ولا يجوز أن يترك الناس وأراءهم فيختلفون لأن بقاء النوع الإنساني متوقف على وجود هذا الشخص فيقول :« ولا يجوز أن يترك الناس وأراءهم في ذلك فيختلفون ويرى كل منهم ماله عدلا وما عليه ظلما فالحاجة إلى هذا الإنسان في أن يبقى نوع الناس ويتحصل وجوده أشد من الحاجة إلى إنبات الشعر على الأشفار وعلى الحاجبين وتقعير الأخمص من القدمين وأشياء أخرى من المنافع »[107]

هذا الإنسان هو الذي يوحى إليه ويبين للناس في أمورهم سننا بأمر الله تعالى وإذنه ووحيه الذي أنزله الروح القدس عليه.

5. الحاجة إلى النبوة في مجال الأخلاق والتشريع :

لا ريب أن الأخلاق بالنسبة للإنسان أمر حيوي ومهم فاستقرار المجتمع الإنساني واستقامة حاله مرتبط بالأخلاق الفاضلة، والأخلاق مظهر من مظاهر رقي الأمم وعلامة من علامات قوتها وبقائها قال أحمد شوقي: إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا لأجل ذلك يحتاج أي مجتمع إنساني إلى قواعد وضوابط محكمة ثابتة تحكم السلوك ولكن من أين نستقي هذه القواعد والضوابط الأخلاقية الثابتة؟ هل نستمدها من أحكام العقل وفلسفته أم نستمدها من مصدر أخر غير العقل ؟

أ. المذاهب الوضعية والأخلاق :

إن المتتبع لمسيرة الفكر البشري وتطوره عبر التاريخ وبخاصة النظريات الفلسفية الأخلاقية يجد أن فلاسفة الأخلاق لم يتمكنوا عبر هذه المراحل من الإتفاق على منهج قائم على مجموعة من القواعد التي تضبط السلوك البشري، ولم يتوصلوا إلى صياغة نظرية واحدة محكمة في علم الأخلاق تكون منضبطة وغير خاضعة للأهواء والأمزجة البشرية، والمصالح الآنية والرغبات الفردية.

فنظريات الأخلاق تختلف من فلسفة إلى أخرى ومن مذهب إلى أخر، ومن زمن إلى زمن أخره فما تراه نظرية فلسفية معينة لذة وخيرا ومنفعة قد تراه نظرية أخرى

---

[107]. ابن سينا: المرجع السابق، ص(303-304)

عكس ذلك و الأمثلة على ذلك كثيرة. فترى بعض المذاهب أنه على الإنسان أن يتظاهر بنوع من اللامبالاة تجاه ضروب الخير و الشر في هذا العالم، و على الإنسان أن يأتي بأكبر قدر من اللذة و الشهوة دون مراعاة لقواعد علم الأخلاق أو غيرها من الأعراف و التقاليد و الضوابط. ويرى البعض الآخر أنه عليه أن يستمتع بكل ملذات الحياة سواء كان في ذلك حكمة أو لا.

وكذلك الشأن في علاقاتنا بأصدقائنا فمثلا إذا أهين شخص فهل يجب عليه أن يرد الإهانة أم لا و إذا عومل بقساوة هل يعامل بمثلها؟ و هل يجب على المرء أن يساعد الآخرين أو أن يتركهم يواجهون مصيرهم بمفردهم.

هذه المسائل و غيرها لم يفصل فيها العقل الإنساني ولم تقدم فلسفة الأخلاق نظرية حاسمة لهذه المشكلات. وقد بين أحد الباحثين هذه الحقيقة بقوله: « يجب أن نعترف بأن هذا النور الفطري يغلفه الهوى وتفسده العادات ينبغي أن يتعرض لنوع من الكبح، و أن يظفر بنوع من التوجيهات لا تختلف باختلاف الزمان و المكان و الأمزجة و إلا فإن اليقين الأخلاقي بصرف النظر عن بعض الواجبات الأساسية المعترف بها لدى جميع الضمائر السوية سوف يخلي مكانه تدريجيا للأوهام وضروب الشك وصنوف الظلام، فمثلا ما واجبانا حيال طبيعتنا العاطفية ؟ أمن الواجب أن لا نستجيب لشيئا من شهواتنا و أن نفرض على أنفسنا الآلام وألوان الفقر و التقشف و أن نمضي في هذا الطريق مع البوذية حتى نبلغ مرحلة النرفانا أو درجة الإمحاء و الفناء ؟ أو أنه يكفي أن نتظاهر كما يفعل الرواقيون بنوع من اللامبالات تجاه كل ضروب الخير و الشر في هذا العالم و إن كنا نفضل بعضها على بعض ؟ أو إنه يجب علينا أخيرا أن نستمتع بكل ملذات الحياة سواء أكان ذلك حكمة أو إنتقادا كما يعلمنا النفعيون أو كان بلا قاعدة أو منهج على طريقة أرستيب و الشعراء في كل زمان »[108].

إن القوانين الأخلاقية ظلت نسبية عند الفلاسفة و هذا ما يؤكده الدكتور دراز في دراسته لنظريات علم الأخلاق فيقول: « وكذلك الحال في علاقاتنا بأقراننا فإن الإهتداء إلى السلوك المناسب لا يقل صعوبة بسبب ما يواجهنا من إختلاف في الرأى، ونسوق هنا مثالا طالما قوبل من قبل بآراء متنوعة: فهل يجب على من لحقته إهانة أن يقتص أو يعفو

---

[108]. عبد الله دراز: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، ص(30-31-32)

أو أنه له الخيار ؟ وهل يجب علينا أن نعامل إخواننا بتحفظ أو بقساوة أو نكشف لهم عن حبنا الاخوي؟ وهل ينبغي أن نساعد الآخرين ليعيشوا أعفاء أو نتركهم لوسائلهم الخاصة ؟ فلو أردنا أن ننزل إلى تفاصيل الحياة اليومية من بيع وربا وخمر وزواج وزنا، فإن الخطايا سوف تعظم أبدا ولسوف تقاوم العقول دائما بعقول و العواطف بعواطف »[109]. فلو احتكمنا إلى العقل البشري في هذه المسائل فإنه لايقدم لنا الحلول المناسبة و الكافية، إذ أنه قد يميل إلى جهة الإنسان نفسه، لأن الطبيعة البشرية معقدة لكونها مركبة من المشاعر و الأحاسيس و التصورات و المفاهيم المختلفة، مما يولد تضاربا وتناقضا في فهم الطبيعة البشرية، فإذا كان حاصل كل ماتقدم أن العقل لا يقدم للإنسانية مذهبا أخلاقيا متكاملا، ونظرية مضبوطة محكمة لها السلطة على الجميع فما هو المصدر الذي يحل المشكلة الإنيسانية هذه؟ ومن أي مصدر تستمد البشرية قانون الأخلاق الذي يلزم الجميع ويناسب الكل.

ب. الوحي كمصدر للمعرفة الاخلاقية :

إن الوحي هو وحده القادر على حل مشكلات الإنسان في مجال الأخلاق، فهو المصدر الكامل و الكافي الذي يقدم مفاهيم أخلاقية دقيقة و عامة لأنه لابد في المعيشة و الحياة من علم الأخلاق و السياسة فلا يعيش الإنسان دون السياسة و الأخلاق، يقول الرازي: « إنه لابد في المعيشة من علمي الإخلاق و السياسة فلابد من البعثة لتعليمها، ولهذا قال الله تعال لنبيه عليه السلام:﴿ ان الله يأمر بالعدل و الإحسان ﴾[110] وقال تعال:﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين »[111] . وقد ظهرت فوائد البعثة من هذه الوجوه »[112]. ويؤكد محمد عبده هذا الأمر بقوله: « فالبشر يخضعون لقانون وسنة هي الصعود الى القمة في الخلقة و الفكرة و البصيرة و الى الهبوط و الإنحطاط الى درك أدنى من الخضوع و الإستكانة و الشهوة و الإنحلال. هذه الخاصية تجعل الإنسان يحتاج الى الرسالة و النبوة و الوحي»[113]. فالإنسان ركبت فيه طبيعتان، طبيعة النزوع إلى الخير وطبيعة النزوع إلى الشر وليس من السهل أن يستقر على طبيعته الخيرة، فهو كثير النزوع إلى جهة الشر و الشهوة، فقد يصعد الإنسان إلى

---

[109]. عبد الله دراز : المرجع السابق، ص32

[110]. سورة النحل، الأية 90

[111]. سورة الأعراف، الأية 199،

[112]. الرازي: المرجع السابق، ص 518

[113]. محمد عبده: المرجع السابق، ص(102 103)

أعلى درجات الكمال إذا خضع إلى سلطان الحكمة و العقل، ولكنه يحتاج إلى من يعينه في ذلك، كما يقول محمد عبده:« الإنسان عجيب في شأنه يصعد بقوة عقله إلى أعلى مراتب الملكوت ويطاول بفكره أرفع معالم الجبروت ويسامي بقوته ما يعظم على أن يسامي من قوى الكون الأعظم »[114]، وهذا عن جانب السمو و الرفعة.

أما عن جانب الإنحدار إلى أدنى درك العقول و التي يمكن أن يصل إليها الإنسان إذا خضع لسلطان الشهوات و الهوى و ابتعد عن الحكمة و التعقل فيقول: « ويتضاءل وينحط إلى أدنى درك من الإستكانة و الخضوع حتى أنه يعرض له أمر ما لم يعرف سببه ولم يدرك منشأه، هذا التذبذب و الإضطراب بين السمو و الإنحدار و هذا الضعف من دواعي وجود الرسالة و النبوة، فأقام له من بين أفراده مرشدين و ميزهم بخصائص في أنفسهم ليشركهم فيها سواهم و أيد ذلك بزيادة في الإقناع بآيات باهرات تملك النفوس وتأخذ الطريق على سوابق العقول »[115]، فمنشأ الحاجة إلى النبوة في رأيه هو وجود هذا التنازع بين الخير و الشر في الإنسان مما يجعله يحتاج إلى من يرجح جهة الخير على الشر فتأتي النبوة لتقوم بذلك وليس غيرها.

ويرى عبد الله دراز أن الحاجة إلى النبوة و الوحي في مجال الأخلاق متأتية من أن الفكر البشري قاد إلى الإضطراب و الإختلاف و إذا فمن الضروري اللجوء إلى سلطة عليا لحسم الخلاف ثم يتساءل: « ولكن ما هي هذه السلطة؟ وماهي هذه الوجهة التي نتوجه إليها ؟»، ليس لدينا إلا إجابة واحدة تفرض نفسها، إذ لا أحد يعرف جوهر النفس وشريعة سعادتها وكمالها مع الصلاحية الكاملة و البصيرة النافذة غير خالق وجوده ذاته، قال تعالى: ﴿ ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير ﴾[116]، فبدلا من أن نقول العقل المحض يجب أن نقول العقل الإلهي وبدلا من الإستناد إلى تجريد تصوري ذهني يجب أن نلجأ إلى ذلكم الواقع المحس الحي العليم الذي حول العقل الإلهي، فنور الوحي وحده هو الذي يمكن أن يحل محل النور الفطري، ذلك لأن الشرع الإيجابي الإلهي هو الذي يجب أن يستمر ويكمل الشرع الأخلاقي الفطري »[117]، إذا كانت فلسفة الأخلاق المستندة إلى الفكر البشري تعاني اضطرابا كبيرا يؤدي إلى إنكار حاجة الإنسان إلى نظام أخلاقي.

---

[114].محمد عبده: رسالة التوحيد، ص102

[115]. محمد عبده: المرجع ذاته، ص103

[116]. سورة الملك: الأية 14

[117]. عبد الله دراز: المرجع السابق، ص34.

فإنه يوجد في مقابل هذه الفلسفة نظام الأخلاق في الإسلام الذي يقدم قواعد أخلاقية لكل المجتمعات الإنسانية. يقول الدكتور العجمي: « في مقابل الإضطراب الذي يصل إلى حد إنكار حاجة الإنسان إلى قواعد أخلاقية يوجد مصدر أعلى من العقل ومن الضمير، ومن المجتمع يضع للإنسان قواعد سلوكه وفق حاجته وبالإتساق مع طبيعته لا يهمل العقل ولا الوجدان ولا المجتمع بل يرى الإنسان فردا في جماعته ومخلوقا مميزا بالعقل والإرادة وبه حاسة قادرة عند صلاحها على الحكم على الأشياء حتى ولو كانت ظواهر الامور، ذلكم هو الوحي الذي حمله إلينا الرسل الكرام وخاتمهم النبي محمد بن عبد الله ﷺ »[118].

فالناس كما يقول محمد أبو زهرة:« لا يمكنهم الإكتفاء بأقوال الحكماء والفلاسفة وقوانين الأخلاق التي سنوها»[119]. وبهذا يتبين لنا مدى حاجة الإنسانية إلى النبوة ومآثر البعثة المحمدية ويتأكد أن الحاجة إلى رسالة الإسلام اليوم أشد ما تكون إليه من قبل، وأن مهمة حملة الرسالة وأتباع الوحي لبيان حقيقته وتبليغ تعاليمه نقية صافية مهمة عاجلة وملحة وشاقة في نفس الوقت ولا مجال لتضييع الوقت وإهدار الطاقة في ما لا ينفع، فالبشرية تتطلع وتتلهف إلى مصدر أخر للمعرفة الحقة يشفي غليلها، فقد جربت جميع النظريات وأخذت من كل التصورات والمذاهب والفلسفات فلم تجن إلا خيبة الأمل والحيرة الدائمة والقلق والإضطراب النفسي، ولكن السؤال المطروح هو كيف تحصل النبوة للإنسان؟ هل هي أمر نابع من ذاته يكتسبه متى توفرت له بعض المواصفات والشروط أم أن النبوة أمر خارج عن قدرة الإنسان وكسبه ونطاقه، وبمعنى أخر كيف تحصل النبوة ؟ ومن أين يستمدها الإنسان؟ هذا ما سنحاول بيانه في المبحث الموالي.

---

[118]. د. أبو اليزيد العجمي: **الأخلاق**، ص6

[119]. محمد أبو زهرة: المجتمع الإنساني في ظل السلام، ص(11-12)

المبحث الثاني: النبوة بين المنحة والإكتساب

1. مصدر النبوة :

هل النبوة اكتساب وأمر خاضع للممارسة الشخصية والإعداد الذاتي ؟ وهل يستطيع الإنسان مثلا أن يجاهد نفسه بالرياضة والصبر على ألوان العبادات وتهذيب النفس بأضرب الرعاية لحقوق الله لكي ينال هذه الدرجة من الشرف وهذه المرتبة من الكمال ؟

وهل من الممكن أن يسبر الإنسان غور نفسه ويستبطن اللباب من شخصيته ليقف على كدرات المادة ومعوقات الصفاء النفسي والأسباب التي تقف به عن اقتحام واد الأسرار الإلهية وخزائن العلوم الربانية فيتخلص من هذه العلائق ويصفي نفسه من هذه الكدرات حتى يكون في النهاية نبي زمانه المصطفى ورسول أمته المجتبي ؟ أم أنه ليس في مقدوره ولا في استطاعته ..ا ولا ذاك؟

سنحاول فيما يلي من المباحث أن نبين رأي المتكلمين والفلاسفة في حقيقة النبوة أهي منحة إلهية أم اكتساب شخصي يصل إليه المتنبيء بمجهوداته الشخصية ؟.

أ. المتكلمون ومصدر النبوة :

يرى المتكلمون على اختلاف مدارسهم أن النبوة هي منحة ربانية وعطية إلهية واصطفاء من الله تعالى لبعض عباده ليكونوا رسلا بينه وبين عباده وحملة وحيه ورسالته إلى أبناء آدم على وجه الأرض فلا تحصل بممارسة أنواع الرياضات والعبادات وبمجاهدة النفس بصنوف وضروب الطاعات ولا بالتعلم ودراسة مختلف العلوم والفلسفات.

فلا التعليم ولا المجاهدة ترقى بصاحبها إلى مستوى النبوة والرسالة فالشهرستاني يرى أن النبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبي ولا هي مرتبة يمكن أن يبلغها أحد.

الناس بعلمه و إرادته وجهده و استعداد نفسه فيقول :« قال أهل الحق النبوة ليست صفة راجعة إلى نفس النبي ولا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه وكسبه ولا استعداد نفسه يستحق به اتصال بالروحانيات بل رحمة من الله تعالى ونعمة يمن بها الله على من يشاء من عباده»[120].

فالنبوة إذن عنده هي جملة ذات أجزاء وتلك الجملة بمجموعها لا تتحقق إلا لمن اصطفاه الله تعالى لرسالته، يقول: « فالنبوة إذا جملة ذات أجزاء وتلك الجملة لا تتحقق إلا لمن إصطفاه الله لرسالته وبعض أجزائها قد ثبت للصالحين من عباده فيبلغون إلى ذلك الجزء بطاعتهم وعبادتهم أما مجموعتها من حيث المجموع فلا يصل إليه أحد بكسبه و استطاعته»[121]

ونفس الشيء نجده عند الأمدي الذي يقرر بدوره أن النبوة « ليست معنى يعود إلى ذات من ذاتيات النبي ولا إلى غرض من أغراضه، استحقه بكسبه وعمله ولا العلم بربه، فإن ذلك مما يثبت قبل النبوة ولاعلة نبوته، إذ العلم بالشيء غير الشيء، لكن الله يمن على من يشاء من عباده، فليست إلا موهبة من الله تعالى ونعمة منه على عباده وهو قوله لمن اصطفاه واختاره: إنك رسولي ونبي »[122]. فالذي ذهب إليه المتكلمون كما يقول الباجوري في شرح جوهرة التوحيد : « فالذي ذهب إليه المسلمون جميعا أن النبوة خصوصية من الله تعالى لا يبلغ العبد أن يكتسبها ويفسرونها باختصاص العبد بسماع الوحي من الله تعالى بحكم شرعي تكليفي سواء أمر بتبليغه أم لا، وهكذا الرسالة بشرط أن يؤمر بالتبليغ، ولا يكتسب العبد النبوة بمباشرة مخصوصة كملازمة الخلوة والعبادة وتناول الحلال كما زعمت الفلاسفة »[123] ويرى الباجوري أن سبب تكفير المتكلمين للفلاسفة هو قولهم باكتساب النبوة فيقول :« القول بأنها مكتسبة من أقوى المسائل التي كفرت بها الفلاسفة ويلزم على قولهم باكتسابها تجويز نبي بعد سيدنا محمد ﷺ أو معه وذلك ملتزم لتكذيب القرآن والسنة »[124] وأما الأمير عبد القادر في كتاب المقراض الحاد رغم اعتراضه على عدم اشتغال المتكلمين بتعريف النبوة وبيان حقيقتها فإنه نقل عن إمام

---

[120].الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص462
[121].الشهر ستاني: المرجع ذاته، ص466
[122].طه الدسوقي: نظرية النبوة، ص06
[123].الباجوري: شرح جوهرة التوحيد، ص287
[124].الباجوري: المرجع ذاته، ص287

الحرمين تعريفه للنبوة فقال : « وأما الرسالة والنبوة فلم يشغل الأكثر بتعريفها وقد عرفها إمام الحرمين بقوله: النبوة لا تكون عن قوة في النفس كما قال الحكماء ولا عن رياضة يحصل بها الصفاء فيحصل التجلي في النفس كما قال بعض الصوفية ولا عن قربان الهياكل السبعة كما قال المنجمون ولا هي بالإرث كما قال بعض أهل البيت، بل هي صفة كلام وهي قول الله هو رسول وتعرفه بالأمر الخارق »[125].

فالمتكلمون يمنعون أن تكون النبوة مكتسبة أو يمكن أن يحصل عليها شخص بالرياضة والمجاهدة النفسية أو على جزء منها بل إن القول بأنها مكتسبة في حد ذاته كفر وتكذيب للقرآن، وهو قول مخالف للعقيدة الإسلامية في ختم النبوة، فالقول بامكانية اكتساب النبوة معناه القول بامكان ظهور نبي بعد محمد ﷺ، وهذا ما لم يحدث منذ ظهور الإسلام ولن يحدث.

ب. الفلاسفة ومصدر النبوة :

النبوة هل هي مكتسبة أم هي هبة من الله تعالى ؟ وهل ذهب الفلاسفة إلى ما ذهب إليه المتكلمون ؟ وماهو منطلقهم في نظرتهم إلى النبوة ؟ سنحاول التعرض إلى رأي الفلاسفة في ما يلي ونبدأ بالحديث عن مصدر النبوة عن الكندي.

1. النبوة عند الكندي :

لقد تطرق الكندي كغيره من الفلاسفة إلى مسائل فلسفية مهمة وكبرى كوجود الله وكالنبوة وكالمعرفة وغيرها، وحاول أن يعمق البحث فيها وسعى إلى التوفيق بين مسائل الفلسفة والدين أو الحكمة والشريعة كما يقول ابن رشد في فصل المقال.

فتحدث الكندي وهو يدافع عن الفلسفة في الرسالة التي بعثها إلى المعتصم بالله عن المسائل التي تبحث فيها الفلسفة والتي تحدث فيها الرسل والأنبياء فقال: « لأن في علم الأشياء بحقائقها علم الربوبية وعلم الوحدانية وعلم الفضيلة وجملة كل علم نافع والسبيل إليه البعد عن كل ضار والإحتراس منه واقتناء هذه جميعا هو الذي أتت به الرسل

---

[125].عبد القادر الجزائري: المقراض الحاد، ص(162-163)

الصادقة عن الله جلّ شأنه »[126]، إن الذي يلاحظ هنا في كلام الكندي هو أنه يشير إلى المسائل المشتركة بين الفلسفة والدين، ولكن هل طريق الفلسفة هو طريق الدين؟ أو بمعنى أخر هل حصول المعرفة بحقائق هذه الأشياء عند النبي هو نفسه عند الفيلسوف ؟

يقول عاطف العراقي:« إننا إذا رجعنا إلى رسالة الكندي في كمية كتب أرسطو وما يحتاج إليه في تحصيل الفلسفة وجدناه بعد بيانه لفروع العلوم الفلسفية على النحو الذي نجده عند أرسطو طاليس يتحدث عن علوم إلهية أي علوم الأنبياء التي لا تأتي فيما يقول عن طريق التحصيل والإكتساب بل عن طريق الإلهام »[127].

فطريق اكتساب المعرفة والعلوم بهذه الأشياء عند الأنبياء يختلف عما هو عند الفلاسفة ويبيّن ذلك بقوله:« فأما الرسل فلا شيء من ذلك بل بإرادة مرسلها جل وتعالى بلا زمان يحيط بطلب ولا غيره، تستيقن العقول أن ذلك من عند الله تعالى »[128]، إن ما يأتي به النبي إنما يكون عن طريق الإلهام وما يأتي به الفيلسوف إنما يكون بالإكتساب والتدرب وطول البحث، بل إن الفيلسوف قد لا نجد عنده إجابات عن مسائل أجاب عنها الرسل والأنبياء في إيجاز وإحاطة شاملة.

فالفلاسفة تأتي علومهم عن طريق الإكتساب والتدرب والتجربة وطول البحث واتباع مباديء منطقية ورياضية وما شابه ذلك من طرق تعد كسبية وتأتي خلال الزمان، ومن الواضح أن طريق اكتساب هذه العلوم يختلف عند الأنبياء والفلاسفة بل ويختلف من فيلسوف إلى أخر ومن مذهب إلى مذهب فلسفي أخر

إن الكندي عندما قرر الفرق بين علوم الأنبياء -العلوم الإلهية- وعلوم الفلاسفة بيّن لنا الفروق التي تمتاز بها علوم الأنبياء ولا نجدها عند الفلاسفة ولكي يبين ذلك بوضوح ضرب لنا أمثلة كما في قوله:« إنه إن تدبر متدبر جوابات الرسل فيما سئلوا عنه من الأمور الخفية التي إذا قصد الفيلسوف الجواب فيها يجهد حيلته التي اكتسبه عملها الطويل الدؤوب في البحث والترويض ما نجده اتي بمثلها في الوجازة والبيان وقرب السبيل والإحاطة بالمطلوب كجواب النبي ﷺ فيما سأله المشركون عنه مما علمه الله، إذ

---

[126].عاطف العراقي: مذاهب فلاسفة المشرق، ص36.
[127]. عاطف العراقي: المرجع ذاته، ص(36-37)
[128]. عاطف العراقي: المرجع ذاته، ص(37)

هو بكل شيء عليم لا أولية له ولا نهاية بل سرمدا أبدا، إذ تقول له وهي طاعنة ضانة أنه لا يأتي بجواب فيما قصد به السؤال عنه صلوات الله وسلامه عليه يا محمد: « من يحي العظام وهي رميم ».

إذا كان ذلك عندها غير منازعة فأوحى الله إليه الواحد الحق جلّ ثناؤه: « قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم » إلى قوله:« كن فيكون »[129]. فأي دليل في العقول النيرة الصافية أبين وأوجز من أنه إذا كانت العظام بل إن لم تكن، فممكن إذا بطلت بعد أن كانت وصارت رميما أن تكون أيضا، فإن جمع المتفرقات أسهل من صنعه وأيسر من إبداعه، فأما عند باريهم فواحد لا أشد ولا أضعف، فإن القوة التي أبدعت ممكن أن تنشيء ما أدثرت وكونها بعد إن لم تكن موجودة للحس فضلا عن العقل، فإن السائل عن هذه المسألة الكافر بقدرة الله جلّ وتعالى مقر أنه كان بعد أن لم يكن وعظمه لم يكن هو معدوم فعظمه كان إضطرارا بعد أن لم تكن. فإعادتها وإحياؤها كذلك أيضا فإنها موجودة حية بعد أن لم تكن حية فيمكن أيضا أن تصير حية بعد إذ هي لا حية».

ويواصل الكندي بيانه لما أراد أن يذهب إليه بقوله:« فأي بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع في قول بقدر حروف هذه الآيات ما جمع الله جلّ وتعالى إلى رسوله ﷺ فيها من إيضاح أن العظام تجيء بعد أن تصير رميما وأن قدرته بخلق مثل السماوات والأرض وأن الشيء يكون من ليس منه، كلت عن مثل ذلك الألسن المنطقية المتخيلة وقصرت عن مثله نهايات البشر وحجبت عنه العقول الجزئية »[130].

فالكندي يرى أن هناك فرقا شاسعا وبعيدا بين منهج الفلاسفة وطرق الأنبياء، فما يقوله الفلاسفة لا يتسم بالوضوح والدقة والإيجاز والبيان كالذي يقوله الأنبياء، كما أن علم الفلاسفة يكون بالرياضة والمحاولة والإكتساب، بينما الأنبياء يأتيهم العلم بالوحي خارج الزمان. كما أن الفلاسفة يأتي علمهم بطرق منطقية وأساليب رياضية وخلال الزمان.

---

[129]. سورة يس الآية 83

[130]. عاطف العراقي: المرجع السابق، ص38

2. النبوة عند الفارابي :

من كتب اليونان التي تأثر بها بعض الفلاسفة الإسلاميين وعلى رأسهم الفارابي، فاستقوا منها أراءهم في كثير من المسائل منها الوحي والنبوة، كتاب « إثيولوجيا أرسطو» هذا الكتاب يتحدث فيه أرسطو عن فيض العالم عن كائن أول، ويجعل سلسلة من الوسطاء بين هذا الكائن الأول والإنسان، لهذا نجد الفارابي في تفسيره للوحي والنبوة متأثرا بنظرية الفيض.

فهو يفسر الوحي إنطلاقا من نظرية الفيض فيقول: « إن العقل الفعال يشرق دائما وباستمرار الحقائق على العالم، ولكن الأنفس ذات المخيلة الصافية النقية تتلقى هذه الحقائق وتعبر عنها بلغة بشرية تجعلها في متناول حواس الآخرين ومخيلتهم حيث يوجد صدى ضئيل لهذه الحقائق »[131].

فالنبوة بهذا المفهوم عنده ليست أمرا فوق العادة والطبيعة ولا شيئا خارقا للعادة وإنما هي ظاهرة طبيعية كسائر الظواهر الأخرى، فالنبي إنسان بلغت قوته المتخيلة غاية الكمال حيث الصور التي ترد إلى الحس من العالم الخارجي وتعيد تركيبها لتبتدع صورا جديدة لا وجود لها في علم الحس والواقع، وتتميز القوة المتخيلة عنده بالخصائص التالية:

1«إنها تتمتع بقوى هائلة تجعلها على اتصال دائم بالعالم الأعلى وهذا ما يفسر الرويا الصادقة والنبوة

2. القوة المتخيلة تحفظ الصور التي تردإلى الحس من العالم الخارجي وتعيد تركيبها لتبدع منها صورا جديدة

3. القوة المتخيلة إذ بلغت نهاية الكمال يتلقى صاحبها في يقظته من العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ويتلقى محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة في العالم الأعلى ويراها معاينة فيكون له بما تلقاه من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية، وإنذارا بما سيكون وإخبارا بما هو كائن من الجزئيات. فهذه هي أكمل المراتب التي تنتهي إليها وأكمل المراتب التي يبلغها الإنسان بقوته المتخيلة»[132].

---

[131].الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص21

[132]. عبد الرحمن مرحبا: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص50.

مصدر الحقائق :

يرى الفارابي أن الحقائق الأشياء خارجة عن النطاق المادي المحسوس وأبعد من اللغة التي تستخدم للتعبير عنها فاللغة عبارة عن رموز فيقول:« أما الحقائق في ذاتها فإنها تفوق هذا النطاق المادي المحسوس أعني اللغة التي أستخدمت للتعبير عنها، ويستطيع الفيلسوف وحده بفضل المنطق والتأمل العقلي أن يرتقي حتى مصدر هذه الحقائق، أعني العقل الفعال ويدركها جلية واضحة، وبمعنى أخر يستطيع الفيلسوف أن يفهم الصورة العقلية القائمة في العقل الفعال »[111].

يبدو من هذا الكلام أنه يجعل الفيلسوف في مرتبة عقلية أسمى من مرتبة النبي. فالنبي هو إنسان منح مخيلة عظيمة يمكنه بها الوقوف على الإلهامات السماوية في مختلف الظروف والأوقات في اليقظة والمنام ومخيلة الإنسان يوحى إليها إذ لم يبق بينه وبين العقل الفعال واسطة وبذلك يجعل النبوة أمرا ممكن ومتيسرا لكل من بلغت قوته المتخيلة درجة عالية من القوة والصفاء، وكل من وصل إلى هذه المرتبة يكون قد وصل إلى مرتبة النبوة من الفلاسفة وغيرهم.

وبهذا تصبح النبوة أمرًا يمكن كسبه لكل من بلغت مخيلته هذه المرتبة وليس هبة من الله واصطفاء لمن شاء من خيرة عباده لتبليغ رسالته وتلقي وحيه كماقال المتكلمون فعنده الفيلسوف تأتيه المعرفة من العقل الفعال إلى العقل المنفعل بتوسط العقل المنفعل ومن كان هكذا فهو الحكيم الفيلسوف الذي يتلقى المعرفة عبارة عن حقائق مجردة مما تضفيه عليه المتخيلة، أما النبي فالمعرفة تفيض عليه من العقل الفعال إلى القوة المتخيلة فالنبي يتصل بالعقل الفعال بواسطة العقل المستفاد الذي يحصل له بعد حصول العقل الفعال.

وبهذا يسوي بين النبي والفيلسوف في مصدر المعرفة وفي درجتها ويجعلها عند الفيلسوف كما هي عند النبي ويرى أنها شيئ يمكن أن يكتسبه كل من توفرت فيه هذه الشروط.

---

[111]. الفاراي: المرجع السابق، ص21

وقد رد ابن تيمية على قول الفارابي وبين أنه يفضل الفيلسوف على النبي وقد ذكر رأيه رشاد سالم فقال: « وأما كلام الفارابي الذي يذهب فيه إلى اختصاص الفيلسوف بالقوة العقلية واختصاص النبي بقوة المتخيلة مما أدى إلى تفضيل الفيلسوف على النبي فإنه يتضح في كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة حيث كتب فصلا بعنوان القول في سبب المنامات وأتبعه بفصل آخر بعنوان القول في الوحي ورؤية الملك، حيث يقول:«ولا يمنع أن يكون الإنسان إذا بلغت قوته المتخيلة نهاية الكمال فيقبل في يقظته عن العقل الفعال الجزئيات الحاضرة والمستقبلة أو محاكياتها من المحسوسات ويقبل محاكيات المعقولات المفارقة وسائر الموجودات الشريفة فيكون له بما قبله من المعقولات نبوة بالأشياء الإلهية »[134]، ويقول أيضا وهو يعرض لموقف ابن تيمية من الفلاسفة: « وأما النتيجة الثالثة من نتائج كلام الفلاسفة في النبوة وهي أن كلامهم أدى إلى القول بأن النبوة ليست وقفا على الأنبياء والرسل بل النبوة يمكن اكتسابها وما يزال بابها مفتوحا لم ينقطع بعد محمد ﷺ »[135].

وقول الفارابي بخصائص النبوة الثلاث أدى إلى الإعتقاد بأن من توافرت فيه هذه الخصائص أمكنه أن يصبح نبياء وفي مجال إثبات إمكان النبوة ذكر أن ما يتصف به الأنبياء ليس شيئا معجزا بل يمكن أن يحدث مثله لغيرهم من الناس، ومثال ذلك القوة النفسانية "الثالثة" التي يختص بها النبي والتي يتصرف بها في هيولي العالم فإنه جعلها من نوع القوة النفسانية التي للحسود والتي يؤثر بها فيمن يحسده، ومن نوع السحر والكهانة.

3. النبوة عند ابن سينا :

ينطلق ابن سينا في حديثه عن النبوة والمعرفة من نظرية العقول العشرة ويربط اكتساب النفس البشرية للمعرفة بمدى اتصالها بهذه العقول، ويرى أن المعرفة تحصل للمتعلم إما من نفس المعلم أو من غيره، والمعلمون منهم من يكون أقرب إلى التصور لأن استعداده أقوى، فإذا كان لإستعداد لدى شخص ما قويا كان ذلك الإنسان مستعدا لإستكمال فيما بينه وبين نفسه ويسمى هذا الإستعداد "حدسا".[136]

---

134. محمد رشاد سالم: مقارنة بين الغزالي وبن تيمية، ص96
135. محمد رشاد سالم: المرجع ذاته، ص120
136. فعل للذهن يستنبط به بذاته الحد الأوسط

ويرى أن من الناس من يكون في استطاعته الاتصال بالعقل الفعال واكتساب المعرفة من غير كبير عناء ودون أن يحتاج إلى تعليم وتخريج فيصير كأنه يعرف كل شيء من نفسه وهذه الحال تسمى عقلا قدسيا وهو من جنس العقل بالملكة، فيقول : « فإن كان ذلك الإنسان مستعدا للإستكمال فيما بينه وبين نفسه يسمى هذا الإستعداد القوى "حدسا"، وهذا الإستعداد قد يشتد في بعض الناس حتى لا يحتاج في أن يتصل بالعقل الفعال إلى كبير عناء أو إلى تخريج وتعليم، بل يكون شديد الإستعداد لذلك كان الإستعداد الثاني حاصل له، بل كأنه يعرف كل شيء من نفسه »[117].

مصدر المعرفة عند ابن سينا :

ويرى ابن سينا أيضا أن الأمور المعقولة « إنما تحصل بحصول الحد الأوسط في القياس، وهذا الحد الأوسط قد يحصل بضربين من الحصول، فتارة يحصل بالحدس وتارة يحصل بالتعليم ومباديء التعليم الحدس، فإن الأشياء لا محالة تنتهي إلى حدوس استنبطها أرباب تلك الحدوس ثم أدوها إلى المتعلمين فجائز إذن أن يحصل أو يقع للإنسان بنفسه الحدس وأن ينعقد في ذهنه القياس بلا معلم »[118] .

ثم يذهب بعد ذلك إلى القول بأن هذا الحدس يقبل الزيادة والنقصان فيمكن أن يتناقض إلى حد ينعدم فيه البتة، ويمكن أن يتزايد إلى أن يصل إلى حد يكون للشخص حدس في كل المطلوبات أو أكثرها، أو يكون له حدس في أسرع وقت ممكن أو أقصره فيقول : « ولأن هذا التفاوت ليس منحصرا في حد بل يقبل الزيادة والنقصان دائما، فيجب أن ينتهي أيضا في طرف الزيادة إلى من له حدس في كل المطلوبات أو أكثرها أو إلى من له حدس في أسرع وقت وأقصره »[119]، ويبين بأن هناك من الناس من يملك مؤيدات لنفسه كشدة الصفاء وشدة الاتصال بالمباديء العقلية إلى أن يشتعل حدسا أي قبولا لإلهام العقل الفعال في كل شيء.

---

117. ابن سينا: كتاب الشفاء، ص245

118. البير نصري نادر: المرجع السابق، ص68

119. ابن سينا: المرجع السابق، ص246

وعندما يصل الإنسان إلى هذه الدرجة فإنه كما يقول: « ترتسم فيه الصور التي في العقل الفعال من كل شيء دفعة واحدة أو قريبا منها إرتساما لا تقليديا بل بترتيب يشمل الحد الأوسط »[140].

فهذه هي النبوة بل هي أعلى درجات النبوة عنده لأنه ينتهي إلى القول بأن المعرفة التي تكتسب بهذه الكيفية هي أعلى درجات النبوة وهذا ما يجليه قوله :« فإن التقليديات في الأمور التي إنما تعرف بأسبابها ليست يقينية عقلية وهذا ضرب من النبوة، بل هو أعلى درجات النبوة، والأولى أن تسمى هذه القوة قوة قدسية وهي أعلى مراتب القوى الإنسانية »[141].

إن الذي يلاحظ هنا في كلام إبن سينا أنه يتكلم عن المعرفة الحدسية ويقرر أن هذه المعرفة تقتبس من العقل الفعال وهي نوع يفوق المعرفة الإستدلالية لأنها تدرك مباشرة بعض الحقائق المطلقة للعقل الفعال فالقوة القدسية والعقل القدسي إستعداد قوي في بعض الناس يقبلون بمقتضاه المعارف مباشرة من العقل الفعال بنوع من الإلهام، فمن كان له هذا العقل فإنه حائز على الحقيقة ولم يعد بحاجة إلى الشرع.

وبهذا يكون ملخص كلامه في النبوة أنها أمر يكتسبه الإنسان، فالنبوة هي اتصال بالعقل الفعال ومعرفة ما لم يعرف تشترك في فعلها قوتان :

1. عقل ذكي مثل العقل القدسي يتلقى العلوم.
2. متخيلة قوية تحاكي هذه العلوم بأمثلة محسوسة ومسموعة من الكلام.

وللنبي خاصة ليست لجميع الناس هي القدرة على المعجزات وهذه القدرة طبيعة له حاصلة عن استطاعته التأثير في أجرام وتقدس تأثيره في بدنه فيشفي الناس ويعرف الوباء ويخضع الطير والسباع. أما من وهب هذه القدرة ولم يكن خيرا رشيدا، بل يستعمل قدرته للشر فهو ساحر خبيث. فابن سينا يسوي بين الرؤيا والنبوة، ويشابه بين السحر وبينها ويجعلهما يصدران عن قدرة واحدة. ويعتبر النبوة أمرا بمقدور الإنسان الذي أوتي عقلا ذكيا ومخيلة قوية أن يصل إليها.

---

140. ابن سينا: المرجع السابق، ص246
141. ابن سينا: المرجع السابق، ص246

يظهر من كل ما سبق في صلة النفس بالعقل الفعال أن الرؤى الصادقة والعلم بالغيب والنبوة مظاهر مختلفة لواقع واحد هو قدرة النفس في بعض الحالات أو بعض الأشخاص على الإتصال بالعقل الفعال وبالتالي القدرة على معرفة المجهول، وهكذا شابه ابن سينا بين النبوة والرؤيا والسحر كما رأينا من قبل.

2. حقيقة النبوة :

بعد الذي عرضناه من آراء المتكلمين والفلاسفة حول النبوة، يمكن لنا أن نتساءل عن حقيقة وماهية النبوة، هل هي كما يرى المتكلمون منحة ربانية خالصة أم هي كما يقول الفلاسفة تحصل بالمجاهدة والرياضة الروحية النفسية ونتيجة عوامل ذاتية؟

إن حقيقة النبوة أكبر من كل الجدل والخلاف الذي ثار حول مسائلها، فهي تكليف من الله عز وجل لإنسان قد أعدته العناية الإلهية إعدادا تاما لكي يكون صالحا لهذا التكليف، وعلى ذلك فهي ليست اكتسابا كما أنها ليست خاضعة للممارسات الشخصية والإعداد الذاتي، فالإنسان لا يستطيع أن يصل إلى درجة النبوة بأي وسيلة من الوسائل الذاتية، يقول الدكتور طه الدسوقي في كتابه نظرية النبوة في الإسلام، « فالإنسان لا يستطيع مثلا أن يجاهد نفسه بالرياضة والصبر على ألوان العبادات وتهذيب النفس بأضرب من الرعاية لحقوق الله لكي ينال هذه الدرجة والشرف وهذه المرتبة من الكلام، كما أنه ليس من الممكن أن يسبر الإنسان غور نفسه ويستبطن اللباب من شخصيته ليقف على كدرات المادة ومعوقات الصفاء النفسي، والأسباب والموانع التي تقف به عن اقتحام وادي الأسرار الإلهية وخزائن العلوم الربانية فيتخلص من هذه العلائق ويصفي نفسه من هذه الكدرات حتى يكون في النهاية نبي زمانه، ورسول أمته المجتبى لا يمكن هذا ولا يمكن ذاك »[1.12]، فالنبوة ليست إذن أمرًا يعود إلى قدرة الإنسان ومجهوده وإنما هي كما ويقول محمد قطب :« أما الرسالة والنبوة فموهبة من الله ذات طبيعة مختلفة، انه لا يد للإنسان فيها ولا كسب ولا اختيار، إنما هي اصطفاء خالص من جانب الله سبحانه وتعالى لعبد من عباده يجتبيه وينعم عليه ويبعثه بالهداية إلى الناس. لا يوجد عمل معين يعمله الإنسان من جانبه فيرتقي به إلى مرتبة النبوة ولو أنفق عمره كله فيه »[1.13]، وعلى هذا يمكن أن نقول أن النبوة في حد ذاتها مرتبة فوق مراتب البشر العاديين، فالبشر متفاوتون في

1.12. طه الدسوقي: نظرية النبوة في الإسلام، ص05

1.13. محمد قطب: كتاب منهج علم التوحيد، ج3، ص10

مراتبهم، منهم الحقير ومنهم العظيم، ولكنهم في أعلى درجات عظمتهم يقفون عند حد معين هو أدنى من مرتبة النبوة، فإذا اختار الله واحدا من البشر الممتازين ليجعله نبيا فإنه يرفعه من مكانه الذي كان فيه ليضعه في مرتبة جديدة عالية لم يكن ليصل إليها من ذات نفسه مهما اجتهد، لأنها خارج الحدود التي يستطيع البشر أن يصلوا إليها باجتهادهم ويصبح منذ لحظة اصطفائه شخصية أخرى بشرية -نعم- في كل تصرفاتها العادية ، ولكن مشتملة على عنصر جديد لا يتاح للبشر العاديين، ذلك هو الإتصال بالله ﷻ عن طريق الوحي.

3. مناقشة نظرية الفلاسفة في النبوة :

إن آراء الفلاسفة حول النبوة متأثرة إلى حد بعيد بما تلقوه من فلسفة الأمم السابقة والتي هي في حقيقة الأمر متأثرة بما يعتقدونه ويدينون به، وهذا ما يشير إليه بعض الباحثين قديما وحديثا، فابن طفيل في رسالته المشهورة حي بن يقظان يقول :« وأما ما وصل إلينا من كتب أبي نصر فأكثرها في المنطق وما ورد في الفلسفة فهي كثيرة الشكوك، فقد أثبت في كتابه الملة الفاضلة بقاء النفوس الشريرة بعد الموت في الألم لا نهاية لها، ثم صرح في السياسة المدنية بأنها منحلة وصائرة إلى العدم وأنه لا بقاء للنفوس الكاملة، ثم وصف في كتاب الأخلاق شيئا من السعادة الإنسانية وأنها إنما تكون في هذه الحياة وفي هذه الدار، ثم قال عقب ذلك كلاما هذا معناه وكل من يذكر غير هذا فهو هذيان وخرافات عجائز، فهذا قد أيأس الخلق جميعا من رحمة الله تعالى وصير الفاضل والشرير في رتبة واحدة إذ جعل مصير الكل إلى العدم، وهذه زلة لا تقال وعثرة ليس بعدها جبر، هذا مع ما صرح به من سوء معتقدة في النبوة وأنها بزعمه للقوة الخيالية خاصة وتفضيله الفلسفة عليها إلى أشياء ليس بنا حاجة إلى إبرازها »[1].

ونفس الشيء ذهب إليه بعض المستشرقين منهم ريتشارد فالتزر حيث بين أن الفارابي ومن بعده من الفلاسفة تأثروا بأفلاطون، وهذا ما أشار إليه محمد رشاد سالم في كتابه مقارنة بين الغزالي وابن تيمية فيقول:«ويرى ريتشار فالتزر إمكان تأثر الفارابي وهو أهم من صاغ نظرية النبوة من الفلاسفة المسلمين بكلام أفلاطون في بعض

---

[1]. ابن طفيل:رسالة حي بن يقظان، منشورة ضمن كتاب الفكر التربوي عند إبن طفيل، عبدالأمير شمس الدين، ص75

محاوراته وكلام أرسطو في كتابه -في الفلسفة- كما أنه قد تأثر بشروح الإسكندر الأفروديسي وبنظرية الفيض في الفلسفة الأفلاطونية.

ويمكن أن يكون كلام الفارابي عن المخيلة وقوتها قد أخذ عن بعض الفلاسفة اليونانيين الذين تأثروا بكلام أرسطو عن المخيلة أو الفنطاسيا بعد أن حورت بواسطة الرواقيين، ثم أخذت اتجاها جديدا على يد فلاسفة الأفلاطونية المحدثية[145].

وقد شدد ابن تيمية النكير على الفلاسفة في العبارات التي استعملوها في النبوة والتي جعلته يقول عن الفارابي إنه كان يذهب إلى أن النبي ما كان يعلم الحق كما يعلمه شطار الفلاسفة وأنه وأمثاله كابن عربي واتباعه كانوا يفضلون الفيلسوف على النبي. وإلى نفس الرأي ذهب دي بور في كتابه تاريخ الفلسفة في الإسلام حيث يقول وهو يذكر النبوة بين حين وآخر،« وكأنها عنده أعلى مرتبة يبلغها الإنسان في العلم والعمل، ولكن هذا ليس رأيه الحقيقي، أو على الأقل ليس هو النتيجة المنطقية التي تلزم عن فلسفته النظرية، تقول هذه الفلسفة إن كل أمور النبوة في الرؤيا والكشف والوحي ونحوها تتصل بدائرة التخيل، فهي في المرتبة الوسطى بين الإدراك الحسي وبين المعرفة العقلية الخالصة، على أنه إذا كان الفارابي في آرائه في الأخلاق والسياسة، يجعل للدين شأنا كبيرًا في التهذيب، فهو يعده من حيث القيمة المطلقة أدنى من المعرفة العقلية الخالصة »

وقد ذهب جبور عبد النور إلى أبعد من هذا حين رأى أن الفارابي في كلامه عن العقول والفيض وما يتصل بذلك كان متأثرا بالفكر الحراني الوثني فقال:« والواقع الاخر الذي يجب أن نقرره، هو أن الفارابي عندما يعرض لنظرية الفيض فيتجاوز الأسس التي وضعها أفلوطين، ويذهب في سلسلة الروحانيات أو العقول المفارقة كما يسميها مذهبا لا تتبين له شبيها عند الإسكندريين، عندما نرى هذا الإختلاف نجد أن ما يوضحه في مذهب الحرانيين »[147]، وبهذا الرأي يكون الفارابي قد أخذ آراءه عن الحرانيين واتبع خطتهم في تحصيل الفيض ولم يأخذها عن أفلوطين، وما يؤيد ذلك هو إقامة الفارابي بحران

---

145. محمد رشاد سالم: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، ص70
146. محمد رشاد سالم: المرجع ذاته، ص98
147. محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص347

واتصاله بيوحنا ابن حيلان وينتهي إلى القول أن الفارابي لم يكن مسلما إلا في ظاهره وإنما كان وثني الأصل والنشأة.

وإذا عدنا إلى بعض الكتاب والمفكرين المسلمين في العصر الحديث نجد ما يبين حقيقة مذهب الفلاسفة في النبوة فقد بين محمد البهي حقيقة مذهبهم وعلى رأسهم الفارابي بكلام طويل نلخصه فيما يلي « وإذا كان الفارابي في تعبيره هناك في كتاب فصوص الحكم موفقا بين الدين والفلسفة كما رأينا، فهو في تعبيره هنا في كتاب عيون المسائل الفلسفية والأجوبة عنها يحكي فكرة فلسفية إن كانت لها صلة بدين فليست لها صلة بالإسلام على الأقل »[148].

وأما جبور عبدالنور فيري أن الفارابي في فكرة العقول هذه التي تمثل الواسطة بين الإله والعالم والتي تجعل في النهاية للأفلاك والكواكب أثرا في الأحداث الطبيعية ومنها الإنسان تأثر بالفكر الحراني الوثني القائم على إسناد التأثير في العالم الأرضي إلى الكواكب المختلفة وما يتصل بها أو ما يسكنها من عقول ونفوس مثل زحل والمشتري والمريخ والشمس والزهرة وعطارد والقمر، وغير عن ذلك بقوله « والواقع الآخر الذي يجب أن نقرره هو أن الفارابي عندما يعرض لنظرية الفيض فيتجاوز الأسس التي وضعها أفلوطين ويذهب في سلسلة الروحانيات أو العقول المفارقة كما يسميها مذهبا لا نتبين له شبيها عند الإسكندريين، وعندما نرى هذا الإختلاف نجد ما يوضحه في مذهب الحرانيين في الفلسفة الأفلوطينية ترى أن أول مخلوق يحدث عن العلة الأولى بطريقة الفيض يشابه الخالق وهو صانع العالم مشابهة كبيرة في كماله وصفاته، ويسمى العقل وهو بدوره يوجد الروح الكلية، ثم ينتقل أفلوطين من الروح الكلية إلى المادة والصورة والكائنات الحسية التي تتألف منها. وأما الفارابي فيقول بانبثاق العقل الأول من العلة الأولى وينبثق من الأول عقل ثان يدير شؤون الأفلاك ثابتة، ومن الثالث عقل رابع يدير كرة زحل، ثم العقل الخامس للمشتري والسادس للمريخ والسابع للشمس والثامن للزهرة والتاسع لعطارد والعاشر للقمر»[149].

---

[148]. د. محمد البهي: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي، ص345-346

[149]. د. محمد البهي: المرجع ذاته، ص346

وعند النظر والتدقيق في هذه النظريات الفلسفية حول النبوة نجد فيها خلطا كبيرا يتنافى مع حقيقة النبوة، وقد انتقد محمد الصادق عرجون قول الفلاسفة في معرفة حقيقة النبوة والوحي فقال « وقد غلط الفلاسفة المنتسبون إلى الإسلام في معرفة حقيقة النبوة والرسالة والوحي لإفراطهم في تقديس الفلسفة اليونانية التي أبطل العلم التجريبي أكثر نظرياتها وآراء زعمائها، فتوهموا أن النبوة ضرب من التخيل إذا قوي واستكمل وجوده في الإنسان وخلص من تأثير المحسوسات الواردة عليه من خارج طبيعته، وتحرر من قيود تأثير القوى الناطقة لاحت له حقائق الأشياء فيضا يفيض عليه من ذات نفسه يقضة أو منامة وهذا هو النبوة والوحي عندهم. فالوحي الذي تتحقق به النبوة والرسالة في نظرهم هو فيض النفوس العليا الذي يكشف للنبي الحقائق يقظة أو منامة برموز وأمثال من نظائرها في عالم الحس والشعور تنزلا من فيض العقل الفعال على النفوس الصافية. وقد تناقل ذلك خلفهم عن سلفهم فذكره الفارابي في مدينته الفاضلة صريحا مبسوطا لا يحتمل التأويل، لأنه صرح في هذا الكتاب بأن النبوة من جنس المنامات، ثم التقط فكرته من بعده ابن سينا في إشاراته »[150].

كما انتقد ابن تيمية من قبل هذا الكلام الذي قال به الفلاسفة في كثير من كتبه ومما قاله : « وأما زعم المتفلسفة أنه -أي العلم والمعرفة- بالعقل الفعال فمن الخرافات التي لا دليل عليها، وأبطل من ذلك زعمهم أن ذلك هو جبريل وزعمهم أن كل ما يحصل في عالم العناصر من الصور الجسمانية وكمالاتها فهو من فيضه وبسببه -العقل الفعال- فهو من أبطل الباطل، ولكن إضافتهم ذلك إلى أمور روحانية صحيح في الجملة فإن الله سبحانه يدبر أمر السماوات والأرض بملائكة التي هي السفراء في أمره، ولفظ الملك يدل على ذلك وبذلك أخبرت الأنبياء، وأما تخصيص روح واحد متصل بفلك القمر هو رب هذا العالم فهو باطل »[151].

وعلى كل فالأولى والأصح أن نستعمل في مسائل العقيدة والنبوة العبارات الواضحة ونبتعد عن الألفاظ الرمزية التي يستعملها الفلاسفة لكي لا نقع في الجدل والخلاف الذي يضر أكثر مما ينفع وخاصة في موضوع كالنبوة، فهي كما قال محمد الغزالي :« من معالم الإسلام لا ترسمها إجتهادات الأنبياء ولا تتبع من فلسفات فكرية

150. محمد الصادق ابراهيم عرجون: محمد رسول الله منهج ورسالة، ج1، ص488-449
151. ابن تيمية: نقض المنطق، ص39-32

خاصة بل هي توفيق من الله تعالى وتمش مع أمره وأن البعد عنها هو ميل مع الشهوات واتباع للضلالات »[152].

فالأنبياء والرسل بشر اصطفاهم الله تعالى واختارهم من بين سائر الناس ليكونوا مبلغين عنه وحيه إلى عباده فهم يتحلون بمجموعة من الصفات تؤهلهم إلى أن يكونوا في مكان الصدارة من البشرية جمعاء، وفي الفصل الموالي سنبحث أهم هذه الصفات وعلاقتها بالنبوة والرسالة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[152]. محمد الغزالي: مع الله، ص18

الفصل الثالث

الصفات الضرورية للأنبياء

المبحث الأول: أهم صفات الأنبياء عند المتكلمين

1. بشرية الرسول
2. كمال العقل
3. الصدق
4. الأمانة
5. الفطانة والذكاء
6. السلامة من العيوب
7. ضبط النفس ،

المبحث الثاني: صفات الأنبياء عند الفلاسفة

1. الفارابي
2. ابن سينا

المبحث الثالث : العصمة

1. مفهوم العصمة :

أ. العصمة لغة

ب. العصمة إصطلاحًا

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2. العصمة عند المتكلمين والفلاسفة :
   أ. المتكلمون
   ب. الفلاسفة
3. تأثير المعصي والذنوب في مسار تربية الأنبياء
4. الحاجة إلى العصمة
5. عصمة الأنبياء والرسل عن الذنوب والمعاصي :
   أ. العصمة فيما يخل بالتبليغ
   ب. العصمة فيما لا يخل بالتبليغ
   ج. أفعال الرسول قبل البعثة
   د. أفعال الرسول بعد البعثة
6. العصمة والإختيار

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الأول
أهم صفات الأنبياء عند المتكلمين

الأنبياء والرسل بشر حباهم الله تعالى بالوحي واصطفاهم من بين سائر الناس ليكونوا مبلغين وحيه وشريعته إلى العباد. ولا ريب أن الله اصطفى هؤلاء الأنبياء والرسل من بين سائر عباده وهم في أعلى المراتب، وعلى أفضل الصفات.

وصفات الأنبياء منها الخِلقية ومنها الخُلقية ومنها النابعة من شخصياتهم وفطرتهم ومنها ما أضفاه الله عليهم بعد الوحي كالعصمة. ومعرفة أهم صفات الأنبياء والرسل أمر مهم في معرفتهم والإطمئنان إلى شخصياتهم ولأن هذه الصفات مرتبطة بالوحي أيضا.

ومادام البشر في حاجة إلى الوحي والرسالة والنبوة فهم في حاجة إلى من يبلغ لهم الرسالة والوحي، وإلى من يأخذ بهم في هذا الطريق تبليغا وتفهيما وتربية على مفاهيم النبوة والرسالة، وليس كل شخص يصلح لأن يكون مبلغا للوحي وحاملا للرسالة الإلهية ومن هنا كان أختيار الأنبياء واصطاؤهم لهذه المهمة غاية في الحكمة فالله تعالى إختار لرسالته ووحيه بشرا على قدر كبير من السمو والرفعة والكمال وجميل الصفات.

ولأن عمل الأنبياء والرسل هو تبليغ الوحي الإلهي وإقامة الحجة على الناس للعمل بالتعاليم الإلهية، فإن هذا العمل وهذه المهمة لا تتم على الوجه الأكمل إلا إذا كان هؤلاء على قدر كبير من الكمال وعلو المنزلة، الأمر الذي يجعل لهم مكانة عالية في نفوس الناس، فيكونون أهلا لأن يقتدى بهم ويؤخذ عنهم وفيما يلي سنتكلم عن أهم الصفات الضرورية للأنبياء والرسل.

I. بشرية الرسول:

كل الأنبياء والرسل الذين أرسلوا من الله تعالى إلى الناس كانوا بشرا وكانوا يتكلمون بلغة قومهم الذين أرسلوا إليهم، وذلك أمر طبيعي، فالرسل هم سفراء الله إلى خلقه يبلغون أوامر الله تعالى ونواهيه، وهم قدوة للبشر في سلوكهم وأخلاقهم وتصرفاتهم، لأنه لما كان لابد في الوسيط والسفير بين الله وخلقه أن يكون ممن يمكن

الإجتماع به والأخذ عنه، بعث الله تعالى الرسل من البشر، ليبلغوا أوامر الله تعالى، ويدعوا الناس إلى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة، فما وجه الحكمة في ذلك ؟

لقد شاءت حكمة الله تعالى أن يبعث الأنبياء والرسل من البشر« ولو كان الرسل من جنس آخر غير جنس البشر كالملائكة لما استطاع البشر أن يأخذوا عنهم أو لا يجتمعوا بهم، بل يكون للناس حجة في عدم اتباعهم من حيث أن طبيعتهم مخالفة لطبيعة البشر، فالملائكة تختلف طبيعتهم عن طبيعة البشر، فطبيعتهم طبيعة روحانية خالصة وهم أكرم عملا وأكرم مقاما وعملهم التسبيح والتقديس ليلا ونهارا لا يفترون، فأين طبيعة البشر من تلك الطبيعة »[153].

ومن جهة أخرى فإن الرسل قد أرسلوا من جنس البشر ومن جوهرهم وذلك لأن كل جنس يستأنس بجوهره ويستوحش بغيره، فمنّ الله على البشر حيث بعث الرسل من جنسهم وجوهرهم ليستأنس بعضهم ببعض وذلك أخذا للقلوب وأدعى للإتباع ثم إن الله تعالى بعث الرسل إليهم من قومهم الذين نشأوا بين أظهرهم وعرفوا صدقهم وأمانتهم ليعرفوا أنهم صادقين فيما يدعون من الرسالة حيث لم يظهر منهم الكذب والخيانة قط ولم يجربوا على أحد منهم الكذب.

ولقد كان أهل الجاهلية يكذبون بالوحي ويعتبرونه شيئا غير قابل للتصديق ثم يبنون ذلك على تصورات خاطئة من عند أنفسهم، فكانوا يقولون إنه لا يمكن أصلا أن يوحي الله إلى واحد من البشر بشيء ذلك أن تصورهم لقدرة الله ناقصة ومحدودة قال الله تعالى: ﴿ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾[154]. وتصورهم كذلك للطاقة البشرية محدودة ومحصورة في نطاق ذواتهم فحسب، فهم يقيسون كل البشر على ذواتهم وعلى أنفسهم فيقولون لا يمكن أن يتنزل وحي على أي واحد من البشر على الإطلاق، قال تعالى:﴿ وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا﴾[155] وقال أيضا:﴿ وعجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا ساحر كذاب﴾[156]، فجاؤوا بهذه الإستحالة ثم رتبوا عليها تصورا آخر خاطئا، فقالوا إذا

---

153. علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق، ص9
154. سورة الأنعام الأية 91
155. سورة الإسراء الأية 94
156. سورة ص الأية 04

كان الله يريد فعلا أن يصنع هذه العجيبة الخارقة وهي تنزيل الوحي، فلابد أن يكون كل ما يتعلق بهذه الظاهرة عجيبا وخارجا عن تصور البشر ومن ثم فلا يجوز في نظرهم أن يتنزل هذا الوحي على واحد من البشر لأن الكيان البشري شيء مألوف وعادي.

فلو أرسل الله إلى البشر ملكا لقالوا يومنذ كيف يرسل الله إلينا ملكا ويطلب منا الإقتداء به ونحن لا طاقة لنا بمجاراة الملائكة فنحن بشر لنا أجساد ونزعات وشهوات، ومن هنا كان الرسل بشرًا كسائر الناس، لهم طبيعة بشرية يشاركهم فيها الجميع، لكنهم يختلفون عنهم ويتفوقون عليهم ويتميزون بالوحي، فالوحي هو ما يتفوق به الأنبياء عن البشر الآخرين، وليست عبقرية النبي أو أخلاقة أو شخصيته هي التي تجعله نبيا أو تجلب له الوحي، وإنما هذه الصفات مطلوبة في النبي.

كما أن اثبات بشرية الرسول تبطل نظرية الحلول والإتحاد، فالذين غالوا في روحانية النبي أخرجوه عن الجانب البشري وعن طبيعة الإنسان وألحقوه بالألوهية فجعلوه إلها من دون الله، فحين يعلم الناس أن النبي بشر يختلف إختلافا كليا عن الإله ولا يمكن أن يحل فيه، تتأكد لديهم أن القول بأن الله يحلّ في بشر أمر غاية في السّخافة والسّفهة.

2.كمال العقل:

أما الصفة الثانية التي يتصف بها الأنبياء فهي كمال العقل وهي صفة مطلوبة مستحسنة عند البشر العاديين فكيف لا تكون عند أفضل الخلق والبشر وهم الرسل، فلا يتصور أن يرسل الله رسولا إلى خلقه مخبولا أو مجنونا أو ناقص العقل، وإذا كان العقل مناط التكليف ولا يكلف غير العاقل، فلابد أن يكون النبي والرسول الذي يأتي بالتكليف ويخاطب العقلاء المكلفين حائزا على كمال العقل وتمامه.

والعقل جوهر الإنسان، وأعزّ شيء فيه وبه يتميز عن الحيوان، ألا ترى أن المجنون يتغير حاله وشكله ويصير كالحيوان لا وزن له ولا قيمة وكل الناس يشفقون عليه.

ثم إذا كانت مهمة الرسل هي دعوة الخلق إلى التوحيد والإيمان بالله وتبليغ أومراه ونواهيه، فإن ذلك يتطلب معرفة بإقامة الحجة والدليل ومجادلة المنكرين ومعرفة طرق الكلام والإستدلال وحسن الخطاب. وهذا لا يتأتى إلا لمن له عقل كامل وذكاء حاد.

ولعل في محاجة إبراهيم عليه السلام لقومه وإقامة الدليل العقلي والمنطقي على وجود الله تعالى ووحدانيته خير دليل على أن الله تعالى قد خص رسله بالذكاء والفطنة، ليستطيعوا إقامة الحجة على أقوامهم. فلقد جرت حكمة الله الأزلية أن يختار للرسالة أكمل الناس عقلا وأقواهم حجة وبرهانا يقول الصابوني: « فلم يبعث الله نبيا من الأنبياء إلا وكان على جانب عظيم من النباهة والذكاء الخارق مع كمال العقل والرشد، إستمع الى قوله تبارك وتعالى في وصف الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين إذا قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون قالوا وجدنا أباءنا لها عابدين قال لقد كنتم أنتم وأباؤكم في ضلال مبين ﴾[157] »[158]

وكمال العقل والفطنة والذكاء أمور ملازمة للأنبياء طول حياتهم لا يعتريهم فيها ما يعتري البشر من الضعف والخرف، يقول الصابوني: « وإذا كان البشر يعتريهم النقص وتضعف قواهم العقلية وربما وصل البعض منهم الى حالة الخرف عند بلوغ سنّ الشيخوخة، فإن الأنبياء الكرام يظلون في القمة العليا من رجاحة العقل، وقوة التفكير، مهما امتدت أعمارهم لأن الله تعالى قد أحاطهم بعنايته وحفظهم برعايته، ولا يمكن أن تضعف حواسهم الفكرية وتتعطل مواهبهم العقلية، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم »[159]، وبهذا يكون الأنبياء أكمل البشر عقولا وأقواهم فكرا وأرقاهم تفكيرا.

3. الصدق :

الصدق صفة ملازمة للنبوة، فإذا كانت صفة الصدق ضرورية للبشر ، فهي بالنسبة للأنبياء ولدعوة الرسل أكثر لزوما وضرورة، بل إن هذه الصفة من الصفات الفطرية فيهم. فلا يمكن لنبي إلا أن يكون صادقا، لأن صفة الكذب وعدم الصدق لا تليق بإنسان عادي فكيف بنبي مقرب أو رسول مكرم.

---

157. سورة الأنبياء الأية (51-54)
158. محمد علي الصابوني: النبوة، ص46
159. محمد علي الصابوني: المرجع ذاته، ص47

والصدق في أبسط تعريفه هو الإخبار عما هو في الواقع، ومطابقته سواء أكان واقعا نفسيا داخليا أو واقعا خارجيا فيعرفه الأصفهاني فيقول:« حد الصدق التام هو مطابقة القول للضمير والمخبر عنه معا، ومتى إنخرم شرط من ذلك لم يكن صدقا»[160]. فالصدق له أهميتة فهو أساس الفضائل الأخلاقية وعليه يقوم نظام المجتمع ولولاه لما بقي المجتمع.

وإذا كان للصدق أهمية بصفة عامة للإنسان العادي والمجتمع فإن أهميته بالنسبة للنبي والرسول أهم وأخطر فعليه يقوم خبر النبوة فلا يجوز بحال من الأحوال أن يصدر من الأنبياء غير الصدق، لأنه كما يقول الصابوني: « لو جاز وقوع الأنبياء في الكذب لما أصبح هناك ثقة فيما ينقولونه من أخبار الوحي أو يروونه عن الله ﷻ إذ يحتمل أن يكون ذلك من الأشياء التي جاءوا بها من تلقاء أنفسهم أو إخترعوها من بنات أفكارهم ونسبوها إلى الله تعالى»[161]. فلابد إذا أن يتصف النبي بالصدق إذ أن الصدق صفة لازمة لدعوة الأنبياء بل من الصفات الفطرية فيها.

وكثيرا ما يقرن القرآن الكريم صفة الصدق بالأنبياء والمرسلين، ويصف النبي محمدا ﷺ بالصدق ويمنع عنه الكذب، يقول الله تعالى: ﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم من أحد عنه حاجزين وإنه لتذكرة للمتقين ﴾[162]. فهذه الآية تقرر حقيقة واحدة لاشك فيها وإحتمال واحد لا إحتمال غيره هو صدق الرسول ﷺ وأمانته فيما بلغه من الوحي ومن الأمثلة الحية على صدق الأنبياء حياة الرسول محمد إبن عبد الله كما هو ثابت في تاريخه وسيرته، فالحياة النبوية تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية لنفس صاحبها فتريك باطنه من ظاهره وتريك الصدق والإخلاص ماثلا في كل قول من أقواله وفي كل فعل من أفعاله بل كان الناظر إليه إذا قوية فطنته وحسنت فراسته يرى أخلاقه العالية تلوح في محياه ولو لم يتكلم أويعمل ومن هنا كان كثير ممن شرح الله صدورهم للإسلام لا يسألون رسول الله على ما قال برهانا، فمنهم العشير الذي عرفه بعظمة سيرته ومنهم الغريب الذي عرفه سيماء في وجهه قال عبد الله ابن سلام رضي الله عنه:« لما قدم رسول الله ﷺ المدينة فجئت

---

160. الإصفهاني: الذريعة إلى مكارم الشريعة ص 194
161. الصابوني: المرجع السابق، ص(41-42)
162. سورة التحريم، الآية 66

في الناس لأنظر إليه فلما إستثبت وجه رسول الله عرفت أنه وجه ليس بوجه كذاب »[163]. فكان يتميز بين أقرانه الفتيان بخلقه الرفيع وبصفة خاصة بحيانه الشديد وبعده عن اللهو الرخيص وبعفته المطلقة، وكان يجذب إهتمام كل من تعامل معه فأكسبه ذلك ثقة كبيرة في قلوب الناس مما برر تسميته بالأمين كما قال دراز »[164].

وقد شهدت قريش بصدقه رغم عدائها الشديد له أمام هرقل عظيم الروم « فلما سألهم هرقل وعلى رأسهم أبو سفيان قبل إسلامه: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قال أبو سفيان ما عرفنا عليه كذب قط، وسألهم هل يغدر قال: لا، فأجاب هرقل قائلا ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله فهذا هو الحق والمنطق السديد والقول الفصل »[165]

وروي أن رجلا من سادة قريش لقي أبا جهل في أحد طرقات مكة فاستوقفه ثم قال له: « يا أبا الحكم ليس هنا غيري وغيرك، أنشدك بالله هل محمد صادق أم كاذب؟ فأجابه أبو جهل بكل صراحة: « والله إن محمدا صادق وما كذب قط، فقال: فما الذي يمنعكم من أتباعه فقال له أبو جهل: تنافسنا وبنو هاشم، وتنازعنا الزعامة والفخر، فأطعموا وأطعمنا، وسقوا فسقينا، وأجاروا فأجرنا، كنا كفرسي رهان، ثم زادوا علينا فقالوا: بعث منا نبي فمن نأتيهم بنبي؟ والله لا نؤمن به ولا نتبعه، فالفضل ما شهدت به الأعداء »[166]. فالصدق إذن إحدى الصفات اللازمة للنبي فهو الصادق الأمين.

4. الأمانـــة :

الأمانة صفة مرتبطة بالصدق، بل جعلها بعض الكتاب مع الصدق بمعنى واحد لإرتباطها وعدم إنفكاك الأمانة عن الصدق، فالصادق لا يكون إلا أمينا. والأمانة هي أن يكون النبي أمينا على الوحي، يبلغ أوامر الله تعالى ونواهيه إلى عباده دون زيادة أو نقص ودون تحريف أو تبديل، فالأنبياء جميعا مؤتمنون على الوحي، يبلغون وحي الله كما أنزل عليهم لا يمكن لهم أن يخونوا أو يحرفوا ما أمرهم الله تعالى بتبليغه، لأن

---

163. عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن، ص24
164. عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص23
165. الصابوني: النبوة والأنبياء، ص(42-43)
166. الصابوني: المرجع ذاته، ص43

الخيانة تتنافى مع الصدق ومع الأمانة، وهل يليق بالنبي أن يخون أمانته، فلا ينصح الأمة ولا يبلغ الرسالة، فلابد أن يكون النبي أمينا على الوحي ولو لم تكن الأمانة الصفة الملازمة لأنبياء لتغيرت مظاهر الرسالة وتبدلت، ولما اطمأن الناس على الوحي المنزل، والقرآن ذاته كشف عن أمانة النبي وصدقه، فلقد تجلت أمانته ﷺ من خلال الوحي الذي بلغه، فقد بلغه بما فيه الذي تضمن عتابا له وتصحيحا لمساره، ولو كان كاتما شيئا مما نزل عليه لكتم هذه الآية الكريمة ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[167]

فقد عاتب القرآن النبي وعارضه ووقع له مالم يكن يرغب فيه ولم يستطع أن يتقول قولا يحمي به عرضه وينسبه إلى الوحي، عندما أرجف المنافقون بحديث الإفك عن زوجه عائشة رضي الله عنها.

يقول دراز: « فماذا كان يمنعه لو أن أمر القرآن إليه أن يقول الكلمة الحاسمة من قبل يحمي بها عرضه ويذب بها عن عرينه وينسبها إلى الوحي السماوي ويلجم ألسنة المخرصين ؟ ولكنه ما كان ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله قال تعالى:﴿ ولو تقولوا علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين، فما منكم عنه من أحد عنه حاجزين ﴾[168]، وأخرى كان يجيئه القول فيها على غير ما يحبه ويهواه، فيخطئه في الرأي يراه، ويأذن له في الشيء لا يميل إليه فإذا لبث فيه يسيرا تلقاه القرآن بالتعنيف الشديد والعتاب القاسي والنقد المر، حتى في أقل الأشياء خطرا، قال تعالى:﴿ يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضات أزواجك ﴾[169]، وقال أيضا:﴿ أما من استغنى فأنت له تصدى وما عليك ألا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فأنت عنه تلهى﴾[170]، فلو كان النبي كاتما لكتم أمثال هذه الآيات »[171] فهذا دليل دلالة قاطعة على أمانة النبي في تبليغ الوحي للناس.

وتشهد كتب التاريخ والسيرة للرسول ﷺ بالأمانة وتدل على أنه كان يعرف بين أترابه بالأمين وقد أشار إلى ذلك كبار المحققين في مصدر الوحي وحياة الرسول، فعبد

---

167. سورة الحاقة: الآية 44
168. سورة الحاقة، الآية 44
169. سورة التحريم، الآية 66
170. سور عبس، الآية 5
171. عبد الله دراز: النبأ العظيم، ص(24-25)

الله دراز يقول : « كان يتميز بين أترابه الفتيان بخلقه الرفيع وبصفة خاصة بحيانه الشديد وبعده عن اللهو الرخيص وبعفته المطلقة، وكان يجذب إهتمام كل من تعامل معه فأكسبه ثقة كبيرة في قلوب الناس مما يبرر تسميته بالأمين »[172].

وبقدر ماكان زواجه من خديجة في سن الخامسة والعشرين، فرصة لرفع مستواه المادي، فقد كشف أيضا عن صفات حميدة أخرى، فقد كلفته خديجة الأرملة الثرية الشريفة النبيلة وهي في الحلقة الرابعة من عمرها بمهمة تجارية الى الشام فأنجزها بذكاء ونزاهة مما أكد عندها أحقيته باسم الأمين، فلابد من توفر صفة الأمانة في كل نبي ورسول لتظل النفس مطمئنة الى سلامة الوحي، والى أن كل ما جاء به النبي هو من عند الله العزيز الحكيم. وقد كان أعداء الأنبياء يعرفون هذه الحقيقة فكانوا كثيرا ما يتهمون الأنبياء بأنهم سحرة وبأنهم يتقولون على الله-الكذب والإفتراء.

5. الفطانة والذكاء :

إتصف الأنبياء والرسل بالفطنة والذكاء والنباهة، فكل من بعث من الأنبياء كان على جانب عظيم من النباهة والذكاء الخارق، مع كمال العقل والرشد. وجميع الأنبياء والرسل أعطاهم الله تعالى العقل والرشد الكاملين فكانوا على أكمل وجوه الذكاء والنبوغ لقد خصهم الله تعالى بذلك ليستطيعوا إقامة الحجة على أقوامهم فقد جرت حكمة الله تعالى الأزلية أن يختار للرسالة أكمل الناس عقلا، وأوفرهم ذكاءا وأقواهم برهانا وحجة ليظهر ضياء الحق وتعلوا دعوة الحق. قال صاحب شرح جوهرة التوحيد:« مما يجب لهم عليهم الصلاة والسلام وجوب الفطانة وهي التفطن والتيقن لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض حججهم، ودليل وجوبها أنما من لم يكن فطنا -بأن كان مغفلا-لا يمكنه إقامة الحجة ولا المجادلة وهم يعترضون في دعوتهم إلى الله تعالى لخصوم يجادلونهم فلا يمكن دمغهم إلا بهذه الخصلة»[173].

وإنّ القرآن يذكر مواقف المحاجة لبعض الأنبياء مع قومهم تكشف عن جانب الذكاء والفطنة في أشخاصهم فقد ذكر القرآن الكريم موقف إبراهيم وهو يحاج قومه وكان على جانب عظيم من النبوغ والذكاء قال تعالى: ﴿ ولقد آتينا إبراهم رشده من قبل وكنا به

---

172. عبد الله دراز: مدخل الى القرآن، ص24
173. ابراهيم الباجوري: شرح جوهرة التوحيد، ص(276-279)

عالمين ﴾[174]. وقال أيضا:﴿ فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون، قالوا من فعل هذا بألهتنا إنه لمن الظالمين؟ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم، قالوا فاتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون، قالوا أأنت فعلت هذا بألهتنا يا ابراهيم؟ قال بل فعله كبيرهم هذا، فسألوهم إن كانوا ينطقون، فرجعوا إلى أنفسهم فقالوا إنكم أنتم الظالمون ثم نكسوا على رؤسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، قال أتعبدون من دون الله مالا ينفعكم شيئا ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون؟ ﴾[175]. وقال تعالى أيضا:﴿ وتلك حجتنا أتيناها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ﴾[176]. وقال تعالى:﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن أتاه الله الملك، إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت، قال أنا أحي وأميت، قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[177].

وهكذا يكون جميع الأنبياء يتميزون بالقوة العقلية الكاملة والذكاء الحاد والفطنة التامة وسيرتهم لا تشهد إلا على ذلك وما سمعنا في التاريخ أن واحدا منهم على خلاف هذه الصورة أو الصفة من الفطنة والذكاء.

6. السلامة من العيوب :

الخلو من المعايب وإجتماع الفضائل في شخص واحد من المستحيلات إلا إذا خلق الإنسان معتدل المزاج، معتدل الشهوات، صحيح الجسم والعقل، قوي الأعصاب من نسل سليم، ليس له وراثة مريضة خاليا من مطامع المادة، ومثل هذا الشخص قد لا يوجد إلا في الأنبياء.

فالسلامة من العيوب من خصائص الأنبياء الكرام والرسل عليهم السلام، فهم الذين تجتمع فيهم الفضائل ويتنزهون عن المعايب لأن الله تعالى اصطفاهم من بين خلقه لتبليغ رسالاته فطهرهم من الأرجاس وحفظهم من كل العيوب، فهم قدوة وأسوة وكل ما من شأنه أن ينفر الناس منهم ويؤثر على سير الدعوة أبعده الله عنهم، فلا يمكن أن تكون فيهم عيوب خلقية أو خلقية تنفر الناس من الإجتماع بهم أو السماع لدعوتهم، كما أن الأمراض

---

174. سورة الأنبياء الأية 51
175. سورة الأنعام الأية 83
176. سورة الأنعام، الأية 13
177. سورة البقرة الأية 257

المنفرة كالبرص والجذام والتشوه الجسدي لا يكون في أحد منهم، ولم نسمع قط عن نبي من أنبيائه تعالى أنه خلقه ناقص الخلقة أو مشوها،اللهم إلا ما قد طرأت على بعضهم وعلى كلّ فإن سلامة الخلق وجمالها عند الأنبياء، إنما هو جمع بين الكمال الباطن والأخلاق وكمال الظاهر والصورة، وأيضا الجمال والحسن محبوب بالطبع ومرغوب فيه والقبح منفور عنه،« فالله تعالى قد صانهم من العيوب المنفرة وسلمهم من الأمراض الشائنة التي تجعل النفوس تنفر منهم »[178] ولا يوجد من البشر من جمع هذه الصفات كلها، فكان سالما من جميع العيوب المنفر إلا الأنبياء والرسل وفي مقدمتهم الرسول محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، والله تعالى لا يصطفي لرسالته إلى من كان بهذه الصفة يقول محمد الغزالي: « ذو الحرمة بيننا يأبون أن يصادقوا مختل الفكر أو مختل الخلق أو معوج السلوك وكيف يرتدي رب العالمين أن ينتسب إليه سقيم العقل هابط السّجايا مضطرب السيرة »[179].

7. ضبط النفس :

ضبط النفس يعني إعتدال الميل إلى الملاذ الحيوانية وخضوعها لحكم العقل، والملذات ليست جسيمة فقط بل هي أيضا تشمل الملذات النفسية كالعواطف. والعفة هي ضبط النفس عن هذه الملذات وكبح القوة الشهوية والإعتدال في الإنفعالات واللذات وخاصة الحسية منها، وإذا نظرنا إلى تاريخ البشرية وإلى حياة الناس نجد أن فيهم من غالى في الملذات والشهوات، ومنهم من غالى في الزهد وحرمان نفسه، وكل يرى أن الفضيلة في مذهبه، أما الأنبياء فالإعتدال هو الميزة والسمة البارزة في حياتهم، فلم تكن الدنيا غاية في حد ذاتها عندهم وفي تعاليم السماء، ولم ينظروا إلى زينتها على أنها شر في ذاتها، بل دعوا إلى التمتع بالطيبات من هذه اللذات وإلى الإعتدال في ذلك، فيتمتع الإنسان في حدود ما أحله الله تعالى بلا إفراط ولا تفريط. فلم يكونوا غارقين في الحس، ولا مجافين له، ولا داعين إلى إماتة الذات ودفن الشهوات بالكامل، بل راعوا أبعاد الطبيعة البشرية وأدركوا ضرورة تكاملها، فكانت حياتهم ترجمة صادقة للتعاليم الإلهية التي تدعوا إلى تهذيب الطبيعة البشرية والإرتقاء بها إلى الكمال. وإذا ما أردنا مثالا على ذلك فخير مثال على ذلك هو النبي ﷺ فهو أكثر الناس تحكما في الأهواء والإنفعالات،

---

[178]. الصابوني: المرجع السابق، ص48

[179]. محمد الغزالي: فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبيا، ص10

فكان بعيدا عن سرعة الغضب والتهور، قادرا على كضم الغيظ والصبر على الناس بمختلف طباتعهم وكان أكثر استمساكا بالعفة وضبط القوى الشهوية.

يقول محمد عبده وهو يتحدث عما يجب اعتقاده تجاه الأنبياء والرسل عليهم السلام:« ومن لوازم ذلك بالضرورة وجوب الإعتقاد بعلو فطرتهم وصحة عقولهم وصدقهم في أقوالهم وأمانتهم في تبليغ ما عهد إليهم أن يبلغوه، وعصمتهم من كل ما يشوه الصورة البشرية وسلامة أبدانهم مما تنبو عنه الأبصار وتنفر منه الأذواق السليمة »[180].

والنبي كما قال الراغب الأصفهاني يجب :« أن لا يكون مؤوفا في بدنه ولا مشوها في خلقته، فقل ما يرى شوه بدن ولا يتبعه رداءة نفس، بل يكون تام الأعضاء صحيح البنية وضيء البدن تؤاتيه أعضاؤه بكل ما يقصد بها فعله »[181]. على هذا القدر الرفيع من الصفات كان الأنبياء والرسل الكرام الذين بعثهم الله تعالى برسالاته ووحيه إلى الناس.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

---

[180]. محمد عبده: رسالة التوحيد، ص89

[181]. الإصفهاني: الإعتقادات، ص123

المبحث الثاني : صفات الأنبياء عند الفلاسفة

أما صفات الأنبياء عند الفلاسفة فإننا نكتفي بالحديث عما جاء عند الفارابي وابن سينا حول أهم صفات النبي والرسول.

1. الفارابي :

إذا رجعنا إلى الفلاسفة فإننا نجد الفارابي قد ذكر أهم الصفات التي يجب أن يتصف بها رئيس المدينة الفاضلة وهو النبي، فنجد في كتابه أراء أهل المدينة الفاضلة فصلا مستقلا ذكر فيه خصائص رئيس المدينة الفاضلة والذي يكون حسب رأيه إما فيلسوفا حكيما وإما نبيا مرسلا ويجمع هذه الصفات في نقاط عشرة هي:

؟ أن تكون أعضاءوه تامة قوية مواتية للأعمال قادرة عليها تقوم بها بسهولة، وقريب من هذا ما ذكرناه في مبحث الصفات الضرورية للأنبياء حين قلنا السلامة من العيوب المنفرة.

• أن يكون جيد الفهم والتصور، يفهم ويتصور كل ما يقال له بحسب قصد القائل، ويمكن أن نعبر عن هذا بالفطنة والذكاء.

• أن يكون جيد الحفظ، يفهم ما يسمعه وما يراه، ولا يكاد ينساه.

• أن يكون جيد الفطنة ذكيا إذا رأى الشيء بأدنى دليل فطن له على الجهة التي دل عليها الدليل.

• أن يكون حسن العبارة سليم اللغة يؤاتية لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة.

• أن يكون محبا للعلم والإستفادة منقادا له سهل القبول.

• أن يكون غير شره للمأكول والمشروب والمنكوح متجنبا بالطبع للعب مبغضا للذات الكائنة عن هذه.

• أن يكون محبا للصدق وأهله، مبغضا للكذب وأهله.

• أن يكون كبير النفس محبا للكرامة تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور، وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها.

• أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده، وأن يكون محبا للعدل وأهله ومبغضا للجور والظلم وأهله يعطي النصف من أهله ومن غيره ويحث عليه.

• وأن يكون قوي العزيمة على الشيء الذي يرى أنه ينبغي أن يفعل جسورا عليه مقداما غير خائف ولا ضعيف النفس»[182].

2. ابن سينا :

أما ابن سينا فهو يشترط فيمن يشرع للناس القانون الاجتماعي الذي يحكم العلاقات بين الأفراد أن يكون متصفا ببعض الصفات كالبشرية ونفاذ البصيرة وصفاء النفس وقوة العارضة حتى يضفي على القانون القداسة وهو ما يتضح من قوله:« وإنما لابد أن يكون واحد منهم يحس بأحاسيسهم ويشعر بمشاعرهم، ولابد أن يكون متميزا بنفاذ البصيرة وصفاء النفس وقوة العارضة، حتى يضفي على القانون القداسة اللائقة»[183].

ولا ريب أن الصفات التي ذكرها الفارابي ومن بعده ابن سينا إذا نظرنا إليها مجتمعة فإننا لا نجدها متوفرة في شخص واحد من البشر العاديين، ولا يمكن أن توجد إلا في نبي من الأنبياء أو رسول من الرسل.

والذي يجعل الرسل والأنبياء يجمعون كل هذه الصفات هو ما وهبه الله تعالى لهم من العصمة، وهي أكثر الصفات أهمية عند الأنبياء والرسل وأكثرها إتصالا بالوحي والرسالة، وسنتكلم عن هذه الصفة بشيء من التفصيل في المبحث الآتي.

---

182. الفارابي: آراء أهل المدينة الفاضلة، ص(128-129) ومجلة المورد (عدد خاص بالفارابي) ص274

183. ابن سينا: النجاة، ص103

المبحث الثالث : العصمـــة

1. مفهوم العصمة :

أ. العصمة لغة :

تأتي كلمة العصمة في اللغة العربية، بمعاني عدة تتلخص كلها في معنى واحد يفيد معنـى المنـع والإمسـاك ففـي لسـان العـرب يقـول ابـن منظـور :« عصـم: العصمـة فـي كـلام العـرب المنـع. وعصمـة اللـه عبـده أن يعصمـه ممـا يُوبقـه، وعصمـه يعصمه عصما منعه ووقاه، والعصمة المنعة »[184].

وعصم يعصم: اكتسب ومنع ووقى، فعصمه الطعام أي وقاه من الجوع، والعصمة المنع والقلادة[185].

قال الراغب: «العصمة في اللغة: المنع الشديد إما بالقهر وإما بالزّجر والأمر »[186].

ويمكن أن نخلص مما سبق أن العصمة تعني: المنع والحفظ والإمساك والمعصـوم هو المحفوظ والممنوع من الوقوع في الزّلل والخطأ.

ب. العصمة إصطلاحا :

أما العصمة في معناها الإصطلاحي فهي"حفظ اللـه لأنبيائـه ورسله من الوقوع في الذنوب والمعاصي وإرتكاب المنكرات والمحرمات"[187].

فهي ملكة إلهية تمنع من فعل المعصية والميل إليها مع القدرة عليها. قال الراغب: « وعصمة الأنبياء حفظه إياهم أولا بما خصهم به من صفـاء الجوهر ثم وهـب لهـم مـن الفضائل الجسيمة والنفسية ثم بـالنصرة وتثبيـت أقدامهـم ثـم بـإنزال السكينة عليهم بحفظ قلوبهم بالتوفيق »[188].

---

184. ابن منظور: لسان العرب المحيط، ص798، المجلد2
185. الزمخشري: أساس البلاغة، ص304
186. الراغب الإصفهاني: الإعتقادات، ص142
187. الصابوني: النبوة والأنبياء، ص25
188. الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص449

2. العصمه عند المتكلمين والفلاسفة :

أ. عند المتكلمين :

إختلف علماء الكلام في تعريف عصمة الأنبياء حسب إختلاف الأسس المذهبية لكل فريق، فمنهم من يرى أن العصمة هي أن لا يخلق الله فيهم القدرة على المعصية وإنما يخلق فيهم القدرة على الطاعة فقط كما هو عند الأشعري، إذ يرى أن العصمة هي القدرة على الطاعة وعدم القدرة على المعصية، ومنهم من يرى أن العصمة هي أن لا يخلق الله تعالى في الأنبياء ذنبا، كما هو واضح عند الإيجي في قوله:« والعصمة عندنا هي أن لا يخلق الله تعالى فيهم ذنبا »[189].

وهناك من يرى أن العصمة هي لطف من الله تعالى، يمنع الأنبياء من المعصية ويحملهم على الطاعة، كما يقول الماتريدي: « العصمة تخصيص قدرته بالطاعة دون المعصية أو هي خلق مانع فيه، يمنعه عن المعصية لكن بحيث لا يلجئه ويسلب إختياره ويجبره على الطاعة، بل هي لطف من الله يحمله على الطاعة ويزجره عن المعصية مع بقاء الإختيار تحقيقا للإبتلاء والتكليف »[190].

وعرّف الجرجاني العصمة:« بأنها ملكة اجتناب المعاصي مع القدرة عليها، أو التمكن منها »[191]، وهو ما قال به الباجوري أيضا في كتاب شرح جوهرة التوحيد: « العصمة ملكة نفسانية تمنع صاحبها الفجور »[192].

وإذا كان المتكلمون من الأشاعرة والماتريدي يرون أن العصمة هي ملكة يهبها الله لمن اصطفاه من عباده للرسالة تمنعهم من المعاصي، سواء كان النبي أو الرسول قادرا على المعصية عند من يرى القدرة على المعصية مع العصمة أو عند من يرى أن العصمة تكون بعد القدرة على المعصية، فإن القاضي عبد الجبّار يرى أن الله تعالى يجنب الأنبياء والرسل عليهم السلام، كل ما ينفرهم عن القبول منهم لأنه لو لم يجنبهم عن هذه الأحوال لم يقع القبول منهم، فيقول عبد الجبار: « فالرسول لابد أن يكون منزّها عن المنفرات جملة كبيرة وصغيرة وأنه تعالى لابد أن يجذب رسوله عليه السلام ما ينفر عن

---

189. الإيجي: المواقف، ص366

190. الطاهر بن عاشور: تحقيقات وأنظار من السنة، ص44 وعبد الغني عبد الخالق: حجية السنة، ص92

191. علي عبد الفتاح المغربي: المرجع السابق، ص32

192. ابراهيم الباجوري: شرح جوهرة التوحيد، ص274

القبول منه لأنه لو لم يجتنبه عمّا هذه حالهُ لم يقع القبول منه»[193]، ومع أن عبد الجبار في رأيه يوجب على الله فعل ذلك وهوما يتفق مع مذهب المعتزلة ويخالفهم فيه الأشاعرة، فإنه كما رأينا، يقول بعصمة الأنبياء والرسل وينزّههم عن كل مُنفر.

ب. عند الفلاسفة :

يرى الفلاسفة أن للأنبياء صفات نفسانية، هذه الصفات تكون أحوالا ثم تصير ملكات بالتدريج، وهي الملكات التي تمنع الفجور عن الأنبياء وتحصل بعدّ العلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، ويتأكد ذلك عند الأنبياء والرسل بنزول الوحي وإتيان الأوامر والنواهي إليهم والإعتراض على ما يصدر عنهم أحيانا من الصغائر أو التصرفات، كبعض الإعتراضات التي وقعت للنبي محمد ﷺ.

وإذا عدنا إلى كلام الفلاسفة عن صفات الأنبياء نجد أنهم يشترطون مجموعة من الصفات في رئيس المدينة الفاضلة والذي يكون نبيا أو فيلسوفا، لا تتوفر في الحقيقة إلا في النبي أو الرسول وهو معنى العصمة أو التنزه عن المعاصي والمنكرات كما هو عند القاضي عبد الجبار.

وصاحب هذه الصفات هو الرئيس الذي لا يرأسه أحد، بل هو رئيس الجميع ورئيس الأمة، يقول الفارابي بعد ذكره للصفات التي يجب أن تكون في رئيس المدينة الفاضلة « وإجتماع هذه كلها في إنسان واحد عسر فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس »[194] وكذلك يرى ابن سينا أن النبي أو الرسول هو أفضل الناس بما انتهى تفاضله في الصور المادية، فهو الذي يسود ويرأس جميع الأجناس التي هو أفضلها،فيقول :« والأول أفضل وهو مسمى بالنبي وإليه انتهى التفاضل في الصور المادية، وإن كل فاضل يسود المفضول ويرأسه، فإذا النبي يسود ويرأس جميع الأجناس التي فضلها »[195].

---

193. عبد الجبار: شرح الأصول الخمسة، جـ2، ص232
194. الفارابي: أراء أهل المدينة، ص129
195. ابن سينا: تسع رسائل في الحكمة، رسالة النبوات، ص123

فإذا كان الفلاسفة يرون أن أفضل الناس هو الذي يرأسهم فإنه لا يوجد في الناس من هو أفضل من الأنبياء والرسل لأنهم معصومون ومنزهون عن العيوب والمثالب فتظهر أهمية عصمة الأنبياء لهذا السبب.

3. تأثير المعاصي والذنوب في مسار تربية الأنبياء للناس :

إن إرتكاب ذنب واحد من الأنبياء يؤدي إلى عقم تربية الناس ودفعهم إلى عكس التكامل الذي هو هدف رسالتهم، وكيف يمكن للملوث بالذنوب أن يطهر الناس منها، ومن لا يكون كاملا من النواحي الإخلاقية والروحية لا يمكن أن ينجح في تربية الإنسان الكامل.

إنه من الضروري أن تكون للأنبياء رابطة قوية ودائمة بالله وأن يكونوا مبرئين من الذنوب في جميع مراحل حياتهم، لأن السوابق السيئة موانع في طريق أهداف رسالتهم السماوية التي ترتكز على إرشاد العباد وهدايتهم إلى الله بدعوتهم إلى الطهارة والبعد عن القبائح.

فإذا صدر عن النبي الذنب والسوء، فإن الناس لايمكنهم نسيان الخواطر المرة التي تحيا في أذهانهم عن ذلك الشخص الذي كان إلى حد الأمس في عداد المنحرفين، وقد أنفق جانبا من عمره في الذنوب والمعاصيء وإنما هم بالتأكيد سوف يجرون إلى البحث عن تفاصيل حياته الماضية ويجلسون للتحليل والحكم عليه ولو أن نقطة سوداء واحدة إلتصقت بشخص النبي قبل البعثة لاستغلها الناس بشكل سريع وواسع للطعن في شخصه ومركزه ولانعكس ذلك بشكل سيء على دعوته، ألم يحاول المنافقون واليهود الطعن في شرف النبي والتشكيك في عرضه وشرفه بتلفيق تلك التهمة الكاذبة لصد الناس عليه، ومن هنا تبرز أهمية العصمة في حياة الأنبياء، إذ لولاها لما استقام لهم الأمر ولما انقاد لهم الأتباع.

فإذا كان ارسال الأنبياء إلى البشر لأجل هدايتهم الى تزكية أنفسهم بما تصلح بها أحوالهم في دنياهم ويستعدون به لحياة أغلى من هذه الحياة الدنيا في نشأة أخرى فلا يتم هذا الغرض ولا تتحقق هذه الحكمة إلا إذا كان هؤلاء الأنبياء أهلا لأن يقتدي بهم في أعمالهم وسيرتهم والتزام الشرائع والآداب التي يبلغونها عن ربهم ومن ثم كان من

الضروري أن يتصفوا بجملة من الصفات الضرورية من أهمها عصمتهم من الذنوب والفساد حيث تكون حياتهم خالية من كل نقطة سوداء.

ولأنه لما كان الهدف الأرفع من بعثة انبياء الله في ساحة الوجود هو هداية الناس وتربيتهم في ظل من التعاليم والأوامر السماوية،ولما كان الناس بحكم واجبهم الديني ملزمين بتطبيق جميع مقررات الدين التي جاء بها النبي معلنا أن القوانين الشرعية مستقاة من السماء فمن المؤكد عندئذ أن يندفع الناس من أعماق قلوبهم لتطبيقها واعطائها القيمة اللائقة بها ولكن هذا مشروط بأن يظفروا باليقين بأن هذه التعاليم صادرة عن الله مبدأ الوجود وخالق العالم.

فأي إنسان يستطيع أن ينال إعتماد الناس إلى هذا الحد بحيث يطبق الناس أوامره من أعماق قلوبهم عن طيب خاطر دون مناقشة وإعتراض؟

أهناك من يستحق مثل هذا الإعتماد غير من كان مسلحا بالعصمة وبالفضائل في أوسع أبعادها، فلو لم يطمئن الناس مائة بالمائة بالمبعوثين من قبل الله لم يتحقق الهدف من رسائلهم الذي هو تكامل الإنسانية لأنه في حالة عدم عصمة الأنبياء في ابلاغ أوامر الله لا نأمن من انحراف المجتمع عن اتجاه التكامل، فلو لم يتم حفظهم من التلوث بجراثيم الذنوب ومن إصاباتهم بالأمراض المعنوية،ولو لم يبتعدوا عن الدناءات النفسية تماما لكان من المحتمل دائما أن يزلوا أمام مظاهر العالم المادي الخدّاعة وأن ينحرفوا تحت تأثير الجاه والمنصب، أو من أجل الأهداف الشخصية.

وهل يمكن نفي إحتمال الكذبّ والخيانة والتحدث خلاف الواقع بشكل مطلق عمن يدعي النبوة ويلزم الناس بإتباعه من أجل أن يوصلهم إلى قمّة التكامل في جميع أبعاد الحياة، فيما إذا كانت له سوابق في الكذب والإنحراف والتورط في الذنوب؟

لا يستطيع أحد أن يقبل باطمئنان حديث شخص بعنوان أنه وحي سماوي وقوانين إلهية إذا كانت في حياته صفحات غير مضيئة، وكان قبل إدّعاء النبوة، غير مبرء من الذنوب وداعية للفساد، وملوث بالسيئات الأخلاقية، ولو أنه تغير معنويا بعد ذلك وثار على وضعه السابق، إذ أن أول شرط لابد منه ليتجلى الوحي هو الإخلاص الكامل والنظافة الباطنية المطلقة للأنبياء،ولا يتحقق حبّ الناس للأنبياء وتعلقهم بهم النابع من

أعماقهم إلا في ظل الإيمان بعصمة الأنبياء وكمالهم، ومن هنا تأتي الحاجة إلى العصمة التي تنفي احتمال الكذب عنهم.

4. الحاجة إلى العصمة :

الأنبياء والرسل معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى من الوحي فهي من خصوصياتهم التي إختصّهم الله تعالى بها، ووجه الحاجة إليها يمكن أن نحصرها في النقاط التالية:

الأولى: لا يستقيم أمر الوحي والدين إذا أخطأ الرسل والأنبياء في التبليغ عن الله تعالى، إذ ليس لذلك إلا إحدى نتيجتين: الأولى إما أن يسكت الوحي عن تصحيح الخطأ، ومعنى ذلك أن الله تعالى أراد أن يبلغ الناس أمرا معينا ثم رضي جل جلاله أن يبلغ عنه غير ذلك الأمر، وهذا لا يجوز في حق الله تعالى. والثانية أن يتنزل الوحي بالتصحيح، فيعود الرسول أو النبي فيقول للناس: إن الله أمرني أن أبلغكم كذا وكذا ولكني أخطأت في التبليغ، وإليكم الآن تصحيح التبليغ، ونتيجة ذلك لا محالة أن يفقد الناس الثقة فيما يبلغهم إياه عن ربه، لأن إحتمال الخطأ في التبليغ قائم في أذهانهم. وكلا هذين الأمرين لا يمكن تصوره، لأنه يتنافى مع الحق الذي يتنزل به الوحي ومع ما يلزم من توقير وتعظيم لكلام الله تعالى ووجوب طاعة الرسل والأنبياء عليهم السلام. قال الله تعالى:﴿ وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ﴾[196].

الثانية: لا يستقيم أمر الدعوة إلى الله إذا أخطأ الرسل والأنبياء في تنفيذ ما أوحى الله به إليهم لأن القدوة تنتفي يومئذ، ويضطرب الأمر في نفوس الناس والأتباع الذين اتبعوهم، فلا يعرفون أي طريق يسلكونه، وفضلا عن ذلك تذهب جدّية الأمر من مشاعرهم، فالمفروض في الشخص المؤمن أن يجتهد في اتباع ما أنزل الله قدر جهده ليكون أقرب إلى الصواب، فهو ليس أفضل من رسول أو نبي، وعندئذ ينفرط عقد الأمر ولا يعود للدين ما أراده الله له من تعظيم في نفوس المؤمنين.

فالأنبياء عصمهم الله من الشرك والضلالة وأبرأهم من الزيغ والأهواء وطهّرهم من الفسوق والعصيان، واقتضت حكمته أن يجعلهم أكمل البشر خلقا وأفضلهم علما

---

196 سورة النساء الآية 64

وأشرفهم نسبا وأصدقهم قولا وأشدهم فطنة فأحاطهم بالرعاية وشملهم بالعناية والهداية، وتولى تأييدهم وتربيتهم وعصمتهم من الوقوع في الذنوب والمعاصي فحياتهم لم تكن لأنفسهم، بل كانوا مثلا يهتدي بهم ويسار على نهجهم،ولو لم يكونوا بهذه المرتبة من الكمال الإنساني لصغر شأنهم في أعين الناس ولما استجاب لهم أحد، ولو كذبوا وخانوا وقبحت سيرتهم لضعفت الثقة بهم ولكانوا مضلين لا مرشدين فتذهب الحكمة من إرسالهم، ونتيجة لذلك تأتي ضرورة معرفة الرّسول وما جاء به وتصديقه فيما أخبر به وطاعته فيما أمر، فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل ولا سبيل إلى معرفة الطيب الخبيث على التفصيل إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق،وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال والضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها والروح إلى حياتها فأي حاجة وضرورة فرضت فضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير وما ظنك بمن إذا غاب عنك هدية وما جاء به طرفة عين فسد قلبك وحلّ به من الآلام والعذاب يقول الرازي : « وإذا كان هذا عمل الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- وتلك وظيفتهم فإنه لا يتم الغرض منها ولا تتحقق على تمام وجهها إلا إذا كانوا من الكمال وعلو المنزلة وسمو المقام في نفوس الناس بالدرجة التي تجعلهم أهلا لأن يقتدي بهم في أعمالهم وسيرتهم ويلتزم ما يبلغون عن الله تعالى من الشرائع والآداب والأحكام »[197].

5. عصمة الأنبياء والرسل عن الذنوب والمعاصي :

حياة النبي تنقسم إلى مرحلتين، الأولى تمتد من الميلاد إلى البعثة، والثانية تمتد من البعثة إلى يوم الوفاة، وهي مرحلة الوحي إلى رسول الله وأمره بتبليغ ما أوحي إليه وما بعث به إلى الناس.وكل نبي يتصف بصفات أهمها العصمة، كما بينا في المبحث السابق.

فهل تكون العصمة قبل البعثة وبعدها، أم تكون بعد البعثة فقط وهل تكون من الصغائر والكبائر معا أم تكون من الكبائر فقط ؟

فيما يلي سنبحث هذه المسألة.

---

[197]. الرازي: عصمة الأنبياء، ص(5-4)

أ. عصمة الأنبياء فيما يخل بالتبليغ :

أفعال الأنبياء والرسل منها ما يتصل بتبليغ الوحي والرسالة ومنها مالا صلة له بالوحي والتبليغ. أما الأفعال المتصلة بالوحي وتبليغ الرسالة، فإن المتكلمين يقولون بأن الأنبياء معصومون في كل ما يتصل بها، ككتمان الرسالة أو الكذب في دعواها، أو الجهل بأي حكم من الأحكام المنزلة من عند الله أو الشك فيها أو التقصير في تبليغ حكم من الأحكام، أو تصور الشيطان لهم في صورة الملك، تلبيسه عليهم في أول الرسالة أو في آخرها، أو تسلطه على خواطرهم بالوساوس، وتعمد الكذب في أي خبر من الأخبار التي أخبروا بها عن الله تعالى.

وكيف لا يكون الرسول مبلغا عن الله تعالى والقرآن يخبر عن الرسول محمد ﷺ. بأنه بلغ الرسالة وشهد له بذلك وهو خاتم الأنبياء وآخر المرسلين، وقد أمره الله تعالى أن يبلغ جميع ما أنزل إليه وحذره من التقصير في ذلك، قال تعالى:﴿ يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالاته والله يعصمك من الناس ﴾[198].

فإذا نظرنا إلى التبليغ عن الله تعالى والإلزام بذلك فإننا نجده عند الرسل والأنبياء جميعا بشهادة القرآن الكريم، فكثيرا ما يذكر لنا القرآن الكريم عن الأنبياء أنهم كانوا يبلغون رسالات الله لا يبدلون ولا يغيرون، وكان يثني عليهم ويمدحهم لكونهم يبلغون رسالات الله ويضحون في سبيل ذلك بأنفسهم، ويتجلى ذلك في شخص الرسول محمد بن عبد الله من خلال آيات كثيرة منها قوله تعالى:﴿ ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين ﴾[199]. وقوله تعالى:﴿ والنجم إذا هوى ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴾[200].

---

198. سورة المائدة الآية 67
199. سورة الحاقة الآية (44-47)
200. سورة النجم الآية (1-4)

وقد شهد الرسول نفسه على أنه بلغ كل ما أمر الله تعالى به على أكمل وجه فقال:« ما تركت شيئا مما أمر الله به إلا وقد أمرتكم به، ولا تركت شيئا مما نهاكم الله عنه إلا وقد نهيتكم عنه»[201].

فالأفعال البلاغية التي قصد بها تعليم الناس أحكام الشريعة والدين فالأنبياء والرسل معصومون من السهو والغلط فيها وقد دلت على ذلك المعجزة، يقول القاضي عياض:« لا يجوز صدور الكذب عنهم غلطا وسهوا في التبليغ وذلك من الناحية الشرعية»[202]، ويقول الرازي:« ما يتعلق بجميع الشرائع والأحكام من الله تعالى، أجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو وإلا لم يبق الإعتماد على شيء من الشرائع»[203]

فهم إذا معصومون في كل ما يتصل بتبليغ الوحي والرسالة على وجه الخصوص لأن ذلك من المهام التي أرسلوا لأجلها وبعثوا لتحقيقها، ولو قصروا في ذلك أو أخطأوا لتعارض ذلك مع هدف البعثة ومقصود الوحي ولكان ذلك متنافيا مع الحكمة الإلهية السامية وهذا ما لم يقل به أحد وما لا تقبله العقول.

ب. عصمة الأنبياء فيما لا يتصل بالتبليغ:

أفعال الرسول أو النبي على ثلاثة أقسام منها ما يختص به من أمور دينه وأذكار قلبه، ونحوها مما يفعله لا ليتبع فيه وإنما هو فيه كسائر البشر، ومنها ما قصد به تعليم الأمة بأن يكون ذلك أول أداء منه وأول بيان لحكمها، ولم يسبق أن فعلها للتبليغ والتعليم، ومنها أفعاله البلاغية التي فعلها مرارا حتى استقرت ورسخت في نفوس الناس والأمة ولم يقصد بها حينئذ إلا محض العبادة كسائر الناس. والعصمة في أفعال الأنبياء والرسل إما أن تكون قبل البعثة أو بعدها، وتكون إما من الكبائر والصغائر وإما من الكبائر دون الصغائر.

---

201. الشافعي المسند ص233 - صححه أحمد شاكر. أنظر حجية السنة: عبد الغني عبد الخالق
202. الآمدي: الأحكام في أصول الأحكام. ص142.ج1
203. الرازي: عصمة الأنبياء. ص18

ج. أفعال الرسل قبل البعثة :

إختلف المتكلمون حول أفعال الرسل والأنبياء قبل البعثة، فمنهم من يرى أن الأنبياء والرسل يمكن أن تصدر منهم بعض المعاصي الصغائر منها والكبائر، وليس هناك ما يدل على إمتناع وقوع ذلك منهم لا في حكم العقل ولا بدلالة المعجزة، ومن الذين ذهبوا إلى هذا القول الإيجي والأمدي والقاضي عياض، ويرى هؤلاء أن الأنبياء والرسل قبل البعثة ليسوا محل إقتداء، ولا يجب على الناس إتباعهم في أي فعل من الأفعال التي تصدر عنهم وقد عبر الإيجي عن هذا بقوله :« لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذا لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم العقل»[204]،

أما الآمدي فبعد عرضه أراء متكلمي الأشاعرة علق على ما ذهبوا إليه بقوله: « والحق ما قاله القاضي لأنه لا سمع قبل البعثة يدل على عصمتهم عن ذلك »[205].

وأما عبد الجبار فيخالف المتكلمين ويرى أنه لا يجوز وقوع الكبائر منهم قبل البعثة وبعدها، لأنه لا يجوز أن يقع منهم ما ينفر الناس منهم كالكبائر وغيرها، ولأن النفوس مطبوعة على القبول ممن لم يتدنس بالمعاصي ولا ارتكب شيئا من كبائرها لأنه كما يقول : « إذا جوزنا الكبيرة على الأنبياء نفرنا عن القبول منهم كما قطعنا عن ذلك فصح أن الكبيرة غير جائزة على الأنبياء قبل البعثة ولا بعدها، وكما لا يصح عليهم الكبيرة فكذلك لا يصح عليهم شيء من المنفرات على ما سبق »[206].

فعبد الجبار برأيه هذا يخالف بعض المعتزلة الآخرين كالجباني ويوافق من يرى من المتكلمين أن الأنبياء والرسل لا يمكن أن تصدر عنهم المعاصي، الصغائر منها والكبائر وذلك بمقتضى العناية الإلهية التي تحيط بهم منذ الميلاد إلى البعثة ثم إلى الممات، وكل ما يؤدي إلى السقوط وقلة الديانة ونزول المكانة في نظر الناس لا يمكن أن يصدر عنهم، كما أن توالي صدور الصغائر يصير كبائر وذلك لا يمكن في حق الرسل والأنبياء ومن القائلين بهذا الرأي الجويني والشهر ستاني والرازي، فيقول الجويني: « فإن

---

204. الإيجي: المواقف، ص395

205. الآمدي: المرجع السابق، ص244، جـ1

206. عبد الجبار: المرجع السابق، ص234، جـ2

قيل هل تجب عصمتهم عن المعاصي؟ قلنا: أما الفواحش المؤيدة بالسقوط وقلة الديانة، فتجب عصمة الأنبياء عنهم جميعا »[207].

ويرى الشهرستاني أن الأصح من الأقوال هو القول بعصمة الأنبياء والرسل عن الصغائر فيقول: « والأصح أنهم معصومون عن الصغائر لأنها إذا توالت صارت كبائر »[208].

وأما الرازي فيقول بعدم جواز الكبائر، والكفر على الأنبياء لوجوه عدة يرى بأنها تدل على عدم جواز وقوع ذلك منهم:

« **الأول:** لو صدرت الكبيرة عنهم لكانوا أقل درجة من عصاة الأمة وذلك غير جائز لأن درجات الأنبياء في غاية الشرف وكل من كان كذلك كان صدور الذنب عنه أفحش.

الثاني: إن بتقدير إقدامه على الفسق وجب ألا يكون مقبول الشهادة لقوله تعالى:﴿ إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾[209]، لكنه مقبول الشهادة وإلا لكان أدنى حالا من عدو الأمة.

الثالث: إن بتقدير إقدامه على الكبيرة يجب زجره عنها ولم يكن إيذاؤه محرما، لكنه محرم بقوله تعالى:﴿ إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة ﴾[210]،

الرابع: لو أتى الكبيرة لوجب علينا الإقتداء به لأمر الله تعالى:﴿ فاتبعوني يحببكم الله ﴾[211]، فيفضي إلى الجمع بين الحرمة والواجب وهو محال »[212]، وأما الفقهاء فهم أيضا يقولون بعدم جواز وقوع المعاصي منهم الكبائر والصغائر، بمقتضى الأمر باتباعهم والإقتداء بهم يقول القرطبي: « وقال جمهور الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها وذلك بمقتضى الأمر باتباعهم والإقتداء بهم الذي جاء مطلقا من غير التزام بقرينة »[213].

---

207. الجويني: الارشاد، ص298
208. ابن عاشور: المرجع السابق، ص44
209. سورة الحجرات الآية 6
210. سورة الأحزاب الآية 57
211. سورة آل عمران الآية 31
212. الرازي محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ص 462
213. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ص309، جـ1

وأما ابن حزم فيرى أنه لا يجوز القول بجواز وقوع المعاصي من الأنبياء والرسل ويرى بأنه وقع الإجماع على عدم وقوع المعصية منهم قال: « وذهب جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة إلا أنه لا يجوز البتة أن يقع منهم المعصية بعمد لا صغيرة ولا كبيرة، وهذا قولنا الذي ندين به الله تعالى ولا يحل لأحد أن يدين بسواه »[214]، هذا حال الأنبياء والرسل قبل البعثة.

د. أفعال الرسل بعد البعثة :

أما ما يتعلق بأفعال الأنبياء والرسل بعد البعثة والوحي فإن أكثر المتكلمين يقولون بعدم جواز وقوع المعاصي منهم، فهم معصومون عن جميع الذنوب كبيرها وصغيرها، عمدا أو سهوا، وحجتهم في ذلك أن الناس مأمورون بالإقتداء بهم وأتباعهم في كل أعمالهم بمقتضى الأمر الإلهي وبمقتضى الحكمة في بعثتهم فهم مبعوثون لتعليم الناس وهدايتهم إلى الحق وإرشادهم إلى تعاليم الوحي بالقول والفعل، ولأن وقوع الذنوب والمعاصي من شأنه أن ينفر عنهم ويضعف حجتهم وموقعهم أمام المدعوبين فلم يجوزوا عليهم إلا وقوع بعض الصغائر، وذلك من باب السهو ومن باب تعليم الأمة كيف تصلح الخطأ وتتوب إلى الله تعالى.ونجد هذا القول عند الأشاعرة والمعتزلة، ويقول الإيجي عن عصمتهم عن الكبائر :« أجمع أهل الملل والشرائع على عصمتهم عن تعمد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغون عن الله تعالى »[215].

ويقول الجويني « فإن قيل نجب عصمتهم عن المعاصي قلنا أما الفواحش المؤدية إلى السقوط وقلة الديانة فيجب عصمة الأنبياء عنها جميعا »[216]، ويقول الآمدي « وأما الكبائر فقد اتفقت الأمة على عصمتهم عن تعمدها من غير نسيان ولا تأويل ودليلهم في ذلك السمع »[217].

---

214. ابن حزم: الفصل، ص(5-9)، جـ4
215. الإيجي: المواقف، ص358
216. الجويني: المرجع السابق، ص298
217. الآمدي: المرجع السابق، ص244، جـ1

وأما عبد الجبار من المعتزلة فيرى كذلك أن الأنبياء والرسل لا تقع منهم المعاصي كبيرها وصغيرها قبل البعثة كما بعدها « وهم كما يقول منزهون عن المنكرات جملة كبيرة وصغيرة، لأن الغرض بالبعثة ليس الألطف بالعباد ومصالحهم »[218].

وأما صغائر الذنوب بعد البعثة فمنهم من جوز وقوعها وصدورها من الأنبياء والرسل باعتبار أنها تصدر سهوا ونسيانا والوحي يتدخل لتوجيه الرسل فيها إلى الحق، ويحدث ذلك في الأفعال المتعلقة بالأعمال العادية والعبادات، وكل ما وقع فيها إنما هو من باب تعليم الأمة أو هو من باب السهو والنسيان الذي هو من لوازم بشرية الرسل والأنبياء، قال الإيجي « وأما إن كان من الصغائر فهي جائزة عليهم »[219]. ولكن هذه الأمور الصغيرة الصادرة منهم ليست من الأمور التي تقلل من شأنهم لأن ما يوجب التقليل والخدش لا يقع منهم، وحتى الذين قالوا بجوازها قالوا إنها تقع سهوا كما في قول الأمدي : « وأما ما يوجب الحكم على صاحبه وفاعله بالخسة والدناءة فهو كالكبيرة لا يجوز عمدا ويجوز سهوا »[220]، وإما قالوا يجوز عقلا وإن كانت لم تقع كما قال الجويني : « وأما الذنوب المعدودة من الصغائر فلم يقع عندنا قاطع سمعي على نفيها ولا على إثباتها »[221]. وإذا كان هؤلاء يقولون بإمكان وقوع بعض الأمور سهوا فهناك فريق آخر يقول بعدم جواز صدور الصغائر عن الأنبياء والرسل بعد البعثة منهم البغدادي والشهرستاني والقرطبي وابن حزم.

وأما عبد الجبار فيرى أن « الصغائر التي لا حظ لها في تقليل الثواب دون التغيير فإنها مجوزة عليهم، ولا مانع يمنع منه»[222]، والذي نخلص إليه من خلال آراء المتكلمين السابقة أن الأنبياء والرسل لا تصدر منهم في كل الأحوال والظروف المعاصي والذنوب التي تخل بالوحي وتبليغ الرسالة، وإذا كان هناك من قال بجواز صدور بعض الذنوب عنهم فهو من باب السهو والنسيان ومن الأشياء التي تتصل ببشريتهم وتؤكد هذه الصفة فيهم من جهة،ومن جهة ثانية هي أمور تقع منهم من باب تعليم الأمة كيف تصلح السهو الذي يقع منها كما هو في العبادة كالصلاة والصوم.

---

218. عبد الجبار: المرجع السابق، ص234، جـ11
219. الإيجي: المرجع السابق، ص351
220. الأمدي: المرجع السابق، ص244، جـ1
221. الجويني: المرجع السابق، ص298
222. عبد الجبار: المرجع السابق، ص234

والمتتبع لحياة الأنبياء وسيرة الرسل عليهم الصلاة والسلام لا يجد فيها ما يدل على ارتكابهم لما يقدح في شخصيتهم ويطعن في سلوكهم ويخدش كرامتهم وينفر الناس منهم.بل يجد حياتهم وسيرتهم مليئة بالصدق والأمانة والأخلاق وبكل الصفات الفاضلة والأخلاق الحسنة، ولو وقع شيء من المستحقرات منهم قبل النبوة أو بعدها لتلقفه خصومهم وأعداء الرسالات السماوية وأشاعوه ونشروه، فهم كانوا يتربصون بهم الدوائر ويتلمسون لهم الأخطاء والزلات ويبحثون لهم عن العثرات، يقول الدكتور عبد الغني عبد الخالق « وأما من حيث الوقوع وعدمه فالمتوارث أنه لم يبعث الله من أشرك به طرفة عين أو جهل به أو بصفة من صفاته أو شك في شيء من ذلك، ولا من نشأ فحّاشا سفيها كذابا ولا من ارتكب الأمور المحتقرة، وإنما بعث من نشأ على الإيمان والتوحيد والأمانة والصدق الأخلاق الكاملة والصفات الفاضلة، بهذا تواترت الأخبار وتعاضدت الآثار على الأنبياء جميعهم صلوات الله وسلامه عليهم »[221]، ولو وجد الكفار من الأنبياء ما يعطيهم الحجة للطعن فيهم والإعراض عنهم وتشويههم لكانوا بذلك سعداء، ولما سكتوا عن ترديده وترويجه ولكنهم لم يجدوا إلى ذلك سبيلا ولا دليلا.

والذي ترتضيه في هذه المسألة هو القول بعصمة الأنبياء من الصغائر والكبائر قبل البعثة وبعدها، فكل ما يفهم عند الناس بأنه ذنب من الذنوب ومعصية من المعاصي كبيرة أو صغيرة فأنبياء الله ورسله معصومون منه.

وأما الذين جوزوا وقوع المعاصي من الأنبياء فإنهم قالوا بجواز وقوع ذلك عقلا ولم يذكروا لنا ذنبا واحدا وقع من الأنبياء وتعارف عليه الناس، ولم يدع أحد منهم وقوع المعصية منهم، وما وقع من الأنبياء والرسل وعده البعض من الذنوب والمعاصي فهو عند أكثر المتكلمين من قبيل الهفوات التي وقعت لهم والنسيان الذي يطرأ عليهم كبشر، وقد وقع منهم ذلك لحكمة سامية أرادها الله تعالى منها :

1. إثبات بشريتهم أمام الخلائق لئلا يدفعوهم فوق مستواهم البشري وليكي لا يحملوهم من صفات الألوهية ما لا يمكن أن يتصفوا به، وقد وضحنا ذلك عند الحديث عن صفة البشرية في المبحث السابق.

---

221. عبد الغني عبد الخالق: المرجع السابق، ص109

2. ليظهر الفرق بين حياتهم قبل النبوة وبعدها ويظهر أثر الوحي في حياتهم، ولو أخذنا حياة النبي محمد بن عبد الله وهو آخر وخاتم الأنبياء والرسل وما ذكره القرآن من العتاب على بعض ما صدر منه لوجدنا ذلك ينحصر في شيء واحد وهو أنه عليه السلام إذا ترجح بين أمرين ولم يجد فيهما إثما اختار أقربهما إلى رحمة أهله وهداية قومه وتأليف خصمه وأبعدها عن الغلضة والجفاء وعن إثارة الشبه في دين الله تعالى، ولم يخالف نصا أو تجاوز خطأ أو نسيانا، بل كل ما فعله أنه كان يجتهد ويختار فيما يرى نفسه فيه مختارا.

وأما ما وقع في مجال العبادات من السهو والنسيان وتصحيحه فهو من باب تعليم الأمة كيف تصلح أخطاءها وسهوها ونسيانها، وكان الوحي يصوب إجتهادات الأنبياء والرسل إذا وقع منهم ذلك، قال رشيد رضا « وقد صرح علماء الأصول بجواز الخطأ في الإجتهاد على الأنبياء قالوا لكن لا يقرهم الوحي على ذلك، ولكن يبين الله لهم الصواب »[22-1].

وأما ما كان من الأنبياء والرسل من استغفارهم لله تعالى وتوبتهم إليه فإن ذلك كان يصدر منهم لا على ذنوب اقترفوها وإنما على شعورهم بالتقصير في حق الله تعالى لأنهم أعرف الناس بجلاله وعظمته فيعتبرون أنفسهم بناء على معرفتهم هذه بأنهم مقصرين في حق الباري.

6. العصمة والإختيار :

الإشكالية التي تثار حول العصمة هي علاقتها بالجبر والإختيار، وبمعنى أخر هل العصمة جبر للأنبياء والرسل وإلغاء لإختيارهم، أم أنها لا تتنافى مع الإختيار ؟

إذا عدنا إلى مفهوم العصمة عند المتكلمين والفلاسفة فإننا نجد موقفين إثنين، موقف بعض المتكلمين والذي نجده في تعريفهم للعصمة إذ إنهم يرون أنها عدم القدرة على فعل المعصية عندما يريدها فالله تعالى يخلق فيهم القدرة على الطاعة ولا يخلق فيهم القدرة على المعصية، وبذلك فهم إن فعلوا الطاعة فلأن الله خلق فيهم القدرة على فعلها،

[22-1] رشيد رضا: تفسير المنار، ص466، جـ2

وإن لم يفعلوا المعصية فلأن الله لم يخلق فيهم القدرة على فعلها، وهذا الرأي لبعض المتكلمين من الأشاعرة وقد ذكرنا ذلك في المبحث السابق.

ولو دققنا النظر في هذا المفهوم عن العصمة فإننا نجد أنه يؤدي إلى الإعتقاد بالجبر ونفي الإختيار عن الأنبياء والرسل لأن هذا المفهوم للعصمة يكون النبي والرسول ولا يقدر على فعل المعصية بمقتضاه.

أما الموقف الثاني فيقول بأن العصمة هي ملكة إجتناب المعاصي مع القدرة عليها والتمكن منها، والأنبياء لا يفعلون الذنب لأنهم لا يقدرون عليه وإنما يتم لهم ذلك بملكة تحصل لهم بالصفاء الروحي والسمو النفسي والعلم الإلهي، وهو ما قال به بعض المتكلمين. وقريب منه ما قاله الفلاسفة بأن العصمة هي ملكة تمنع الفجور وتحصل بالعلم بمثالب المعاصي ومناقب الطاعات، وتتأكد بتتابع الوحي وبالأوامر والنواهي.

ونحن مع هذا الرأي لأنه يتماشى مع قانون الثواب والعقاب وينسجم مع تعاليم الوحي ويتناسق مع حرية الإختيار، فلو قلنا بعدم القدرة على فعل المعصية لأنتفت حكمة الثواب والعقاب،ولما كان هناك مدح على الفعل الحسن،وذم على الفعل القبيح ولأنتفت الحكمة من جعل الرسل بشرا يمتازون عن سائر البشر بالوحي والإصطفاء للرسالة، فالله تعالى اصطفاهم واختارهم فهم صفوة عباده خصهم برعايته وتوفيقه.

وقد خطّأ الراغب الأصفهاني هذا الرأي الذي يُفهم منه الجبر في العصمة فقال : « فأما من قال هم ممنوعون على الذنوب حتى لا يقدروا عليها، فخطأ، فإن الله تعالى خلق الإنسان حيا ناطقا مميزا مختارا، فقال ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾[225] وقال تعالى ﴿ ألم نجعل له عينين ولسانا وشفتين وهديناه النجدين ﴾[226] وإخراج الإنسان عن هذه البنية المخصوصة إخراج له عن الإنسانية، فإن ذلك من خصائصه ولذلك قال الله تعالى لنبيه ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم ﴾[227] ومن لا يمكن وقوع المعصية منه فليس بواجب وقوع الطاعة منه لأنهما متقابلان ومن فعل فعلا إنطباعا لم يوصف بكونه مطيعا ولا استحق عليه الثواب، ولو لم يكن النبي قادرا على المعصية لم

---

225. سورة الإنسان الآية 3
226. سورة البلد الآية (7-8)
227. سورة الكهف الآية 110

يقل ﴿ لئن اشركت ليحبطن عملك ﴾[228] إلى غير ذلك من الوعيد، لذلك لا يصح أن يقال إنه كان مصروفا عن الشر قهرا، فإن ذلك يخرجه من كونه مستحقا للثواب »[229].

والعصمة في حقيقة أمرها تحصل باجتماع أمور كثيرة، والله تعالى يعطي هدايته لمن هو أهلا لها.فالذي يكون أهلا لتوفيق الله تعالى هو الذي يقبل على الله تعالى ويطلب معونته ويكون بعيدا عن المعاصي والشرور، فالطريق إلى الله تعالى هو طريق الخير والأخلاق والبعد عن المعصية وهنا يكون التوفيق الإلهي وتأكيد الإرادة الإنسانية النازعة نحو الخير وتوجيها لها نحو طلبه ونحو مدارج الكمال.

فالعصمة عند الأنبياء والرسل إنما تكون نتيجة الرؤية العميقة الواضحة لجميع تأثيرات الذنب وللعقوبة الإلهية إلى حد إلغاء الفواصل الزمانية والمكانية مما لا يترك أثرا في إيمانهم الحاسم العميق للذنب، فرغم قدرتهم على الذنب والمعصية فإنهم لا يستغلون هذه القدرة، وحتى تصور الذنب فإنه لا يقتحم أفكارهم الطاهرة النظيفة.

فالعصمة الشاملة هي أثر مباشر لعلمهم الدقيق بعقوبة الذنب والعمل به ومعرفتهم التامة لعظمة الله تعالى ومقام الربوبية، وهي تدل على روح معنوية رفيعة باعثة على الإعتزاز مسيطرة على جميع الرغبات القوية في وجودهم لكي لا يتجاوزوا الحدود المعينة لهم أبدا.

وبهذا المفهوم تكون العصمة تتماشى مع هداية الله تعالى ومع الإختيار، ولكن هل يكفي أن يكون النبي أو الرسول معصوما حتى يُتَّبَع ويُؤخذ عنه الوحي ؟

صحيح إن العصمة هي أهم الصفات التي تجعل أتباع الأنبياء والرسل يطمئنون تماما إلى ما يقولونه لهم، ولكن يحتاج الأنبياء إلى ما يقيم الحجة على إدعائهم الرسالة والإتصال بالوحي الإلهي،فبماذا يواجهون خصومهم المنكرين للوحي، وبماذا يطمئنون أتباعهم ؟ ذلك ما سنبحثه في الفصل الرابع.

---

228. سورة الزمر الآية 65

229. الراغب الإصفهاني: الإعتقادات، ص(143-144)

الفصل الرابع

دلائل النبوة

المبحث الأول: المعجزة والكرامة

1. مفهوم المعجزة

أ. المعجزة لغة

ب. المعجزة إصطلاحًا

ج. المعجزة عند المتكلمين

. شروط المعجزة عند المتكلمين

د. المعجزة عند الفلاسفة

. أسباب المعجزات عند الفلاسفة

2. مفهوم الكرامة

أ. الكرامة لغة

ب. الكرامة إصطلاحًا

ج. الفرق بين الكرامة والمعجزة عند المتكلمين

د. الفرق بين الكرامة والمعجزة عند الفلاسفة

المبحث الثاني: أنواع المعجزات

1. المعجزة الحسية
2. المعجزة العقلية
3. الفرق بين المعجزة العقلية والحسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث: دلالة المعجزة على النبوة

1. عند المتكلمين

2. عند الفلاسفة

المبحث الرابع: أدلة نبي الإسلام

أ. الخبر المتواتر

ب. أمية الرسول ودلالتها على النبوة عند الفلاسفة والمتكلمين

ج. مضمون الرسالة

1. العقيدة

2. الأخلاق والتشريع

د. إعجاز القرآن

1. المتكلمون ودلالة إعجاز القرآن على النبوة

2. إبن رشد ودلالة إعجاز القرآن

المبحث الخامس : جوانب الإعجاز في القرآن

1. الإعجاز اللغوي :

أ. الأسلوب

ب. التنويع في طريقة العرض

ج. البلاغة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2. الإعجاز العلمي :

أ. أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن

ب. ركائز الإعجاز العلمي في القرآن

1. الأسبقية الزمنية في تصوير الحقائق

2. الأسبقية في معجزات الأنبياء

3. الإعجاز التشريعي :

أ. الثبات في العقائد والعبادات

ب. الجمع بين الثبات والمرونة

ج. طريقة عرض التشريع

4. إعجاز في القرآن في تشريعه الأخلاقي

أ. الأساس الذي يقوم عليه النظام الأخلاقي في القرآن

ب. تجديد القرآن للتعاليم الأخلاقية

5. تشريع حقوق الإنسان في القرآن الكريم

أ. مميزات حقوق الإنسان في الإسلام

ب. مصدر حقوق الإنسان في الإسلام

6. شهادة بعض أعلام الحضارة الغربية

الخاتمة والنتيجة

جامعة الإمام عبد القادر للعلوم الإسلامية

أدلـــــــة النبـــوة

لم يكن أهل العقائد الباطلة والمذاهب المنحرفة وعبدة الأصنام من الأمم السابقة ليتخلوا عن عقائدهم وأديانهم وأفكارهم وينقادوا للأنبياء بسهولة،فكان لابد من وسائل يؤيد بها الأنبياء دعوتهم ويقيموا بها الحجة على المعاندين والرافضين والمنكرين للنبوة من جهة،ويبعثوا اليقين والإطمئنان في نفوس المؤمنين المصدقين من جهة أخرى.

ولقد قدم الأنبياء والرسل للناس ما يؤيدهم وما يدل على صدق دعواهم تلقي الوحي والرسالة من السماء، وحتى وإن اختلفت الحجج والأدلة التي قدمها كل واحد منهم إلا أن أهم هذه الأدلة هي المعجزات.

وفيما يأتي من المباحث سنتكلم عن هذه الأدلة ونركز الحديث على المعجزات باعتبارها أهم وأقوى الأدلة والحجج التي قدمها الأنبياء،وعليه سنتكلم عن معنى المعجزة وأنواعها، ونهتم بصفة خاصة بالقرآن الكريم وكيفية دلالته على النبوة.

إن الناس أمام النبي فريقان: فريق يعاصره ويشاهده ويعاصر زمن البعثة.

وفريق أخر يأتي بعد البعثة ولا يشاهد النبي ولا يعاصر الوحي وكل فريق يواجهه النبي بالوحي إما مباشرة كما هو موقف النبي مع الفريق الأول.

وإما بطريق غير مباشر كما هو مع الفريق الثاني إذ يكون تبليغ الوحي بواسطة أتباعه المؤمنين به القائمين بمهمة الدعوة والتبليغ لتعاليم الوحي، وفي كلتا حالتي المواجهة والتبليغ يحتاج النبي إلى تأييد دعوته بالأدلة والبينات،ولكن كل فريق لابد أن يواجهه بما يناسبه من الأدلة والبينات.

فبالنسبة للشاهد الذي يشاهد النبي لابد أن يواجهه بالايات البينات التي يشاهدها ويعاينها الناس ويتحقق بها ما يغني عن القول والبيان، بحيث إن هذه الآيات والبينات التي تظهر على يد النبي مع التحدي والمعارضة تغني عن كل قول أو بيان يقدمه النبي لإقناع الأتباع وإفحام الخصوم والمعاندين.

وقد بين محمد عبده هذه المسألة بقوله: « الدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكي عن ربه ظاهر للشاهد الذي يرى ويشاهد ما أتاه الله تعالى من الآيات والبينات ويتحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان، وهذه البينات والآيات لابد أن تكون مقرونة بالتحدي عند دعوى النبوة وظهورها من البراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله فإصدار الله لها عند ذلك يعد تأييدا منه له في تلك الدعوى »[230].

والبينات هي المعجزات الحسية، وقد أيّد الله تعالى بها جميع الأنبياء والرسل السابقين، وكل معجزة تأتي مناسبة لمن توجه إليهم وسنبين ذلك عند الحديث عن أنواع المعجزات.

وأما بالنسبة للغائب عن زمن البعثة فالدليل على رسالة النبي والرسول أمور كثيرة منها الخبر المتواتر، ومنها مضمون الرسالة ومنها شخصية الرسول وأخلاقه وصفاته ومنها المعجزة بنوعيها الحسي والعقلي.

وفيما يلي سنبحث هذه الأدلة.

---

230. محمد عبده: رسالة التوحيد، ص107

المبحث الأول: المعجزة والكرامة

1. مفهوم المعجزة :

أ. المعجزة في اللغة :

المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة،والمعجز هو فاعل العجز في غيره وهو الله تعالى، فهو الذي ينفرد بالقدرة على الإعجاز، وقد وردت معاني المعجزة في قواميس اللغة بمعاني متقاربة ومتشابهة.

ففي لسان العرب المحيط قال: «عجز، العجز: نقيض الحزم، عجز عن الأمر يعجز وعجر، عجزا وعاجز، والعجز: الضعف، نقول: عجزت عن كذا أعجز والعجز عدم القدرة، وأعجزه الشيء: عجز عنه ومعنى الإعجاز الفوت والسبق »[211].

وفي ترتيب القاموس المحيط قال: « عجز، العَجْز: مؤخر الشيء، وجمع أعجاز والعَجز: الضعف »[212].

وقال الراغب: « عجز، عَجُز الإنسان مؤخره، والعَجُز أصله التأخر عن الشيء، وهو ضد القدرة وأعْجَزت فلانا وعجَّزته وعاجزته: جعلته عاجزا »[213].

ومن مجموع هذه المعاني الواردة في مختلف القواميس يمكن أن نخلص إلى أن المعجزة تعني التأخر والعجز والضعف وعدم القدرة، والإعجاز هو إظهار الفوت والتحدي والتفوق.

ب. المعجزة إصطلاحًا :

عرف الزرقاني المعجزة في الإصطلاح الشرعي بقوله: « المعجزة أمر يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله، وهي أمر خارق للعادة

---

211. ابن منظور: لسان العرب المحيط، ص691، جـ2
212. الزاوي أحمد الطاهر: ترتيب القاموس المحيط، ص160، جـ3
213. الراغب الإصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص334

خارج عن حدود الأشياء المعجزة، يخلقه الله تعالى على يد مدعي النبوة عند دعواه اياه شاهدا على صدقه »[214].

فالمعجزة هي الأمر الخارق للعادة الذي يظهر على يد الرسول والنبي لإظهار صدق دعواه، وتحدي معارضي الوحي والنبوة وإظهار عجزهم لحمل الناس على التصديق بالوحي بالحجة والبرهان.

ج. المعجزة عند المتكلمين :

المعجزة عند المتكلمين تقع بقدرة الله تعالى على يد النبي ليتحدى بها،ويظهر صدق دعواه للرسالة والوحي، فهي أية صدق النبي يجريها الله تعالى على أيدي من أرسلهم من البشر، ومن ذلك تعريف الجويني في كتاب الإرشاد بقوله: « اعلموا أن المعجزة مأخوذة من العجز، والمعجز هو خالق للعجز وهو الله تعالى، والمعجز فعل من أفعال الله تعالى »[215].

ويقول الإيجي في كتابه المواقف:« هي عندنا ما قصد به إظهار صدق من إدعى أنه رسول الله »[216]، وقال الرازي: « المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة »[217]، وقال البغدادي: « المعجزة ظهور أمر خارق للعادة في دار التكليف لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء أو ذوي كرامة من الأولياء مع نكول من يتحدى به عن معارضة مثله »[218].

فالمعجزة هي ما يتحدى به مدعي النبوة الناس ويعجزون عن الإتيان بمثله فهي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على يد الأنبياء للدلالة على صدق الرسول وإتيان النبوة.

ويرى جمهور المعتزلة وبعض الأشاعرة: أن المعجزة على ضربين:
الأول : ينفرد به الله تعالى ولا يدخل تحت قدرة العباد مثل إختراع الأجسام.

---

214. الرزقاني: مناهل العرفان، ص73، جـ1
215. الجويني: المرجع السابق، ص260
216. الإيجي: المرجع السابق، ص339
217. الرازي: المرجع السابق، ص489
218. البغدادي: أصول الدين، ص170

الثاني: ضرب يدخل مثله تحت قدرة العباد، ولكن يمتنع عليهم أن يأتوا بـه على مثل ما يقع من الله تعالى مثل بلاغة القرآن الكريم، فهم يقدرون على اليسير من البلاغة، وإن تعذر عليهم الكثير.

وقد انتقد الباقلاني هذا التقسيم فقال: « اعلموا وفقكم الله أن المعجز لا يكون عندنا معجزا حتى يكون مما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليه ولا يصح دخوله تحت قدرة الخلق من الملائكة والبشر والجن وإذا ثبت ذلك وجب العلم بأن معنى وصفه بأنه معجز للرسل أنه مما لا قدرة للعباد عليه أو مما لا يصح لهم قدرة عليهم »[2.9].

فالمعجزة عنده عكس ما قررته المعتزلة وبعض الأشاعرة من أنها ضربان منها ما يقدر عليه العبد وما لا يقدر عليه، فهو يقول: « وليس معنى وصفه بأنه معجز ما يظنه كثير من الناس من أهل الحق وغيرهم من المخالفين وهو أنه ما يعجز عنه الخلق وإن كان أصل وصفه في اللغة بأنه معجز مأخوذ من عجز الخلق عنه ولكن هذا وإن كان موضوع اللغة، فإن المراد بهذا الإطلاق أنه مما لا يدخل تحت قدرة العباد لإمتناع كونه مقدورا لهم وإستحالة وقوعه منهم لا لعجزهم عنه ومنعهم منه »[2.10].

وقد أفاض في ذكر ما يؤيد رأيه نتركه لبعده عن موضوعنا، فالمعجزة عند المتكلمين هي الأمر الخارق للعادة، الذي يظهره الله على يد الأنبياء والذي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله والذي لا يدخل تحت قدرتهم.

شروط المعجزة عند المتكلمين :

تختص المعجزات الظاهرة على أيدي الأنبياء ببعض الصفات والأحكام، تتوافق مع أهدافها وأغراضها، وقد أوجزها الباقلاني في أربع في كتابه الفرق بين المعجزة والكرامة بقوله: « وأما ما تختص به المعجزات الظاهرة على أيديهم من الصفات والأحكام فهو:

- أن تكون آياتهم من أفعال الله تعالى سبحانه التي ينفرد بالقدرة عليها دون سائر خلقه.
- أن يكون ذلك الشيء الذي يظهر على أيديهم مما يخرق العادة وينقضها ومتى لم يكن كذلك لم يكن معجزا.

[2.9]. الباقلاني: كتاب البيان، ص(9-10)
[2.10]. الباقلاني: المرجع ذاته، ص10

• أن يكون غير النبي ﷺ ممنوعا من إظهار ذلك على يده على الوجه الذي ظهر عليه ودعا إلى معارضته مع كونه خارقا للعادة.

• أن تكون واقعا مفعولا عند تحدي الرسول عليه السلام بمثله وادعائه آية النبوة، وتقويمه بالعجز عنه من خالقه، هذه هي الشرائط والأوصاف التي تختص بها المعجزات بصورة إجمالية »[241] وأما فيما يلي فسنتكلم عن المعجزة عند الفلاسفة.

د. المعجزة عند الفلاسفة :

سنحاول من خلال هذا المبحث الحديث عن المعجزة عند الفلاسفة و نبين أسبابها وكيف تقع.

ينطلق الفلاسفة في حديثهم عن المعجزة من أسس فلسفية، فالمعجزة عندهم من فعل الأسباب النفسية الي تمكن الإنسان من فعل خوارق العادات، ومثال ذلك ما يفعله أو يملكه بعض الأشخاص من القدرة على ترك الغذاء مدة كبيرة، وفعل الأعمال الشاقة التي لا يطيقها الآخرون في حالة الغضب أو الفرح والنشوة، أو إذا حصل لها من أحوال العارفين ما يقويها، كالقدرة على الإخبار عن الغيب.

وقد أشار الفلاسفة إلى ما يكون أسبابا للمعجزات فذكروا أن المعجزات منها ما يكون من تأثير صاحب النفس الكاملة والذي هو عندهم النبي والذي يؤثر في الأجرام والأفلاك بنفسه.

وهذه القوة التي يملكها النبي ويؤثر بها في الأجرام والأفلاك مصدرها إتصال النبي بالعقل الفعال، الذي هو المدبر للعالم، عالم الكون والفساد، فالنبي بما أنه قادر على الاتصال بالعقل الفعال فإنه كذلك يقدر على التأثير في عالم الكون والفساد، يقول الفارابي: « فالنبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر، كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر، فتأتي بمعجزات خارجة عن الحيلة والعادات ولا تصدأ مرآتها ولا يمنعها شيء عن إنتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل، وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ ما عند الله عامة الخلق »[242].

---

[241]. الباقلاني: كتاب البيان، ص(44-45)

[242]. الفارابي: فصوص الحكم، ص72

وبهذا المفهوم الفلسفي فالمعجزة هي قوة قدسية يذعن لها عالم الخلق الأكبر، والنبي هو الذي يفعل المعجزة، لأنه يملك القدرة على فعل المعجزات،وقد أشار إلى هذا المعنى ابن سينا أيضا بقوله: « والنفوس تفعل بتوسط قوى جسمانية شتى عن طريق سلسلة من الحركات المتلاحقة التي تنجم عنها أحداث طبيعية شتى، لابد أن تلمّ النفوس السماوية بها، وهذه الأحداث رغم أنها داخلة في العلم الغيبي الخارج عادة عن متناول مداركنا العقلية، لما يعتورها من نقص، فهي ليست بحدّ ذاتها مستعصية على الإدراك أصلا على سبيل الإتصال لذا أمكن للصفوة من البشر المؤيدة بالعقل القدسي الأنف الذكر أن تلمّ بها بحكم إتصالها بالنفوس السماوية، بل أن تؤثر فيها تأثيرا مباشرا فتحدث فيها تحريكا وتسكينا وتبريدا وتسخينا وتكثيفا وتليينا وما يقترن بذلك من ظواهر طبيعية علوية كالبرق والرّعد والزلازل والأمطار والرياح »[243]. فهذه الظواهر هي التي اصطلح الناس على دعوتها بالمعجزات والخوارق على حدّ تعبير ابن سينا.

أسباب المعجزات عند الفلاسفة :

يرى الفلاسفة وعلى رأسهم الفارابي أن النبوة ليست أمرًا فوق الطبيعة ولا شيئا خارقا للعادة،إنها ظاهرة طبيعية كسائر ظواهر الطبيعة الأخرى، فالنبي كما يرى هو إنسان بلغت قوته المتخيلة غاية الكمال، والمخيلة هي التي تحفظ الصور التي ترد إلى الحس من العالم الخارجي وهي التي تعيد تركيبها لتبدع الصور الجديدة التي لا توجد في عالم الحس والواقع، ويمكن للنفس أن تؤثر في الملكوت وتقوم ببعض الظواهر وخوارق العادات.

وأما ابن سينا فقد فصل الكلام في حديثه عن المعجزات وأرجع أسبابها إلى ملكة وقوة بعض النفوس، فالمعجزة ملكة وقوة تكون لبعض النفوس، هذه النفوس يمكن أن تؤثر في بعض الأشياء المادية الطبيعية، فتغير من أحوالها، وكذلك يمكن لها في بعض اللحظات أن تأتي بعجائب الأفعال وعظائم الأمور، وتفعل مالا يمكن أن تفعله في الحالات العادية، وإلى هذا المعنى يشير بقوله: « وكثيرا ما تؤثر النفس في بدن أخر كما تؤثر في بدن نفسها تأثير العين العائنة والوهم العامل، بل النفس إذا كانت قوية شريفة شبيهة بالمبادىء أطاعها العنصر الذي في العالم وانفعل عنها ووجد في العنصر ما يتصور فيها

[243].ابن سينا: الإشارات والتنبيهات، القسم الثالث والرابع، ص(853-854)، وأحوال النفس، (114-126)

وذلك لأن النفس الإنسانية، كما سنبيّن،أنها غير منطبعة في المادة التي لها لكنها منصرفة الهمة إليها، فإن كان هذا الضرب من التعلق يجعل لها أن تحيل العنصر البدني عن مقتضى طبيعته فلايبعد أن تكون النفس الشريفة القوية جدّا تجاوز بتأثيرها مايختص بها من الأبدان ما لم يكن أنغماسها في الميل إلى ذلك البدن شديدا قويا وكان ذلك غالبا في طبيعته قويا في ملكته جدا فتكون هذه النفس تبريء المرضى وتُمرض الأشرار ويتبعها أن تهدم طبائع وأن تؤكد طبائع وأن تستحيل لها العناصر فيصير غير النار نارا وغير الأرض أرضا وتحدث بإرادتها أيضا أمطار وخصب كما يحدث خسف ووباء كلّ بحسب الواجب العقلي »[241].

فالمعجزات تقوم بالنفس عندما تقع لها فلتات في أثناء النوم تخلص بها إلى جانب القدس فينتقش فيها نقش الغيب ويقع لها ذلك في حال اليقظة إذا تجردت عن المادة وكانت قوية ذكية رشيدة واتصلت بالملكوت، وتستطيع بذلك أن تؤثر في الملكوت الأعلى وتقوم بالمعجزات والكرامات وخوارق العادات.

وبهذا فهو يرى أن الخوارق والمعجزات أمر ممكن وجائز وطبيعي كسائر الظواهر الطبيعية التي لها أسبابها، ولا يجدر إنكارها بحال من الأحوال، لأن إنكارها نوع من الطيش والعجزه وأما دليل ابن سينّا على إمكانية النفس الإنسانية على فعل الخوارق فهو التجربة والقياس في حالتي النوم واليقظة يقول: « إذا بلغك أن عارفا أمسك عن القوت المزروء مدة غير معتادة، فاسجع بالتصديق واعتبر ذلك من مذاهب الطبيعة المشهورة. وإذا بلغك أن عارفا أطاق بقوته فعلا أو تحريكا أو حركة تخرج عن وسع مثله فلا تتلقه بكل ذلك الإنكار، فلقد تجد إلى سببه سبيلا في اعتبارك مذاهب الطبيعة، وإذا بلغك أن عارفا حدّث عن غيب فأصاب متقدما ببشرى أو نذير فصدق، ولا يتعسرن عليك الإيمان به فإن لذلك في مذاهب الطبيعة أسبابا معلومة »[242].

فكل هذه الأمور من وجهة نظر ابن سينا لا يمكن إنكارها، ولذلك يقول :« ولعلك قد يبلغك عن العارفين أخبارا تكاد تأتي بقلب العادة فتبادر إلى التكذيب، وذلك مثل ما يقال أن عارفا استسقى للناس فسقوا أو استشفى لهم فشفوا، أو دعا عليهم فخسف بهم وزلزلوا

---

[241].ابن سينا: الشفاء، ص(191-196)

[242].ابن سينا: الإشارات، ص(853 -863)

فتوقف ولا تتعجل فإن لأمثال هذه أسبابا في أسرار الطبيعة »[2.16]. فابن سينا وإن كان يقول بالمعجزة أو بخرق العادات لدى الأنبياء ويدعو إلى التصديق بها، إلا أنه يوسع من إمكانية وقوعها إلى غيرهم كالأولياء والصالحين والعارفين، وهذا ما يتعارض مع مفهوم المعجزة عند المتكلمين، فهم يقصرونها على النبي وحده دون سواه.

ومن جهة أخرى يرجع المعجزة أو خرق العادة كما يسميه إلى قوى نفسانية وإلى ملكة وقوة عند الشخص، وليس إلى قوى خارجية عن نفس النبي كما هو الحال عند المتكلمين إذ يرجعون أمر المعجزة إلى الفعل الإلهي بواسطة الملك جبريل.

ومن جهة ثالثة يبرهن على المعجزة ويدافع عنها بكونها أمرا طبيعيا لا يخرج عن سائر الظواهر الطبيعية لأن في الطبيعة عجائب وغرائب كثيرة. وهذا أمر أيضا لا يتفق فيه مع المتكلمين لأنهم لا يرون في المعجزات أمرا طبيعيا كسائر الظواهر الطبيعية. ويمكن أن نخلص من أقوال الفلاسفة إلى ما يلي:

1- الفلاسفة يجعلون النبوة أمرا ممكنا، إذ يمكن للنبي وهو إنسان منح مخيلة عظيمة أن يطّلع على الهامات سماوية في مختلف الظروف والأحوال والأوقات في اليقظة والمنام.

2- المعجزة صاحبها لا يمنعه شيء من الإطلاع على ما في اللوح المحفوظ « والنبوة ظاهرة طبيعية وليست أمرا فوق طبيعة الأشياء وإنما هي كسائر الظواهر »[2.17]. وقد فسّر الفلاسفة المعجزات تفسيرا عقليا تبعا لمذهبهم في النبوة.

وبهذا تصبح المعجزة أمرا في متناول النبي ومن فعله كما يرى الفلاسفة، وإذا كان الفارابي يجعل المعجزة أمرا في يد النبي ومن فعله، فإن ابن سينا يكاد يسوي بين ما يفعله النبي والساحر، ويرى أن المعجزات لها أسباب من أسرار الطبيعة، فالساحر يؤثر في النفس وفي عناصر العالم الآخر بنفسه، فالنفس كما أنها تؤثر في عناصر بدن نفسها يمكنها أن تؤثر في عناصر العالم فتؤثر في العالم بالزلازل أو بانزال المطر ونحو ذلك، هذا ما يحدث للأنبياء والسحرة.

[2.16].ابن سينا: المرجع ذاته، ص892

[2.17]. د. عبد الرحمان مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، ص449

فالنبي يمكن أن يدعو للناس فيشفوا من مرضهم أو تتزلزل الأرض وتخسف بهم، ومثل هذه المعجزات كما يرى الفلاسفة وبهذه الصورة لا ينبغي أن نتوقف حيالها ونتعجب من وقوعها، فإن لأمثالها أسبابا من أسرار الطبيعة والإصابة بالعين قد تكون من هذا القبيل.

وقد ذكر ابن سينا بعض الأسباب والقوى النفسانية التي يمكن أن تجعل الإنسان يتمكن من فعل خوارق العادات مثل القدرة على ترك الغذاء مدة من الزمن لإشتغال النفس بما يُعْرض لها من محنة أو تخوف ونحو ذلك حتى أنها لا تجوع لإشتغال القوى الهاضمة عن تحليل الغذاء.

3. يفهم من كلام الفلاسفة الذي ذكرناه أن الملائكة لا دخل لها في المعجزة، والنبي يكون مدركا للمعجزة وشاعرا بها ومريدا لها، « ما دامت أسبابها نفسيته وما دامت تحدث نتيجة اتصالات فلكية أو بسبب تمريج القوى الفعالة أو القوى المنفعلة الأرضية أو تأثير النفس في هيولى العالم »[2.18] وقد أشار إبن خلدون إلى هذا المفهوم الذي ذكره الفلاسفة للمعجزة بقوله « الحكماء الخارق عندهم من فعل النبي والنفس النبوية عندهم لها خواص ذاتية منها صدور هذه الخوارق بقدرته وطاعة العناصر له في التكوين»[2.19]

فهي من فعل النبي وبإرادته ويكون مدركا لها وهذا التفسير يخالف ما ورد عند المتكلمين في شروط المعجزة وخواصها وتخرجها من إطارها العقائدي الشرعي ويجعلها متساوية مع ما يفعله السحرة ومع كرامات الأولياء، ولكن هل المعجزة والكرامة بمعنى واحد أم بينهما فروق واختلافات، هذا ما سنبحثه فيما يلي.

2. مفهوم الكرامة :

أ. الكرامة لغة :

الكرامة في اللغة العربية جاءت من فعل كرُم، والكريم اسم من أسماء الله الحسنى ومعناه الكثير الكرم، الجواد المعطي الذي لا ينفذ عطاؤه، والكريم هو الجامع لأنواع الكرم والخير والشرف والفضائل، والكرم نقيض الظلم، قال الزمخشري :« كرم علينا فلان كرامة، وأكرمه الله وكرّمه وإكرام نفسه بالتقوى وإكرامه عن المعاصي

[2.18]. محمد رشاد سالم: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، ص125

[2.19]. ابن خلدون: تاريخ إبن خلدون، ج! ص264

وهو يتكرّم عن الشوائب »[250]، وفي ترتيب القاموس المحيط :« كرم، الكرم، ضد اللؤم، وأكرمه وكرّمه عظمه ونزهه »[251]، فالكرامة من الكرم والجود وتعني أيضا التنزه والتعظيم.

ج. الكرامة إصطلاحا :

الكرامة هي ما يظهره الله تعالى على يد بعض عباده الصالحين من الحوادث والحالات التي تخرج عن الأمر المعتاد اليومي، فقد عرفها البيجوري « بأنها أمر خارق للعادة تظهر على يد عبده، ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلفت شريعة مصحوب بصحيح الإعتقاد والعمل الصالح علم بها أو لم يعلم »[252]، ولا ريب أن الكرامة تشبه إلى حد كبير المعجزة فهي ترتبط بأولئك الصالحين الذين تابعوا الأنبياء في شريعة الله تعالى وتابعوا السنة وأحيوا مبادئ الشريعة حتى يبدو الواحد منهم وكأنه تجسيدا للمبادئ التي جاء بها الأنبياء، ولعل هذا التشابه الكبير هو الذي جعل الباقلاني يقول أن المعجزة والكرامة متساوية في كونها ناقضة للعادات، ورغم هذا التشابه الكبير بينهما إلا أن المتكلمين أشاروا إلى الفروق الموجودة والملحوظة بينهما نذكرها بغرض إزالة اللبس والغموض والإشكال الذي قد يطرح على بعض الإفهام.

ج. الفرق بين الكرامة والمعجزة عند المتكلمين :

لقد ذكر المتكلمون بعض الفروق الموجودة بين المعجزة والكرامة في كتبهم، يمكن حصرها في النقاط التالية :

1. المعجزة والكرامة كلاهما خارق للعادة.
2. الكرامة تظهر على يد الولي، أما المعجزة فتظهر على يد النبي.
3. المعجزة لا يكتمها صاحبها بل يحدث بها ويتحدى بها خصوم الوحي ومعارضيه ويبينها لهم ويدعوهم إلى التصديق بها، وأما الكرامة فيجتهد صاحبها في إخفائها وكتمانها لا سيما إذا كان من أولياء الله الصالحين المخلصين.
4. « صاحب المعجزة وهو النبي لا يتبدل ولا يتغير لأنه معصوم، أما ذو الكرامة من الناس فلا يؤمن تبدله لأنه غير معصوم »[253].

---

250. الزمخشري: المرجع السابق، ص391
251. الزاوي أحمد الطاهر: المرجع السابق، جـ4، ص41
252. إبراهيم الباجوري: المرجع السابق، ص342
253. البغدادي: أصول الدين، ص174

ويرى الباقلاني أن « الكرامات والمعجزات متساوية في كونها ناقضة للعادات، غير أن الفرق بينهما من وجهين: أحدهما تسمية ما يدل على صدق الأنبياء معجزة، وتسمية ما يظهر على يد الأولياء كرامة للتمييز بينهما.

والآخر، أن صاحب المعجزة لا يكتم معجزته بل يظهرها ويتحدى بها خصومه، وصاحب الكرامة يجتهد في كتمانها ولا يدعي فيها. وهناك فرق ثالث هو أن صاحب المعجزة مأمون التبديل معصوم عن الكفر والمعصية بعد ظهور المعجزة عليه، وصاحب الكرامة لا يؤمن تبدل حاله »[254].

د. الفرق بين المعجزة والكرامة عند الفلاسفة :

يرى الفارابي الفرق بين النبي والولي، أن النبي يتصل بالعقل الفعال أثناء اليقظة وفي حال النوم، أما الولي فهو شخص دون النبي لا يتصل بالعقل الفعال إلا في حال النوم، وأن الأولياء يرون الأشياء بخيالهم لكن لا يرونها ببصرهم، فهناك أشخاص قويوا المخيلة، ولكنهم دون الأنبياء فلا يتصلون بالعقل الفعال إلا في حال النوم، وقد يعجز عليهم أن يعربوا عما وقفوا عليه، فيقول « ودون الأنبياء من يرى بعض الصور الشريفة في يقظته وبعضها في نومه، ومن يتخيل في نفسه هذه الأشياء كلها ولكن لا يراها ببصره، ودون هذا من يرى جميع هذه في نومه فقط، وهؤلاء تكون أقاويلهم التي يعبرون بها أقاويل محاكية ورموزا وألغازا وإبدالات وتشبيهات، ثم يتفاوت هؤلاء تفاوتا كبيرا »[255].

وأما ابن سينا فلا يرى فرقا بين المعجزة عند الأنبياء والكرامة عند الأولياء ويرجع وقوع المعجزة والكرامة إلى قوى النفس الإنسانية القوية الجواهر التي تنقطع عنها الشواغل وتقل وتصعد إلى عالم الأرواح، وكل من كانت نفسه قوية الجواهر متخلية عن الشواغل حصلت له الكرامة والمعجزة ونجد هذا في قوله « فإذا انقطعت هذه الشواغل أو قلت أثناء النوم لم يبعد أن تكون للنفس فلتات تخلص بها إلى جانب القدس فينتقش فيها نقش من الغيب، وإذا كانت النفس قوية الجواهر تسع الجوانب المتجاذبة وتستطيع الإستيلاء على الشواغل المختلفة، لم يبعد أن يقع لها هذا الخلس والإنتهاز في حال

---

254. الباقلاني: الفريق بين المعجزات والكرامات، ص119
255. الفارابي: المدينة الفاضلة، ص25

اليقظة، وهذه القوة ربما كانت للنفس بحسب المزاج الأصلي، وقد تحصل بضرب من الكسب يجعل النفس كالمجردة لشدة الذكاء كما تحصل لأولياء الله الأبرار، والذي يقع له هذا في جبلة النفس ثم يكون خيّرا رشيدا مزكيا لنفسه فهو ذو معجزة من الأنبياء أو كرامة من الأولياء »[256]. فهذه تسوية واضحة بين النبي والولي وهو بهذا يخالف الفارابي والمتكلمين في تمييزهم بين النبي والوليء والنتيجة التي نصل إليها من قول المتكلمين والفلاسفة أن هناك فروقا واضحة بين المعجزة والكرامة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[256]. ابن سينا: المرجع السابق، ص(214-220)

المبحث الثاني: أنواع المعجزات

لم تكن المعجزات التي ظهرت على أيدي الرسل والأنبياء من نوع واحد، فكما تنوعت أدلة صدقهم تنوعت أيضا معجزاتهم، فالمعجزات إختلفت باختلاف طبيعة العصر وعقلية المخاطبين بالرسالة وطبيعة الرسالة نفسها ويمكن تقسيم المعجزات إلى نوعين : حسية وعقلية.

1. المعجزات الحسية :

وهي التي تكون مشاهدة بالعين وتقع تحت الحواس الإنسانية، فهي معجزات مادية، وتتعلق بالسنن الجارية وخرقها، قال الراغب : « هي ما تدرك بالعيان وتقع عليه المشاهدة »[257]، وقد وقعت للأنبياء السابقين لمحمد بن عبد الله، فكانت معجزاتهم من قبل معجزات حسية وكونية وكل نبي كان يأتي بمعجزة من جنس ما اشتهر به قومه ليكون التحدي في الصميم ويكون تأثيرها حاسما في نفوس من تنزل عليهم، وهي كذلك مرتبطة بالزمان والمكان الذي نزلت فيه، يقول الأمير عبد القادر عنها، وذلك أن معجزة الرسل عليهم السلام كانت بقدر أهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه »[258].

فقد كان المصريون بارعين في السحر، وكان كهنة المعابد الفرعونية متخصصين فيه يستخدمونه ليبهروا به أعين الناس، ومن ثم يستعبدونهم لفرعون وللآلهة المزعومة التي يقوم أولئك الكهنة والسحرة بطقوس العبادة لها وأخذ الأموال والقرابين من الناس باسمها، لذلك أرسل الله تعالى موسى بمعجزة من جنس ما اشتهر به أولئك السحرة ليبطل سحرهم ويظهر الفرق بين صنع الناس وصنع الله.

وكان قوم عيسى بارعين في الطب يأتون فيه بما يبهر أعين الناس فناسب أن تكون المعجزة التي يرسل بها عيسى عليه السلام خارقة في نفس الميدان الذي برع فيه هؤلاء ليتبينوا هم أولا ويتبين الناس من ورائهم أن المعجزة شيء آخر غير ما يصنعون، لذلك كانت معجزات عيسى إبراء الأكمه والأبرص بغير دواء ولا علاج وفي التو واللحظة وأمام مرأى عيونهم،كذلك أيضا معجزة إحياء الموتى.

---

257. الراغب الإصفهاني: الإعتقادات، ص128

258. الأمير عبد القادر: المقراض الحاد، ص183

وعلى هذا النحو وقعت المعجزات عند الأنبياء الآخرين، فمعجزة نوح الطوفان، ومعجزة إبراهيم النجاة من النار ومعجزة سليمان الريح وتسخير الجن وتليين الحديد، فعن معجزة موسى يقول مالك بن نبي « فإذا قسنا به في نطاق رسالة موسى عليه السلام مثلا نرى أن الله إختار لهذا الرسول معجزتي اليد والعصا، وإذا تأملناهما وجدناهما كحجة يدعم الله بها نبيه يتصفان بأنهما :

1. ليستا من مستوى العلم الفرعوني الذي كان من إختصاص أشخاص معدودين يكونون هيئة الكهنوت، بل كانت المعجزة في كلتا صورتيهما من مستوى السحر الذي يقع أثره في إدراك الجميع عن طريق المعاينة الحسية دون إجهاد وفكر.

2. هاتان المعجزتان تتصلان بتاريخ الدين الموسوي لا بجوهره إذ ليس لليد أو العصا صلة بمعاني هذا الدين ولا بتشريعه، فهما على هذا مجرد توابع للدين لا من صفاته الملازمة له.

3. دلالة هاتين المعجزتين على صحة الدين محدودة بزمن معين إذ لا نتصور مفعول اليد والعصا كحجة إلا في الجيل الذي شاهدهما أي مفعوله لا يكون إلا في زمن محدد لحكمة أرادها الله »[259]. فهذه هي المعجزة الحسية بما تتميز به من الخصائص.

2. المعجزة العقلية :

قد تكون المعجزة ليست بفعل حسي وإنما علم يخبر به النبي عن أشياء كثيرة، فليست بفعل حسي يكون خارقا للعادة ولقوانين الطبيعة التي ألفها الناس، وإنما تقوم على العقل، يدركها بالتأمل والنظر وتفوق قدرته، قال الراغب وهو يتكلم عن أنواع المعجزات « والعقلي ما لا يدرك إلا بالبصيرة والروية والفكرة »[260]، والقرآن الكريم يمثل هذه المعجزة أحسن تمثيل فهو المعجزة العقلية التي جاء بها النبي محمد ﷺ، فهو الوحي المدعى والخارق المعجز، تحدى العرب وأعجزهم وتحدى وأعجز العصور كلها، وها هي العلوم كلما تقدمت كلما كشفت جوانب الإعجاز فيه. فالقرآن هو معجزة الرسول محمد ﷺ ويتميز عن المعجزات السابقة للأنبياء بمميزات كثيرة كما يقول مالك بن نبي : « وهكذا تأتي رسالة الرسول الأمين ولكنها تتسم بصفة خاصة تميزها عما سبقها من الرسالات إذ أنها الحلقة الأخيرة في سلسلة البعث، ويأتي محمد خاتم الأنبياء كما ينوه

---

[259].مالك بن نبي: الظاهرة القرآنية، ص(64-65)

[260].الراغب الإصفهاني: المرجع السابق، ص128

بذلك القرآن ويشهد به مرور الزمن منذ أربعة عشر قرنا »[261]، ولكي يتبين لنا الأمر أكثر ويتضح ينبغي أن نبين الفرق بين المعجزة الحسية و العقلية.

3. الفرق بين المعجزة الحسية والمعجزة العقلية :

لقد تبين لنا من خلال العرض السابق لمفهوم المعجزتين الحسية و العقلية، أن بينهما فروقا أساسية وجوهرية تتلخص فيما يلي:

1. المعجزة الحسية تكون مناسبة للأقوام الذين تقع بينهم و غرضها إثبات القصور فيما برعوا فيه لإثبات صدق النبي وحمل الناس على الإذعان له و إتباع الوحي.
2. المعجزة الحسية لا تدخل في مضمون الدعوة ولا تحمل تعاليم وأحكام معينة، وإنما هي مقدمة ضرورية يسلم بها القوم للنبي ويذعنون لما يقوله لهم ويدعوهم إليه.
3. المعجزات الحسية يمكن أن تشتبه بالسحر و الشعوذة، فيختلط الأمر بذلك على العامة.
4. لا يدخل التصديق بهذه المعجزات ضمن التصديق بالرسالة، بل هي التي تحمل الناس على التصديق بمضمون الرسالة.
5. يكون تأثيرها أوقع عند العام وأبهر لقلوبهم.
6. لا تدوم ولا تثبت ولا تصل إلى مستوى المعجزة العقلية.
7. تدرك بالحواس ولا تدرك بالعقل وحده.
8. ملزمة لمن شاهدها، وغير ملزمة لمن لم يشاهدها.

أما المعجزة العقلية فتتميز بما يلي:

1. المعجزة العقلية لا تخص قوما دون أخرين، ولا مكانا دون آخر، ولا زمانا دون زمان، وإنما عامة للزمان والمكان والناس.
2. تحمل أحكاما وتعاليم،وهي ذاتها من مضمون الرسالة، بل هي أساس الدين والوحي كما هو في القرآن الكريم.
3. التصديق بها وعلى وجه التحديد القرآن الكريم من صلب العقيدة ومن أساسيات الرسالة.
4. تدرك بالعقل والفكر والرؤية،وتدرك من خصائصها.

---

[261].ابن نبي: المرجع السابق، ص66

- 5. يكون تأثيرها على الدوام وباستمرار، ويكون عند أهل العلم والمعرفة أكثر منه عند عامة الناس.

6. تورث العالم والمصدق بها يقينا لا يعقبه شك.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

المبحث الثالث : دلالة المعجزة على النبوة

يحتاج النبي والرسول إلى ما يؤيد به دعوته ويثبت به ما يدعيه من النبوة والوحي، وقد أتاهم الله بما يؤيدهم فأظهر على أيديهم المعجزات والآيات الباهرات، كدليل على صدقهم، يثبتون بها نبوتهم ويقيمونها حجة على ما يقولونه للناس. فقد أظهر الله تعالى هذه المعجزات على أيدي رسله وهم بشر كسائر البشر، ولكنها فعل أعجزهم بها لكي تكون دليلا على صدقهم، فمع أنها تظهر على أيدي بشر مثلهم إلا أنهم يعجزون عجزا مطلق عن الإتيان بمثلها.

وقد ذهب المتكلمون والفلاسفة إلى إعتبار أن المعجزة هي الدليل الأول والقاطع والقوي على صدق النبي والرسول وإن كان كل منهم يضيف أدلة أخرى كمضمون الرسالة وإعجاز القرآن وأمية الرسول.

ولئن إختلف الفلاسفة عن المتكلمين في كيفية وقطعية دلالة المعجزة على صدق النبي فإنهم يتفقون في كون المعجزات دليل الأنبياء والرسل في إثبات النبوة والوحي، وفيما يلي نعرض رأي الفريقين ونبدأ بالمتكلمين.

1. دلالة المعجزة على النبوة عند المتكلمين:

ذهب المتكلمون إلى القول بأن الدليل الأول على صدق النبي هو المعجزة سواء الحسية أو العقلية، فما دام النبي يدعي الوحي ويخاطب الناس به ويدعوهم إلى التصديق واتباع ما جاء به فوجب أن يظهر على يديه ما يؤيده به دعواه، وقد تفضل الباري جلّ وعلا بتأييدهم بما يلزم دعوتهم من المعجزات الحسية والعقلية، فجعل لكل واحد منهم ما يناسب قومه منها، وأوقع لهم ما كان كافيا لجعل المعاندين والمخالفين والمكابرين يقفون عاجزين أمامهم، فلجأ أكثرهم إلى محاربة الأنبياء واتباعهم بالسلاح لأن الوسائل الأخرى لم يفلحوا فيها، وفي أقوال المتكلمين ما يوضح هذا الأمر يقول البغدادي: « النبي لابد له من إظهار معجزة تدل على صدقه، فإذا أتى بها وبان لقومه وجه الإعجاز فيها لزمهم تصديقه وطاعته ولم يكن لهم مطالبته بمعجزة أخرى »[262].

---

[262]. البغدادي: أصول الدين، ص173

وإذا كان البغدادي يرى أنه لابد من أن تظهر معجزة تدل على صدق النبي، فإن الشهرستاني يرى الدليل على صدق نبينا عليه السلام هو القران الذي جاء به فيقول:« الدليل على صدق نبينا عليه السلام الكتاب الذي جاء به هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان »[264].

وفي ذات السياق نقل الأمير عبد القادر عن الرازي قوله:« إعلم أن القائلين بالرسالة فريقان أحدهما الذي يقول أن ظهور المعجزات على يد صاحب الرسالة يدل على صدقه »[264]. ويؤكد الباقلاني القول بأن المعجزة هي التي تدل على صدق إدعاء الرسالة فيقول:« ثم اتفق على أنه لا دليل يفصل بين الصادق والكاذب في ادعاء الرسالة إلا الآيات المعجزة »[265]، فالمعجزة تميز النبي الذي يوحى إليه من الذي يدعي ويتنبأ كاذبا. ويظهر صدق ما يقول النبي للناس:« إذ لابد من معجزة واحدة تدل على صدقه فإذا ظهرت عليه معجزة واحدة تدل على صدقه وعجزوا عن معارضته بمثلها فقد لزمهم الحجة في وجوب تصديقه ووجوب طاعته »[266].

فالمعجزة إذن هي التي تدل على صدق النبي لأنها تأتي على لون جديد من الأفعال والمعارف لم يطلع الله تعالى الخلائق عليها ولم يمكنهم من استغلالها، وتأتي مصادمة لقانون السببية مع وجود الظروف المناسبة فتتعطل القاعدة بعد توفر حضور جميع أسبابها، وعندما تكون على هذا النحو يسلم بها البشر ويصدقون مدعي النبوة وينقاد الجميع له علماء وعوام، وبهذا تكون المعجزة من أقوى الأدلة على صدق النبي والرسول.

2. دلالة المعجزة على النبوة عند الفلاسفة :

يرى الفلاسفة أن المعجزات التي تظهر على أيدي الأنبياء تدل على صدقهم وصحة رسالتهم ولكنها لا تدل دلالة قطعية، فيرى الفارابي أن المعجزات هي الدليل على صدقهم وصحة ادعائهم النبوة، فهي قوة قدسية يذعن لها عالم الخلق الأكبر، وأمر خارج عن الحيلة والعادة لا يمنعها شيء من الإطلاع على ما

---

[263].الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص447
[264].الأمير عبد القادر: المرجع السابق، ص155
[265].الباقلاني: المرجع السابق، ص38
[266].البغدادي: الفرق بين الفرق، ص344

في اللوح المحفوظ، فيقول:« النبوة مختصة في روحها بقوة قدسية تذعن لها غريزة عالم الخلق الأكبر كما تذعن لروحك غريزة عالم الخلق الأصغر فتأتي المعجزات خارجة عن الحيلة والعادات ولا تصدأ مرآتها ولا يمنعها شيء عن انتقاش ما في اللوح المحفوظ من الكتاب الذي لا يبطل، وذوات الملائكة التي هي الرسل فتبلغ مما عند الله عند عامة الخلق »[267].

وذكر ابن رشد في مناهج الأدلة أوجه دلالة المعجزة على صدق النبي وبين أن المعجزات الحسية تدل على صدق الرسل في حينها وكل نبي له معجزة تدل على صدقه أما محمد ﷺ فدليل صدقه هو القرآن الكريم من أوجه عديدة منها ما فيه من التشريع وما حواه من المعارف والمضامين، إلى جانب كون من نزل عليه هو رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولم يتعلم والأمة التي نشأ وتربى فيها أمة لم تكتب ولم تقرأ. وبين أن دلالة القرآن على الإعجاز وعلى صدق النبي دلالة قطعية ثابتة ودائمة للعام والخاص من الناس بخلاف المعجزة الحسية.

وأما ابن سينا فيعتبر النبوة أمرا طبيعيا وظاهرة كسائر الظواهر التي لها أسبابها التي قد لا تخفى علينا، ويمكن تفسيرها بحسب نواميس الطبيعة المعقولة. ويرى أن البرهان على صدق النبي هو ما يتميز به من الخصائص والطاعات والتي لا تكون لسائر الناس وإنما تكون له لخصوصية فقط فيقول:« وكل نبي يجب أن يكون متميزا باستحقاق الطاعة، واستحقاق الطاعة لا يكون إلا لخصوصية له ليست لسائر الناس، أعني لأختصاصه بآيات تدل على أنها من عند ربه، تلك هي معجزاته. ولا تنتظم الشريعة دون أن يكون للمحسن والمسيء جزاء من عند القدير الخبير وذلك يتضمن معرفة المجازي والمسيء »[268]. وابن سينا كما سبق أن أشرنا في الصفحات السابقة يرى أنه يجب التصديق بالخوارق والمعجزات التي تظهر على يد الأولياء والأنبياء لأن ذلك يتماشى مع الطبيعة.

وقد أشار إبن خلدون إلى رأي الفلاسفة في المعجزة في المقدمة بقوله: « وتزيد الفلاسفة على هذا البرهان، حيث يحاولون إثبات النبوة بالدليل العقلي، وأنها خاصة

---

[267]. الفارابي: فصوص الحكم، ص72

[268]. ابن سينا: المرجع السابق، ص902

طبيعية للإنسان »[269]. هذا مفهوم الفلاسفة ورأيهم في دلالة المعجزة على النبوة بصفة عامة.

وأما أدلة نبي الإسلام باعتباره آخر الأنبياء وخاتم الرسل فهة ما سنبينه في المبحث التالي:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

[269].ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جـ1، ص72

المبحث الرابع : أدلة نبي الإسلام

الناس بالنسبة للنبي محمد ﷺ صنفان :

الأول: الشاهد الذي شاهد النبي وحضر زمنه، وقابله خلال فترة نزول الوحي فيكون هذا الصنف من الناس قد عاصر البعثة، ويصدق هذا الكلام ليس على النبي محمد ﷺ، بل على كل نبي من الأنبياء ورسول من الرسل، فما من نبي إلا وعاصره قومه وشاهدوه.

الثاني: الغائب عن زمن البعثة وهو كل من جاء بعد إنقطاع الوحي وغياب الرسل عن الحياة الدنيا والموقف بالنسبة لكل واحد منهما يختلف عن الآخر.

أما بالنسبة **للشاهد** الذي عاش زمن البعثة وعاصر النبي حين عرض دعوته على الناس وأخبرهم أنه تلقى وحيا من الله تعالى وأتاه خبر من السماء **فقد جمع محمد بن عبد الله الناس في صعيد واحد وأخبرهم بما أوحاه الله تعالى إليه فصدقه البعض وأعرض** عنه البعض الآخر، **وفي معرض إصراره على دعوته**، ودعوة الناس إلى هداية الوحي طلبوا منه الأدلة والبراهين على صدق ما يدعيه، فأيده الله تعالى تعالى بالأدلة والبراهين على ذلك فكانت المعجزات الكثيرة والتي منها المادي المحسوس، ومنها العقلي غير المحسوس، فكان يظهر على يد النبي في بعض الأحيان وفي كثير من المناسبات بعض الخوارق التي تأخذ بعقول الناس فتبهرهم فيذعنون للوحي ويسلمون للنبي ويصدقون ما يقول **وهذه المعجزات أو الخوارق المادية يشترك فيها الأنبياء جميعا يقول محمد عبده** معبرا عن هذا المعنى: « الدليل على رسالة نبي وصدقه فيما يحكي عن ربه ظاهر للشاهد الذي يرى حاله ويبصر ما أتاه الله تعالى من الآيات البينات ويحقق بالعيان ما يغنيه عن البيان »[270].

والبينات والآيات لابد أن تكون مقرونة عند دعوى النبوة وظهورها، بالبراهين المثبتة لنبوة من ظهرت على يده لأن النبي يستند إليها في دعواه أنه مبلغ عن الله تعالى، فاصدار الله تعالى لها عند ذلك يعد تأييدا منه له في تلك الدعوى.

---

[270].محمد عبده: المرجع السابق، ص107

والمعجزات الحسية التي أيد الله نبيه محمدا كما أيد غيره من الأنبياء السابقين بها كثيرة منها : حنين الجذع إليه، وكلام الذئب وتسبيح العصا في يده ومجيء الشجرة وكلام الذراع المسمومة معه، ونبوع الماء من تحت أصابعه، ودَرّ الشاة الحائل لما مسها. فقد روى البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال: « رأيت رسول الله ﷺ وحانت صلاة العصر فالتمس الناس وضوءا فلم يجدوه، فأتى رسول الله بوضوء في إناء فوضع رسول الله ﷺ في ذلك الإناء يده، ثم أمر الناس أن يتوضئوا منه، قال أنس فرأيت الماء ينبع من تحت أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضئوا من عند آخرهم.

وعنه رضي الله عنه قال أوتى رسول الله ﷺ بإناء وهو بالزَوْراء فوضع يده في الإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم،قال قتادة قلت لأنس كم كنتم ؟ قال: ثلاثمائة أو زهاء ثلاثمائة »[271].

وليست المعجزات الحسية وحدها التي أظهرها الله تعالى على يد نبيه محمد كما عند الأنبياء السابقين بل أيده الله تعالى بدلائل ومعجزات أخرى أهمها القرآن الكريم.

وفيما يلي سنبحثها ونبدأ ببعض الأدلة :

1. الخبر المتواتر:

التواتر هو أحد السبل التي يثبت بها الخبر ويُتَحقق من صحته في مناهج البحث عند العلماء المسلمين، وهذا السبيل تنهض به علوم عديدة منها علم مصطلح الحديث وعلم الجرح والتعديل وتراجم الرجال، حيث تلتقي هذه الفنون والعلوم كلها لتضع ميزانا دقيقا يتضح فيه الخبر الصحيح من غيره. فالخبر يرقى إلى درجة الصحة عندما يثبت بالبحث الدقيق والتحري أن سلسلة نقل الخبر متصلة من صاحب الخبر إلى من يصل إليهم في كل زمن،وتكون هذه السلسلة معلومة ومحفوظة ، لا يتخللها أي خلل أو طعن أو شك.

ولاشك أن أصول الدين الإسلامي وقواعده ومصدره الأساسي وهو الوحي قد ثبت بهذا الطريق الفريد الذي لا يوجد له نظير في مناهج البحث عن الحقيقة عند غير المسلمين.

271.البخاري: صحيح البخاري- كتاب المناقب، باب 22، ص(1309-1310)، جـ3.

ومما يستدل به عن نبوة النبي وصدق دعوته بالنسبة للغائب عن زمن البعثة التواتر في نقل خبر النبوة، وقد اعتبره محمد عبده أحد الأدلة والبينات على صدق النبي فيما يدّعيه من النبوة إذ يقول:« أما للغائب عن زمن البعثة فدليلها التواتر، والتواتر كما هو في علم أخر رواية خبر عن مشهود من جماعة يستحيل توطؤهم على الكذب وأيته قهر النفس على اليقين بما جاء فيه، وسبب استحالة التواطؤ على الكذب استيفاء الخبر لشرائط معلومة وخلوه من عوارض تضعف الثقة به ومرجع ذلك إلى العدد وبعد الراوي عن التحيز لمضمون الخبر وهذا النوع من الإخبار يحصل اليقين بالمخبر به ومن الأنبياء من استوفى الخبر عنهم شرائط التواتر كإبراهيم وموسى وعيسى »[272].

وإذا تأملنا في مفهوم ومضمون الخبر المتواتر فإننا نجد أنه يصدق كدليل على صدق نبوة محمد ﷺ إذ أنه استوفى الخبر عنه وعن رسالته شرائط التواتر بحيث صار يقهر نفس المتأمل والمفكر الموضوعي على التصديق بخبره وبرسالته. ولعل في تاريخ الفكر الإنساني نماذج لا تعد ولا تحصى من الأمثلة، أما بالنسبة للأنبياء السابقين فأدلتهم على صدق الوحي إليهم وعلى نبوتهم هي المعجزات الحسية المادية، وذلك بالنسبة للذين عاصروهم وشاهدوهم فكل نبي من الأنبياء والرسل السابقين عارضه قومه وطلب منه خصومه البراهين والحجج على صدقه، فكان سلاحهم في ذلك هو ما أيدهم الله تعالى وما أظهره على يدهم من المعجزات الحسية التي أفحمت الخصوم وقهرت المعاندين وبعثت اليقين في نفوس المؤيدين،وفي تاريخ الأديان ما يدل على ذلك وفي القرآن من الأخبار الواردة في شأنهم وموقف أقوامهم منهم، وذكر نماذج من المعجزات التي أظهرها الله تعالى على أيديهم الكثير الكثير، وإذا أردنا أن نعدها فإننا نجدها كثيرة.ولاشك أن القرآن هو أكثر المصادر التي ذكرت هذه المعجزات بإسهاب والتي منها طوفان نوح، وناقة صالح، ونار إبراهيم وتستخير الجان، والريح لسليمان،والعصا والبحر لموسى،والقدرة على إبراء الأكمة والأبرص لعيسى... كل هذه المعجزات الحسية أظهرها الله تعالى على يد أنبيائه ولكنها مرتبطة بالزمان والمكان الذين ظهرت فيهما،ومفعولها مقتصر على من شاهدها وعاصر النبي الذي ظهرت على يده، وإذا تحدثنا عنهم فإننا نفعل ذلك من قبيل الإشارة السريعة، لأن الحديث ينبغي أن يرتكز على بيان دلائل نبوة محمد ﷺ، لأسباب

272.محمد عبده: المرجع السابق، ص107

عدة منها أن الإسلام هو خاتم الأديان وهو الذي يواجه التحديات على الدوام لأنه الدين الذي يحتوي تشريعات ونظم. ولأن القرآن كتاب الإسلام هو الكتاب الوحيد المتداول بصيغة واضحة وقطعية. ولأن مبررات وجود هذه الأديان في الواقع لا ترقى إلى مستوى الإسلام، لذلك سيتركز الحديث في هذا المبحث عن نبي الإسلام والمعجزات التي أيده الله تعالى بها وكيف تدل على نبوته.

2. أمية النبي ودلالتها على النبوة عند المتكلمين والفلاسفة :

إن من الأيات التي تظهر في تشريع الله ﷻ وتبرهن على صحة الرسالة الأمية في شخص الرسول محمد بن عبد الله ﷺ وفي قومه.

والأمية وإن كانت في عرف الناس وسائر الأمم صفة ذميمة وعدوة للإنسان وهي مصدر الكثير من الشرور والآفات، وتأثيرها يشمل جميع الدول والأمم والمجتمعات، والكل يولي أهمية قصوى لمحاربتها كافة خطيرة ويبذل كل ما لديه للقضاء عليها،وهي في أصلها جهل وعدم ولاشيء ولا يمكن للإنسان الأمي أن يفعل شيئا، هذا بالنسبة لعامة الناس وسائر الأمم والشعوب، فإنها تنقلب في شخص الرسول محمد بن عبد الله إلى أمر أخر وتأخذ طابعا يختلف تماما عن عرف الناس، فالأمية جّعلت فيه وسيلة لتحقيق غاية عظمى، فقد جعلها الله تعالى فيه صفة لتتحقق بها غاية هي رسالة السماء،فلا يمكن أن تؤتى ثمارها على أحسن وجه إلا عن طريق أمية الرسول لأنه لو كان الرسول يتعاطى العلم والقراءة والكتابة لكان ذلك وسيلة إلى الطعن وسبيلا إلى التشكيك وايثار الشبهات حول الرسالة والرسول، « فالأمية وصف خص الله به من رسله محمدا ﷺ إتماما للإعجاز العلمي والعقلي الذي أيده الله به فجعل الأمية وصفا ذاتيا له ليتم بها وصفه الذاتي وهو الرسالة ليظهر أن كماله النفساني كمال لدني إلهي لا واسطة فيه للأسباب المتعارفة للكمالات وبذلك كانت الأمية وصف كمال فيه مع أنها في غيره وصف نقصان لأنه لما حصل له من المعرفة وسداد العقل ما لا يحتمل الخطأ في كل نواحي معرفة الكمالات الحق،وكان على يقين من علمه وبينة من أمره ما هو أعظم مما حصل للمتعلمين صارت أميته أية على كون ما حصل له إنما هو من فيوضات إلهية »[271] وذلك

---

[271]. إبن عاشور: التحرير والتنوير، ج9 ص133

ما أشار إليه الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لأرتاب المبطلون ﴾[274].

ويبين محمد عبده هذا الأمر بقوله:« أليس في ظهور مثل هذا الكتاب على لسان أمي أعظم معجزة وأدل برهان على أنه ليس من صنع البشر وإنما هو النور المنبعث من شمس العلم الإلهي والحكم الصادر عن المقام الرباني على لسان الرسول الأمي صلوات الله عليه وسلامه »[275]. إذ لو كان محمد يقرأ ويكتب لشك المبطلون والمدعون ولوجد المشركون وسيلة للطعن والتشكيك في القرآن ولكان من اليسير نسبته إلى محمد، فلو بعث محمد في فارس أو الروم أو في مصر أو اليونان لكان ذلك مدعاة لأن يقولوا إنه استقى علمه ونظمه من محيطه الذي يعيش فيه، فيكون الوحي ما هو إلا امتداد لتلك الفلسفات ولن يكون هنالك فرق بينه وبين سقراط وأفلاطون وأرسطو، وحمورابي وبوذا.

وفي هذا السياق يأتي ما يقوله بعض المستشرقين والمشككين من نسبة الوحي إلى معارف الرسول التي استقاها من غيره متخذين ذريعة إلى ذلك لقاءه مع الراهب بحيرا فارجعوا الوحي إلى ما تلقاه من هذا الراهب النصراني، على الرغم من تهافت هذا القول في ميزان النقد العلمي إذا ما نظرنا إلى مدة اللقاء من جهة،وإلى سن محمد من جهة أخرى،وإلى كونه لم يقرأ ولم يكتب من قبل، فالأمية بالنسبة للنبي تصبح علامة بارزة ودلالة قوية وآية من أيات صدقه وصنعة محمودة فيه إذ أنها تدل على أن الذي نطق به ليس علما عاديا أو نتيجة تلقين بشري، وإنما وحي إلهي سماوي وقد أشار بعض المتكلمين إلى هذه المسألة الهامة في بيان مظاهر الإعجاز وذكر أدلة النبوة كالشهر ستاني وابن رشد، فأما الشهرستاني فقد ذكر أوجها للإعجاز في القرآن وفي الرسالة للإستدلال على النبوة منها ما تضمنه القرآن وما اشتمل عليه مقارنا ذلك بشخص الرسول الذي لم يقرأ أو يكتب للدلالة على جانب الإعجاز فيقول:« وأما من حيث المعنى فما اشتمل عليه القرآن من غرائب الحكم وبدائع المعاني التي عجزت الحكماء والأوائل عن الإتيان بمثلها نوع أخر من الإعجاز خصوصا ممن نشأ يتيما بين الأميين من العرب لم يقرأ كتابا ولم يدرس علما ولا تلقى من أستاذ ولا تعلم من معلم، فلولا أنه وحي محض يوحى عليه

---

[274].سورة العنكبوت: الآية 48

[275].محمد عبده: رسالة التوحيد، ص126

وتنزيل نزل إليه وإلا فمن أين لطبع مجرد يجود بمثله »[276]. وهذا المعنى أكده ابن رشد معتمدا على نص واضح من القرآن في هذا الأمر فيقول:« ويتأكد هذا المعنى بل يصير الى حد القطع واليقين التام إذا علم أنه ﷺ كان أميا نشأ في أمة أمية بدوية، لم يمارسوا العلوم قط ولا نسب إليهم علم ولا تداولوا الفحص عن الموجودات على ما جرت به عادة اليونان وغيرهم من الأمم الذين كملت الحكمة فيهم في الأحقاب الطويلة»[277].

وإلى هذا الإشارة بقوله تعالى:﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لارتاب المبطلون ﴾[278]. هكذا شاء الله تعالى أن يجعل أمية الرسول أحد أدلة صدقه، وحجة ضد خصوم الوحي وحين نتكلم عن مضمون الرسالة فيما يلي سيتضح الأمر أكثر حين نرى ما تضمنته رسالة الإسلام التي انزلها اله تعالى على رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب.

3. مضمون الرسالة :

يمكن أن يكون مضمون الرسالة هو نفسه دليلا على صدق النبي، فيكون ذلك دليلا على أن الرسالة نفسها معجزة، فلو تأملنا مضمون الوحي الإلهي إلى محمد بن عبد الله ﷺ نجده بناء متكاملا لرسالة تحمل هداية للإنسان في حياته كلها من لحظة الميلاد إلى لحظة الممات ثم تجعله كائنا ممتدا بعد الموت في عالم أخر دائم وممتع. فهي تعطي للإنسان نموذجا فريدا متكاملا في العقيدة والسلوك والأخلاق، والإنسان بطبعه وفي حقيقته ينزع إلى الكمال وينشده، ولكن لا يجده في عالمه وفي بني جنسه إلا من خلال الوحي الإلهي، والرسالة السماوية والنبي المختار المصطفى.

وعندما نقارن مضمون الوحي الإلهي لرسوله مع ما عند البشرية من مذاهب وعقائد وأفكار نجد الفرق الكبير في طبيعة التشريع، وفي نوع الأحكام، وفي بعدها من جميع الجوانب النفسية والأجتماعية، وفي غاياتها وأهدافها ومقاصدها فيكون أمامنا مسلك واحد هو الإذعان لها والقبول بها.

---

276. الشهرستاني: نهاية الإقدام، ص450
277. ابن رشد: الكشف عن مناهج الأدلة، ص118
278. سورة العنكبوت: الأية48

فالناس ناقصوا العلم والمعرفة والعمل، متفاوتوا الدرجات فيه، فمنهم من يعتمد على الحسي ويؤمن به، ومنهم من يعتمد على العقلي ويتمسك به ومنهم من ينال حظا من هذا وحظا من ذاك وبذلك يختلفون إختلافا كبيرا يصل إلى حد الصراع أحيانا، وقد أشار المتكلمون والفلاسفة في حديثهم عن أدلة النبوة إلى مضمون الرسالة فاعتبره بعضهم أقوى وأثبت الأدلة على صدق النبوة وأكمل الطرق إليها.

فيقول الماتريدي:« أما العقلية فما بين الله تعالى من شأن القرآن الذي إنما يعرف خروجه عن إحتمال وسع الخلق من بالغ في فنون الآداب وعرف جواهر الكلام وأصنافه، ثم ما فيه من المحاجة في توحيد الرب وأدلة البعث مما لم يكن يومئذ على وجه الأرض من يدعي ذلك، ثم ما فيه من الإنباء وما يكون أبدا ومن بيان النوازل التي تكون مما في استعمال العقول تطلع إليه »[279].

ويقول ابن رشد :« المعجز في العلم والعمل هو الدلالة القطعية على صفة النبوة »[280]. وإذا كان الناس ناقصون ويحتاجون إلى من يصلح نقصهم والمؤهل والقادر على ذلك هو النبي وطريق تحقيقه لذلك هو القرآن، فهو الذي تضمن الوحي من عقيدة واضحة ونظام أخلاقي متكامل، ونظرة شمولية عميقة للكون والحياة والإنسان وإذا تصفحنا الرسالة يمكن أن نلخص أهم مضامينها فيما يلي:

أ. العقيدة :

إرساء العقيدة الصحيحة في نفوس البشر هو الهدف الأول للرسالة، فقد أرسى القرآن الكريم العقيدة واضحة ثابتة، فقرر وجود إله واحد خالق لهذا الكون وهذا العالم وإليه يرجع الأمر ويعود الناس بعد الموت وأنه موجود وباق، ومنزه عن مماثلة الخلائق كلها ومتصف بكل صفاة الكمال كالقدرة والعلم والحياة، وأخذ بالإنسان إلى الطريق الصحيح والمنهج السليم إلى هذه العقيدة، فحثه على أن يبحث في عالم الطبيعة وعالم النفس ليدرك أساسيات وحقائق العقيدة، قال القاضي عياض في ذكر إعجاز القرآن: « جمعه لعلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد ﷺ قبل نبوته خاصة

---

[279].الماتريدي: المرجع السابق، ص204

[280].ابن رشد: المرجع السابق، ص116

معرفتها، والقيام بها ولا يحيط بها أحد من علماء الأنام ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم، فجمع فيه من بيان علم الشرائع والحجج والتنبيه على طرق الحجج العقلية »[281].

وعندما يستدل القرآن الكريم على العقيدة يورد أدلته البرهانية اليقينية مخلوطة بطريقة الخطابة من الترغيب والترهيب، وبسبب ما فيه من طريقة الخطابة يكون تأثيره في القلوب أكمل وبسبب ما فيه من قوة المقدمات البرهانية يبقى مستعظما في العقول.

ويمكن أن نورد مثلا لمسلك القرآن البعيد عن الأساليب المعقدة يخاطب فيها الفطرة الإنسانية يقول الله تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾[282]: ففي هذا الموضع يرد القرآن المجادل إلى حقائق بديهية فيقرر عن طريق الإستفهام أمورا يسلم بها الخصم وتسلم بها العقول كالإستدلال على وجود الخالق بالخلق.« يقول جبير بن مُطعم لما سمعت هذه الآية أحسست بفؤادي قد انصدع، فإن هذا تقسيم حاصر بقول: أخُلقوا من غير خالق خلقهم فهذا ممتنع في بدائه العقول، أم خلقوا أنفسهم فهذا أشد امتناعا فعلم أن لهم خالق هو سبحانه »[283]. وحين يعرض القرآن الكريم أيضا للآخرة ومشاهد القيامة يقدم عرضه بأسلوب فريد مميز وفي صور شتى، بلاغية مؤثرة في النفس مراعية لأدق التفاصيل وقد عبر عن ذلك الأسلوب الفريد سيد قطب ومالك بن نبي تعبيرا واضحا فيقول سيد قطب: « ولكن هذه الحقيقة البسيطة الواضحة تعرض في صور شتى وترسم في عالم كامل حافل بالمشاهد وتتراءى في عشرات من الأوضاع والأشكال والسّمات وتؤلف بذلك ملاحم فنية رائعة فتملأها النفس ويتبعها الخيال، ويستغرق فيها الحسّ وتتراءى فيها الظلال وتضيف إلى الثروة الأدبية الفنية صفحات مفردة لا شبيه لها ولا مثال »[284].

وهذا الأسلوب القرآني الفريد ذاته هو الذي عبر عنه مالك بن نبي أيضا بقوله : «إن القرآن يبرز هذا المجال الأخروي إبرازا مؤثرا فلقد قصت فيه رواية الخلود بنبرة خاشعة رهيبة في أسلوب فاق الذروة في بلاغته وقد بثت في أنحائه صور ومشاهد تكسب الخشية في قلوب العباد مما لا يمكن معه لإنسان حتى في هذه الأيام أن يصد عن مشاهده

---

281. ابن الوزير: ترجيح أساليب القرآن، ص20
282. سورة الطور الآية 25
283. عبد الفتاح المغربي: النبوة في الفكر الإسلامي، ص310
284. سيد قطب: مشاهدة القيامة، ص37

الهائلة، إن مشاهد القيامة في القرآن ذات حقائق غلابة و الشخصيات التي تحتويها تتحرك وتتكلم، فالملك و الشيطان و الأبرار و الأشرار كل هؤلاء يتسمون بواقعية لا تغفل أدق التفاصيل النفسية و لا تهمل أية كلمة من شأنها أن تذكر بأهوال تلك الساعة الرهيبة »[285] فهذه إشارات عن بعض جوانب مضمون الوحي في جانب العقيدة، وهو أكبر الجوانب التي ارتكز عليها حديث القرآن،لما للعقيدة من مكانة خاصة وموقع متميز في الإسلام.

ب. الأخلاق والتشريع :

إن رسالة الإسلام تضمنت إلى جانب المضمون العقائدي مضمونا أخلاقيا، فقد جعل القرآن رسالة الإنسان في الكون في جوهرها أخلاقيا، والناظر في الكتاب الكريم يجد أنه إعتنى بالأخلاق عناية بالغة، فهو كتاب عقيدة وسلوك ومنهج حياة يجد الإنسان فيه الأصول العامة و القواعد الأساسية لحياة تقوم على الفضيلة وقيم روحية عالية، فقد وضع أصولا عامة للأخلاق وحدد إطارها النظري فبين ماهية الخير و الشر، ومقاييس الأعمال وحدد غاية الإنسان التي ينبغي أن يقصدها، و الكمال الذي ينشده و السبيل الذي يسعده، ووضع الجانب العملي للأخلاق ودعا إلى ضرورة مطابقة القول للفعل و انسجام القانون مع الأخلاق، ومنع الفصل بين الجانب النظري و الجانب العلمي،ومن أهم ملامح المنهج الأخلاقي في القرآن الكريم أنه دعا إلى الفضيلة و الإحسان والإبتعاد عن الفحشاء والمنكر ودعا إلى الأمر بالمعروف واجتناب الفساد وحث على العدل و العطف على الأقارب و الإبتعاد عن الظلم، وليس بوسعنا أن نتكلم الآن عن تلك الجوانب التي تمثل المنهج الأخلاقي في رسالة الإسلام، وإنما سنشير إلى ذلك بتوسع أكثر عند الحديث عن جوانب الإعجاز في القرآن الكريم.

من مضامين الرسالة الهامة والتي تشغل حيزا كبيرا وتثير الإعجاب وتدعو إلى لتأمل الجوانب التشريعية، فقد جاء الإسلام بالشرائع التي تعالج قضايا الإنسانية الأساسية في جانب العقيدة وفي جانب السلوك الفردي و الجماعي، وفي جانب الأسرة. وهو ما يدل على قوة الجانب التشريعي وكماله في الإسلام و إحاطته بالنفس الإنسانية من جوانبها كلها، ففي جانب العبادات وكيفية توزيعها على مدار اليوم و على حياة الإنسان كلها وفي كيفية أدائها ما يجعلها تجعل الإنسان يسير وفق نظام محكم لا يترك مكانا للفراغ و الضياع فيه

---

[285]. مالك بن بني: المرجع السابق، ص188

ولا يسمح بانعزال الفرد عن غيره بل يجعل المجتمع مرتبطا ومتماسكا وهذا ما تجسده عباده كالصلاة، وفي الزكاة أيضا جوانب كثيرة يمكن أن نذكر أهمها وهو إقتلاع جذور الشح من نفس الإنسان وعبادة المال والتمسك به مع العلم أن الحرص على المال من أسباب مصائب البشرية الكثيرة،هذا من جهة ومن جهة ثانية تشيع الزكاة روح التكافل في الجماعة وتخرجها من الأنانية والأثرة.

ويمكن أيضا أن نجد في الصيام جوانب كثيرة مما هو في الصلاة وفي الزكام وما هو أكثر ففيه من تربية الإرادة والعزيمة ما لا يتحقق بغيره وفيه من ضبط النفس وكسر جماحها وابعادها عن كثير من العادات الضارة والمستحكمة ما لم تستطع تحقيقه في النفس نظريات علم النفس وألوان الرياضة والتدريب،وهكذا في سائر العبادات.

أما إذا انتقلنا إلى جانب تشريعات الحدود فإننا يمكن أن نلاحظ بوضوح قوة التشريع الإسلامي وإحكامه، ففي تشريع الحدود وكيفية إقامتها وشروطها ما يثير الإعجاب والدّهشة ويظهر الفرق بين التشريع في الإسلام وفي غيره، ففي تشريع حد الزنا يميز الإسلام بين الزاني المحصن وغير المحصن فيشدد العقوبة على الأول ويخففها على الثاني، وفي كيفية تسليط العقوبة يضع من الشروط ما يحفظ النفس الإنسانية ويحميها أولا وأخيرا، ويدفع دائما إلى التركيز على أبعاد هذه الفاحشة عن الأمة وليس إلى الإكثار من الرّجم والجلد فلو لم يكن الشخص مجاهرا بها متحديا مشاعر المجتمع مقرا أو يشهد عليه أربعة شهود، فلا يقام عليه الحد، وإذا ثبت الجرم يقام الحد على مرأى ومسمع من الناس ليكون ذلك دافعا إلى عدم تكرارها حتى تحفظ الأعراض والأنساب والنفوس.

وفي حد السرقة كذلك، وهكذا في كل الحدود الشرعية في جوانبها النظرية والعملية يهدف الإسلام من خلالها إلى القضاء على الفواحش والحد منها وتطهير الناس منها وليس إلى إزهاق أرواح الناس أو تعذيبهم.

وإذا كان بعض فلاسفة القانون في الغرب يقولون لا يكفي أن تأخذ أحكام العدالة مجراها بل يجب أن يرى الناس ذلك في الواقع فإن الإسلام أوجب ذلك منذ أن نزل، فلا يكفي أن يقام الحد بل لابد أن يشاهد الناس تطبيق أحكام العدالة والقانون، لأنهم حين

يشاهدون الأحكام القانونية وهي تطبق تطمئن نفوسهم إلى عدالة النظام الذي ينضوون تحته.

والحقيقة أن مضمون الرسالة سواء تعلق الأمر بالجانب العقاندي أو بجانب العبادات والأخلاق أو بجانب التشريع والنظم الإجتماعية أو بما في القرآن من الحديث عن الحياة والكون وخلق الإنسان يدل على جانب الإعجاز والتحدي وعلى صدق الرسل والأنبياء، وقد بيّن بعض المتكلمين دلالة مضمون الرسالة عن النبوة فيقول الشهرستاني وهو يتحدث عن جوانب الإعجاز:« وكذلك ما اشتمل عليه القرآن من أنواع العبادات والمعاملات من أحكام الحلال والحرام والحدود والقصاص والديات وأحكام السياسات إعجاز ظاهر إذ جمع فيها بين صلاح المعاش ونجاة المعاد وبناها على قوانين كلية تجمع شمل العامة وتناظر عقل الخاصة »[286].

4. إعجاز القرآن الكريم :

كما سبق أن بينا في الحديث عن أدلة الأنبياء أيد الله تعالى أنبياءه ورسله بالمعجزات الكثيرة وجعل معجزة النبي محمد بن عبد الله ﷺ القرآن الكريم المعجزة العقلية.

فإذا كان كل نبي أيده الله تعالى بالمعجزة المناسبة لقومه وزمنه ، محددة زمانا ومكانا، فإن محمد بن عبد الله أيده الله تعالى بالمعجزة العقلية الدائمة المتمثلة في القرآن الكريم.

فقد أرسل الله تعالى محمدا إلى العرب أصحاب اللغة والبيان وإلى الناس كافة بمختلف مذاهبهم وأديانهم فواجه الناس جميعا العرب منهم وغيرهم بالقرآن الكريم.

فما وجه دلالته على النبوة وما هي أوجه الإعجاز فيه ؟

سنتكلم فيما يلي دلالة إعجاز القرآن على النبوة عند المتكلمين والفلاسفة.

---

[286]. الشهرستاني: نهاية الإقدام في علم الكلام، ص451

أ. المتكلمون ودلالة إعجاز القرآن على النبوة :

يرى المتكلمون أن القرآن الكريم يدل على صدق نبوة محمد بن عبد الله عليه السلام، فهو معجزته التي أيده الله تعالى بها، وتحدى بها العرب وغيرهم، وثبت عجزهم عن الاتيان بمثله فكان ذلك دليلا على صدقه، ولكنهم يختلفون في أوجه الإعجاز فمنهم من يرى أن الإعجاز في الناحية اللغوية البلاغية.فقد أعجز القرآن الكريم العرب وهم أهل اللغة والبيان إذ أنه أنزل بلغتهم ولكنه تحداهم أن يأتوا بمثله أو بجزء منه وانتظرهم فلم يتمكنوا من ذلك وتحدى غيرهم لأنه إذا كانوا هم لا يستطعون فمن باب أولى أن يعجز غيرهم، وأكثر المتكلمين أسهبوا فيه فبينوا أن إعجازه في الناحية اللغوية يشمل ناحية اللفظ وناحية المعنى، وناحية الأسلوب يقول الجرجاني:« فقلنا أعجزتهم مزايا ظهرت لهم في نظمه، وخصائص صادفوها في سياق لفظه وبدائع راعتهم من مباديء ايه ومقاطعها ومجاري ألفاظها ومواقعها وفي مضرب كل مثل ومساق كل خبر وصورة كل عظمة وتنبيه وإعلام، وتذكير وترغيب وترهيب ومع كل حجة وبرهان وصفة وتبيان وبهرهم أنهم تأملوه سورة سورة، وعشرا عشرا وأية أية، فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبوا بها مكانها ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه أو أحرى أو أخلق، بل وجدوا اتساقا بهر العقول وأعجز الجمهور ونظاما وإلتئاما وإتقانا وإحكاما لم يدع في نفس بليغ منهم – ولو حك بيافوخه السماء – موضع طمع حتى خرست الألسن عن أن تدعي وتقول خلدت القروم فلم تملك أن تصول»[287].

فالقرآن بلغته وأسلوبه ونظمه وعباراته كلام معجز لم يستطع أحد من البلغاء محاكاته ومجاراته أو تجاوزه، فكان ذلك الدليل القوي على أنه الحق المنزل من عند الله والذي كما يقول الشهرستاني:« أولم يزدنا عجز الأولين والآخرين دلالة ظاهرة على أن مضمون القرآن حق وأن قول من أتى به صدق كيف ولو اعتبرت سورة بسورة إعتبار متأمل فيها منصف صادق كل سورة على حالها اشتملت على صنف من الفصاحة وضرب من البلاغة والجزالة ولم تشاركها في ذلك سورة أخرى وربما تكون القصة

[287]. الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص(53-54)

والخُدّة والتعبير عنها مختلف اختلافا لا يخلّ بالمعاني ويكون أسلوب النظم والبلاغة نوعا آخر يباين الأولى»[288].

وإذا كان الجرجاني والشهرستاني يرون أن الإعجاز اللغوي هو الدلالة على صدق نبوة محمد، فإن عبد الجبار يعتبر أن تحدي القرآن العرب وهم أهل اللغة والبلاغة الدليل القوي على نبوة محمد فيقول: « وما وجه الإعجاز في القرآن؟ قلنا هو أنه تحدى بمعارضة العرب مع أنهم كانوا هم الغاية في الفصاحة والمشار إليهم في الطلاقة والدلالة وقرعهم بالعجز عن الإتيان بمثله فلم يعارضوه وعدلوا عنه لا لوجه سوى عجزهم عن الإتيان به »[289].

وهناك من المتكلمين من يرى أن القرآن له جانب آخر من جوانب الإعجاز وهو مضمون القرآن أو الجانب التشريعي فيه، فالناظر في مضمون القرآن الكريم وهو الكتاب الذي أنزل على رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ومع ذلك يجد في محتواه ما لا يمكن لأعلم العلماء وأبلغ البلغاء أن يأتي بمثله يعلم أن هذا القرآن لا يمكن إلا أن يكون نصا من مصدر أعلى من البشر وهذا ما يذهب إليه الشهرستاني فهو إلى جانب حديثه عن الإعجاز اللغوي تحدث عن الإعجاز التشريعي والإعجاز في الإخبار بالغيب فيقول:« أما من حيث المعنى فما اشتمل عليه القرآن من غرائب الحكم وبدائع المعاني التي عجزت الحكماء والأولياء عن الاتيان بمثلها نوع آخر من الإعجاز خصوصا ممن نشأ يتيما بين الأميين من العرب لم يقرأ ولم يكتب ولم يدرس علما ولا تلقف من أستاذ ولا تعلم من معلم فلولا أنه وحي محض يوحي عليه وتنزيل نزل إليه، وكذلك ما اشتمل عليه القرآن من أنواع العبادات والمعاملات من أحكام الحلال والحرام والحدود والقصاص وأحكام السياسات إعجاز ظاهر إذ جمع فيها إصلاح المعاش ونجاة المعاد وبناها على قوانين كلية تجمع شمل العاملة وتناظر عقل الخاصة »[290]. هكذا يدل الإعجاز القرآني بهذا الجانب على النبوة، وعلى أن ما جاء به النبي ليس من عنده وإنما من عند الله تعالى.

---

288. الشهرستاني: المرجع السابق، ص450
289. عبد الجبار: المرجع السابق، ج.ح. ص242
290. الشهر ستاني: المرجع السابق، ص(250 - 251)

ب. دلالة إعجاز القرآن على النبوة عند ابن رشد:

يرى ابن رشد أن القرآن هو الذي دعا به محمد الناس وتحداهم أما خوارق العادات والكرامات فإنها ظهرت في أثناء أحواله من غير أن يتحدى بها وأيد رأيه بنصوص من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى:﴿ وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا أو تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا أو تأتي بالله والملائكة قبيلا، أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرأوه، قل سبحان ربي هل كنت إلا بشرا رسولا ﴾[291].

فلم يكن الرسول يدعوا الناس إلى الدين ويظهر عليهم هذه الآيات ليقنعهم بها ويتحداهم بها، فما ظهر من الآيات على يديه كان عارضا من غير أن يقصد إلى ذلك أو إلى تحديهم. وأما القرآن فهو الذي تحدى محمد ﷺ به العرب وأعجزهم، والكتاب العزيز يشهد على ذلك في آياته ونصوصه قال تعالى:﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾[292]. وقال تعالى:﴿ فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾[293].

يقول ابن رشد بعد عرضه لرأيه كما بينا:« وإذا كان الأمر هكذا فخارقه ﷺ الذي تحدى الناس به وجعله دليلا على صدقه فيما ادعى من رسالته هو الكتاب العزيز »[294]. ولكن كيف يدل القرآن على صدق النبي ومن أين يظهر أن القرآن معجز؟.

ويرى أن القرآن يدل على النبوة من وجوه عدة منها ما تضمنه من الشرائع والنظم والمعارف، ومنها ما تضمنه من الإخبار بالغيوب ومنها ما تضمنه من الأسلوب والنظم الذي فاق ما يتوصل إليه الإنسان بالتعلم والإكتساب وأهم وجه يدل على الإعجاز عنده هو الوجه الأول وهو الذي من جهة الشرائع والنظم.

---

[291]. سورة الإسراء: الآية (90-93)
[292]. سورة الإسراء: الآية 88
[293]. سورة : الآية
[294]. ابن رشد: المرجع السابق، ص113

لذلك نجده يقول في بيان دلالة الكتاب العزيز على الإعجاز :« قلنا بوقف على ذلك من وجوه أحدهما أن يعلم أن الشرائع التي تضمنها من العلم والعمل ليست مما يمكن أن يكتسب بتعلم، بل بوحي. والثاني ما تضمن من الإعلام بالغيوب، والثالث من نظمه الذي هو الخارج عن النظم الذي يكون بفكر وروية، أعني أنه يعلم أنه من غير جنس البلغاء المتكلمين بلسان العرب، سواء من تكلم منهم بذلك بتعلم وصناعه وهم الذين ليسوا باعراب أو من تكلم بذلك من قبل المنشأ عليه، وهم العرب الأول، والمعتمد في ذلك على الوجه الأول »[295].

وبهذا يبيّن أن أهم جوانب الإعجاز في القرآن التي تدل على أن القرآن وحي من الله تعالى وأن النبي أوحى الله بهذا القرآن هو جانب التشريع ووضع القوانين لأن وضع القوانين يتطلب معرفة أحوال الناس وطبيعتهم ومعرفة ما يسعدهم وما لا يسعدهم. « ولما وجدت هذه كلها في الكتاب العزيز على أتم ما يمكن علم أن ذلك بوحي من عند الله، وأنه كلامه ألقاه على لسان نبيه ويتأكد هذا المعنى بل يصير إلى حد القطع واليقين التام إذا علم أنه ﷺ كان أميا نشأ في أمة أمية عامية بدوية، لم يمارسوا العلوم قط ولا نسب إليهم علم »[296]. وسنحاول فيما يلي أن نبين جوانب الإعجاز في القرآن الكريم.

---

[295]. ابن رشد: المرجع السابق، ص116

[296]. ابن رشد: المرجع السابق، ص117

المبحث الخامس : جوانب الإعجاز القرآني

إن جوانب الإعجاز في القرآن متعددة ولا تخص جانبًا واحدًا فقط، فإلى جانب إعجازه اللغوي البلاغي هناك جوانب أخرى كالإعجاز العلمي والتشريعي، وفيما يلي سنبحث هذه الجوانب، وأولها اللغوي.

1. الإعجاز اللغوي :

يمثل الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم وجها من أوجه إعجازه الواضحة البارزة، فقد نزل القرآن بلغة العرب وهم أرباب الصناعة اللفظية النثر والشعر يتباهون بما يبدعونه في ميدان الخطابة والشعر ويعلقون أجود القصائد على أستار الكعبة مكتوبة بماء الذهب ولم يكن يخطر على بال أحدهم أن يأتي رجل كمحمد بنص كالقرآن يعجزهم فيتحداهم فلا يجدون إلى مقارعته وإلى رد التحدي سبيلا، وهناك جوانب كثيرة يظهر فيها الإعجاز اللغوي منها :

أ. **الأسلوب** : إن الناظر في أسلوب القرآن يجده نسقا بديعا خارجا عن المألوف والمعروف من نظام جميع كلام العرب، فطريقة التعبير تخالف طريقتهم التي كانت إما نظما وإما نثرا فالقرآن له أدواته الخاصة في التعبير، فلا هو شعر ولا هو نثر ولكن فيه حلاوة الجرس والتنغيم يفوق الشعر دون أن يتقيد بقيود الشعر، وفيه ما يشبه القوافي ولكنها ليست رتيبة محددة كقوافي الشعر والسجع المألوف،لذلك لا تمله الأذن بل يقبل الإنسان دائما على قراءته وسماعه بشغف متجدد.

والتنغيم في القرآن يتنوع بتنوع الموضوع المعروض والجو النفسي المصاحب له، فيشتد مع جو الوعيد والعذاب ويلطف ويلين مع جو الود والرحمة أو جو الدعاء والخشوع، ويمكن أن نلاحظ ذلك في المشاهد التي يعرضها القرآن لأن له خاصية إحياء المشهد المعروض حتى لكأن الإنسان يشاهده لأول مرة إن كان من مألوف الحس أو يراه مجسدا إن كان من المشاهد المتخيلة،فمن نماذج النوع الأول كل ما جاء في القرآن من المشاهد الكونية كالشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والشجر والأنهار، فهي مشاهد قد ألفها الحس حتى كاد ينساها لكن القرآن يحييها فكأنما يشاهدها الإنسان حين يقرأ القرآن لأول مرة فينفعل بها وجدانه وتهتز لها مشاعره فيلتفت إلى القدرة الإلهية المعجزة في

خلقها على هذه الصورة فيتصل قلبه بالخالق سبحانه ويسلم له. ومن نماذج النوع الثاني قصيص القدماء ومشاهد القيامة، فهي ليست حاضرة أمام الإنسان وإنما يتبعها بخياله لا بسمعه وبصره،ولكن القرآن يعرضها حية كأنما يشاهدها الإنسان أمامه في تلك اللحظة فينفعل بأحداثها وعبرها،ويعرض أيضا مشاهد القيامة شاخصة متحركة كأنها أمام الإنسان مما يجعل قارئ القرآن يعيشها كأنها الحاضر ويعيش الدنيا كأنها الماضي السحيق الذي انتهى وزال.

ب. **التنويع في طريقة العرض** : ويتميز القرآن الكريم أيضا بالتنويع في طريقة عرضه للموضوعات بحيث لا يتكرر مشهدان في كل تفاصيلهما أبدا على كثرة ما يعرضه من المشاهد المتشابهة، فهي تتشابه ولكنها لا تتماثل لذلك تبدو في كل مرة كأنها جديدة وإن مشاهد القيامة والمشاهد الكونية من أكثر الموضوعات تكرارا في القرآن الكريم ومع ذلك لا يوجد مشهد واحد مكرربجميع تفصيلاته مرتين فيكون التنويع ولو بتغيير لفظة واحدة أو حرف واحد فيتغير المعنى.

ج. **البلاغة** : إن بلاغة القرآن الكريم من أوجه إعجازه فهو من هذه الناحية قد أعجز العرب وهم أصحاب البلاغة والفصاحة إذ لم يستطيعوا محاكاته أو الإتيان بمثله. فالقرآن لم يكن معجزا باللفظ والأسلوب بل هو معجز باللفظ والفصاحة أيضا، فقد بلغ في الفصاحة مبلغا تجاوز الحد الذي يمكن للبشر أن يبلغوه فإذا كانت الفصاحة تعني الإبانة عن المعنى المقصود في حسن البيان بمختلف أقسامها كالإيجاز والتشبيه وتلاؤم الحروف وتلازم الحركات والسكنات والمعنى، وإذا كانت أجناس الكلام مختلفة ومراتبها في نسبة التباين مفاوتة ودرجاتها في البلاغة غير متساوية فيكون منها البليغ الرصين ويكون منها الفصيح القريب السهل ويكون منها المطلق المرسل فإن القرآن الكريم ببلاغته قد حاز جميع هذه الأقسام وأتى بأحسن ما فيها، يقول طه الدسوقي « وبلاغة القرآن حازت من كل قسم من هذه الأقسام بأحسن ما فيه وأخذت من كل نوع من هذه الأنواع بشعبه، فانتظم لأسلوب القرآن بامتزاج هذه الأوصاف نمطامن الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة وهما على الأنفراد في نعوتهما كالمتضادتين لأن العذوبة إنتاج السهولة والجزالة والمتانة

في الكلام تعالجان نوع من الوعورة، فكان إجتماع الأمرين في نظمه ونبو كل واحد منهما عن الآخر فضيلة خص بها القرآن »[297].

وقد ثبت هذا الجانب من الإعجاز القرآني عبر التاريخ وأصبح أمره معروفا وقد ألفت عشرات الكتب في بلاغة القرآن وإعجازه واعترف بذلك بعض الدارسين من غير العرب.

ويمكن أن نذكر أهم خصائص أسلوب القرآن فنقول تفرد النص القرآني من حيث الجانب الجمالي الأدبي وتميز أسلوبه بالوضوح الأخاذ والتركيز الشديد والنقاء التام في التعبير والتناغم في اللحن والموسيقى في الآيات والكلمات والنظام الصوتي البديع الخارق، وتميز أيضا بالقصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى كما تميز أسلوبه بعدم خضوعه للقوانين النفسية التي يعمل بمقتضاها العقل والعاطفة، فالقرآن له منعة تكف أيدي الناس عنه ويعرض العقيدة عرضا يجمع بين العقل والعاطفة ويخاطب العامة والخاصة في وقت واحد، فيقنع العقل ويمتع العاطفة ويُصَيِّرُ الإيمان إذعانا وجدانيا حاكما على القلب فيهدي الكبار والصغار وهكذا، كل هذه الخصائص وغيرها نجدها في أسلوب القرآن وفي نصوصه.

ولكن هل الإعجاز اللغوي هو وحده الموجود في القرآن ؟

إن القرآن الكريم هو آخر الكتب السماوية نزولا به ختم الله الكتب السماوية والرسالات جميعا، فقد نسخ الكتب السابقة لأجل ذلك جاء جامعا لكل الصفات الحسنة فهو باق وخالد وهو أمر يحتاج إلى إثبات فكان الإعجاز هو الحجة على صدق الرسالة وحقيقة الوحي القرآني ولكن هذا الأمر لا يتحقق ما لم يكن الإعجاز متنوعا وشاملا لعدة جوانب ونواح لذلك كان إعجاز القرآن غير مقتصر على جانب واحد أو موضوع دون آخر، يقول الزرقاني « إن للقرآن نواح أخرى للإعجاز غير ما يحويه من أسرار البلاغة والبيان ومن السهل معرفتها على من لم يتمهر في علوم العربية واللسان، منها ما يحويه هذا التنزيل من المعارف السامية والتعاليم العالية في العقائد والعبادات وفي التشريعات

---

297. طه الدسوقي: المرجع السابق، ص156

المدنية والجنائية والحربية والمالية»[298]. وفي المباحث التالية سنبين بعض جوانب الإعجاز غير اللغوي في الكتاب العزيز.

2. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم :

من مظاهر هذا العصر التي تميزه عن سائر العصور التطور العلمي المذهل الذي حققه الإنسان، إذ أنه وصل إلى ما لم يخطر على باله وإلى ما لم يدر بخلده أبدا، فقد قطع الإنسان بفضل التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، وفي ميدان الفضاء، وعلوم الفيزياء، والذرة والبحار، وغيرها أشواطا هائلة أوصله إلى التطلع إلى أعماق الفضاء والصعود إلى القمر وإرسال الأقمار الصناعية والمراكب الفضائية المجهزة بأحداث المختبرات العلمية لدراسة الكون وكشف بعض الأسرار الكونية والفضائية، ثم إن التقدم المذهل في وسائل الإتصال والبث التلفزيوني جعل العالم كأنه قرية صغيرة بل كأنه بيت واحد يطلع جميع من فيه على آخر ما يحدث فيه في كل صغيرة وكبيرة، كما تيسرت المعرفة لكثير من البشر، هذه الأمور جعلت العلم يحتل مكانه عالية في عقلية الإنسان، والإسلام دين عالمي وشريعته آخر الشرائع السماوية، وحاجته إلى الحجة والبرهان على صدق نبيه، وكونه وحيا من السماء باقية معه ما بقي، والتحدي قائم ما قامت السماء والحياة الدنيا، فما وجه دلالته على هذه الميزة في هذا العصر؟.

إن القرآن هو معجزة الرسول ﷺ وهو يحمل عناصر إعجازه في ذاته، فهو قادر على إثبات ذلك ما دامت البشرية قائمة، فكما حمل بالأمس دليل إعجازه وصدقه وتحدى العرب بإعجازه اللغوي والبلاغي، فكذلك اليوم يحمل في ثناياه من الإعجاز العلمي ما يجعل كل عالم منصف وكل عاقل متدبر يقر بأنه كلام الله وأنه حجة رسوله محمد ﷺ. وقد أشار كثير من الباحثين والدارسين إلى هذه الحقيقة الناصعة بل هناك من أفراد هذا الموضوع بالبحث والتأليف. فما هي بعض جوانب الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ؟

يقول عبد العظيم الزرقاني وهو يتحدث عن الإعجاز العلمي في القرآن : « القرآن الكريم في طريقة عرضه للهداية والإعجاز على الخلق قد حكم الناس إلى عقولهم وفتح

---

[298]. الزرقاني: مناهل العرفان، جـ1، ص82

عيونهم على الكون، وما فيه من نواميس وما فيه من أرض وسماء وبر وبحر وحيوان ونبات وخصائص وظواهر وسنن، وكان القرآن في طريقة عرضه هذا موقفا كل التوفيق، بل كان معجزا أبهر الإعجاز، لأن حديثه عن تلك الكونيات كان حديث العالم بأسرارها، الخبير بدقائقها، المحيط بعلومها، ومعارفها، على حين أن هذا الذي جاء بالقرآن رجل أمي، نشأ في أمة أمية جاهلة لا صلة لها بتلك العلوم وتدوينها، ولا إلمام لها بكتبها ومباحثها، بل إن بعض تلك العلوم لم ينشأ إلا بعد عهد النبوة ومهبط الوحي بقرون وأجيال، فأنى يكون لرجل أمي كمحمد ذلك السجل الجامع للمعارف كلها إن لم يكن تلقاه من حكيم عليم ».[299] ومن أمثلة الآيات التي تشير إلى ذلك قوله تعالى:﴿ ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يولف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار ﴾[300]. وقوله تعالى:﴿ أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه بلى قادرين على نسوي بنانه ﴾[301].

أ. أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم:

تضمن القرآن الكريم الذي أنزل قبل أكثر من أربعة عشرة قرنا بعض المعلومات والإشارات عن ظواهر بحرية لم تكتشف إلا حديثا بواسطة الأجهزة المتطورة ففي قوله تعالى: ﴿ وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وحجرا محجورا ﴾[302]، « وصف لنظام المصب، وتوضيح لإمتزاج الماء العذب مع ماء البحر المالح، وبيان لوجود حاجز بين الماء العذب وماء البحر المالح، وأن منطقة الإمتزاج محمية ببعض القيود على ما يدخل إليها أو يخرج منها، وقد برهن العلم الحديث على خواص المصب هذه كما برهنت علوم الأحياء الحديثة على أن هذه المنطقة هي منطقة محصورة تعيش فيها بعض الحيوانات الخاصة بهذه البيئة، وبالإضافة إلى بيان وجود هذه الحواجز بين الماء العذب وماء البحر المالح فقد ذكر القرآن الكريم أيضا وجود حواجز مماثلة في البحار نفسها، قال الله تعالى:﴿ مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان ﴾[303]، وتشبه هذه الحواجز الحدود

---

[299]. الزرقاني : المرجع ذاته، جـ1، ص(25-26)
[300]. سورة النور: الآية 42
[301]. سورة القيامة: الآية (3-4)
[302]. سورة الفرقان: الآية53
[303]. سورة الرحمن: الآيتان (19-20)

المائية بين مياه المحيط الأطلسي والبحر المتوسط، وبين مياه البحر الأحمر وخليج عدن وفي مواقع أخرى من بحار العالم»[304].

ومن أمثلة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم أيضا ما جاء فيما يخص الناصية فقد قامت أبحاث علمية تتحدث عن الناصية وعلاقتها بسلوك الإنسان وتصرفاته، وقد توصل الباحثون من خلالها إلى تقرير حقيقة ملموسة مدروسة خلاصتتها أن هناك ربط وثيق وصلة قوية بين الناصية وسلوك الإنسان وأن للناصية دورا بارزا في توجيه إرادة الإنسان وأفعاله فتجلت بذلك الأسرار والحكم في نصوص القرآن الكريم التي ذكرت الناصية وألمحت إلى شيء من خصائصها ووظائفها في مثل قوله تعالى:﴿ كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة ﴾[305] ففي وصف الناصية بأنها كاذبة خاطئة من المعاني ما لا يخفى على المتدبر وكذلك في قوله تعالى:﴿ ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[306].

ومن أهم وظائف الناصية أنها هي المسؤولة عن تصرفات الإنسان « فقد توصل الطب الحديث وعلم التشريح والفسيولوجيا والجراحات التجريبية الحديثة إلى كشف وظائف الناصية وأنها هي المسؤولة عن تصرفات الإنسان فالإنسان يتلقى أوامره من الناصية، وقد وصفت بأنها كاذبة خاطئة في القرآن الكريم، ولذلك استحقت السفع، فلماذا لم يوصف أي جزء من أجزاء الجسم الأخرى بصفة الكذب والخطأ وحيث أن ناصية أبي جهل كانت خاطئة فإن نواصي من ليسوا على شاكلته يمكن وصفها بعكس هذه الصفات أي بأنها صادقة ومصيبة ويدل ذلك دلالة واضحة على أن الناصية وهي أعلى الجبهة هي المسؤولة عن صفات مثل الصدق والكذب والخطأ والصواب وربما غيرها من الصفات المشابهة وهذه الصفات مجتمعة تكون ما يسمى عند العلماء بالشخصية »[307].

وليس هذا فحسب بل إن العلم يكشف يوما بعد يوم عن بعض نواحي الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، وأن حقائقه تنسجم تماما مع القرآن وقد إعترف كثير من علماء

---

304. عبد المجيد الزنداني: منطقة المصب والحواجز بين البحار في القرآن الكريم، ص(2-3)
305. سورة العلق: الأية (15-16)
306. سورة هود: الأية 56
307. كمال أحمد مصطفى وزاهر فيصل: الإعجاز العلمي في الناصية في القرآن الكريم، ص(5-6)

الغرب بهذه الميزة التي يتميز بها كتاب الله الخالد وأقروا أنها سبب إسلام البعض منهم وهذا أحد الأمثلة».

يقول جرتيه : « تتبعت الآيات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية التي درستها في صغري وفهمتها جيدا، فوجدتها منطبقة كل الإنطباق مع معارفنا الحديثة فأسلمت لأني تيقنت أن محمدا ﷺ أتى بالحق الصريح قبل ألف سنة من غير أن يكون له مدرس من البشر. وإلى هذه الحقيقة العلمية بشير كذلك الماجور أرتوليوزد بقوله :« خلف محمد للعالم كتابا هو آية البلاغة وسجل الأخلاق وكتاب مقدس،وليس بين المكتشفات العلمية الحديثة مسألة تتعارض مع الأسس الإسلامية، فالإنسجام تام بين تعاليم القرآن والقوانين الطبيعية »[308]. فهذه شهادة بعض المختصين في ميدان المعارف الحديثة والعلوم الطبيعية نؤكد من خلالها على هذا الجانب من جوانب الإعجاز في القرآن، وهي مجرد أمثلة قليلة.

ب. ركائز الإعجاز العلمي في القرآن :

الإعجاز العلمي في القرآن يقوم على عدة مرتكزات هي:

1. الأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء : إننا نجد في القرآن الكريم الكثير من الحقائق العلمية ذكرت بدقة متناهية والتي إذا ما قارناها بما كشف عنه العلم الحديث لا نجد فيها ما يتعارض مع ما جاء فيه رغم البعد الزمني الفاصل بينهما، فأصبحت هذه الأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء من مظاهر الإعجاز وركائزه التي يقوم عليها، تقول هند شلبي « فأصبح من أسرار الإعجاز العلمي القرآني هذه الأسبقية الزمنية في تصوير حقائق الأشياء، فهي التي نفهم بها سر تحدي الإنس والجن أن يأتوا بمثله، إذ أنهم كلما تقدموا خطوة إلا وكان القرآن متضمنا لها داعيا إلى تجاوزها إلى غيرها »[309].

2. الأسبقية الزمنية في معجزات الأنبياء : إن معجزات الأنبياء عليهم السلام ومنها القرآن الكريم تتسم بالأسبقية الزمنية، إذ أنها حين تظهر على أيديهم لا يكون لها مثيل من قبل ولا تكون بالتعلم والتدريج، وهم ينسبونها جميعا إلى الله تعالى، فموسى

---

[308]. محي الدين العجوز: مناهج الشريعة الإسلامية، جـ الثاني: ص52.
[309]. هند شلبي: التفسير العلمي للقرآن، ص149

عليه السلام لم يبطل عمل السحرة بشيء تعلمه وتفوق به عليهم، وعيسى لم يعالج المرضى عن دراسة سابقة فاز فيها عن غيره من الأطباء، ومحمد لم يتعلم ولم يشتهر بين قومه بالكلام فيما جاء به القرآن من أشياء « وقد عدد العلماء أوجه الإعجاز في القرآن ولعل أول هذه الأوجه تلك الأسبقية الزمنية التي لاحظناها في جميع المعجزات فهي التي تسمح بفتح الباب للتفسير العلمي للقرآن، ذلك أن في القرآن من المعاني ما يتعذر تاريخيا القول بظهوره زمن نزول القرآن، يدل ورودها فيه على أن هذا الكلام لا يمكن أن يكون صادرًا عن بشر »[110]، إن الأسبقية الزمنية التي لاحظناها في كل معجزات الأنبياء هي التي جعلت وتجعل القرآن الكريم معجزة في كل الأزمنة والأمكنة باعتبار الإستمرارية الزمنية له كآخر كتاب أنزل.

3. الإعجاز التشريعي :

لا يقتصر الإعجاز في القرآن الكريم على الناحية البلاغية التي تحدى بها العرب، ولا على الناحية العلمية التي بهر بها عقول العلماء وأذهان العباقرة بل امتد إعجازه إلى التشريع والقوانين، فالقرآن تحدي فقهاء التشريع والقانون بما ورد فيه من تشريعات وأصول الهداية والقوانين وتشريعات الحدود والجرائم، وما شرعه في شؤون الأسرة والطلاق والمواريث ومعاملة النساء واليتامى والجيران وغير ذلك مما يزخر به الإسلام مما لم يرد له مثيل في سائر النظم والشرائع الأخرى السماوية والأرضية.

ولقد حاول فلاسفة القوانين والشرائع وجهابذة الفكر أن يضعوا قواعد قانونية، وشرائع ونظم مثالية يرضي بها الناس وتؤمن سعادتهم واستقرار حياتهم، وتصلح أحوال الجماعات والمجتمعات البشرية لكنهم عجزوا وفشلوا وفشلت هذه القوانين والتشريعات والتعديلات والمراجعات وبقيت هذه النظم عاجزة وبقيت الشريعة الإسلامية والقوانين الشرعية سيدة في هذا المجال. وفي المباحث التالية نبين بعض جوانب الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم.

فالتشريع في الإسلام يعالج جوانب حياة الإنسان المختلفة ويتميز بمظاهر كثيرة نُظهر بعض جوانب الإعجاز فيه، أهمها :

---

[110]. هند شلبي: المرجع ذاته، ص159

أ. الثبات في العقائد والعبادات :

الإنسان خلقه الله وخلق بداخله عاطفة التدين وهي لا تتغير ولا تتبدل، فمهما كان الإنسان فإن هذه الغريزة أو العاطفة أو الطاقة لا تتغير فيه، وحاجته فيها ثابتة فإنسان الصحراء وإنسان التلال وإنسان القمر وعصر السرعة كلهم يحتاجون إلى التدين وإلى العبادة وإلى الصلاة، فالرب واحد والعبادة واحدة والإنسان هو الإنسان، لهذا كان التشريع في هذه الناحية ثابت فالعقائد هي العقائد والصلاة هي الصلاة والوقت هو الوقت، لذلك جاءت العقائد والعبادات ثابتة لا تتغير لأنها تعالج قضية إنسانية عامة وثابتة وهذا أحد مظاهر الإعجاز التشريعي في القران وفي الإسلام كله، ذلك أن الذي شرع العقيدة والعبادة يعلم حقيقة الإنسان ويعلم ما يصلحه فجاءت العقائد والعبادات ثابتة لا تتغير، فالصلاة تصلح للعالم والجاهل والبدوي والحضري والإنسان الأول وإنسان القرن العشرين ومن يأتي بعده، يقول طه الدسوقي : « ذلك أن كل أفراد الإنسان ومنذ أن وجدالهم قلوب وعواطف متشابهة والإنسان منذ أن وجد له خالق ورب واحد، فلم يطرأ تغير على عاطفة التدين في الإنسان وبالطبع لم يطرأ تغير على علاقة الإنسان بربه من حيث الإيمان به والركون إليه هذا بالإضافة إلى أن الذات الإلهية وصفاتها لا تتبدل عليها الأعراض ولا يعتريها التغير، ومن هنا فإن ما يجب على الإنسان من إعتقاده في الله وصفاته وما يخبره به من تصور عن اليوم الأخر والثواب والعقاب إلى آخره، لا يطرأ عليه التغير منذ أدم عليه السلام وإلى أن تقوم الساعة »[111] قال الله تعالى:﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين لله ولا تتفرقوا فيه ﴾[112].

وبين محمد باقر الصدر أهمية هذا الجانب من التشريع الإسلامي، وكيف يعالج مشكلة إنسانية عامة وثابتة لا تتغير بقوله:« ونظام العبادات يمثل في الشريعة الإسلامية أحد أوجهها الثابتة التي لا تتأثر بطريقة الحياة العامة. وظروف التطور المدني في حياة الإنسان إلا بقدر يسير، خلافا لجوانب تشريعية أخرى مرنة ومتحركة، يتأثر أسلوب تحقيقها وتطبيقها بظروف التطور المدني في حياة الإنسان كنظام المعاملات والعقود.

---

[111]. طه الدسوقي: المرجع السابق، ص162

[112]. سورة الشورى: الأية 13

ففي مجال العبادات يصلي إنسان عصر الكهرباء والفضاء ويصوم ويحج كما كان يصلي ويصوم ويحج سلفه في عصر الطاحونة اليدوية »[111]. فلماذا كانت العبادات في الإسلام بهذه الصفة من التشريع، يجيب محمد باقر الصدر على هذا التساؤل قيقول : «وهذا يعني أن الشريعة لم تجعل الصلاة والصيام والحج والزكاة وغير ذلك من عبادات الإسلام كوصفة موقوتة، وصيغة تشريعية محدودة بالظروف التي عاشتها في مستهل تاريخها، بل فرضت تلك العبادات على الإنسان وهو يزاول عملية تحريك الآلة بقوى الذرة كما فرضتها على الإنسان الذي كان يحرث بمحراثه الأرض »[112]، فما هي نتيجة ذلك النظام الفذ في التشريعات الموجودة والمعروفة ؟

نستخلص مما سبق أن نظام العبادات يعالج حاجة ثابتة في حياة الإنسان خلقت معه وظلت ثابتة في كيانه على الرغم من التطور المستمر في حياته لأن العلاج بصيغة ثابتة يفترض أن الحاجة ثابتة، « والعبادات إنما هي علاقة بين الإنسان وربه، ولهذه العلاقة دور روحي في توجيه علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وفي كلا هذين الجانبين نجد أن الإنسانية على مسار التاريخ تعيش عددا من الحاجات الثابتة التي يواجهها إنسان عصر الزيت وإنسان عصر الكهرباء على السواء ونظام العبادات في الإسلام علاج ثابت لحاجات ثابتة من هذا النوع ولمشاكل ليست ذات طبيعة مرحلية بل تواجه الإنسان في بنائه الفردي والإجتماعي والحضاري باستمرار، ولا يزال هذا العلاج الذي تعبر العبادات عنه حيا في أهدافه إلى اليوم وشرطا أساسيا في تغلب الإنسان على مشاكله ونجاحه في ممارسته الحضارية »[113].

وقد ذكر محمد باقر الصدر بعض الخطوط الثابتة في الحاجات والمشاكل في حياة الإنسان، والدور الذي تمارسه العبادات في إشباع تلك الحاجات والتغلب على هذه المشاكل وهي:

. الحاجة إلى الارتباط بالمطلق.

. الحاجة إلى الموضوعية في القصد وتجاوز الذات.

. الحاجة إلى الشعور الداخلي بالمسؤولية كضمان للتنفيذ.

---

[111]. طه الدسوقي: المرجع السابق، ص162

[112]. محمد باقر الصدر: نظرة عامة في العبادات، ص13

[113]. محمد باقر الصدر: المرجع ذاته، ص17

فما الذي تعنيه هذه الخصائص في التشريع الإسلامي في العبادات،وعلى ماذا تدل؟

تدل هذه التشريعات على أن الذي شرع يعلم حاضر الإنسان ومستقبله عبر الأجيال ومهما أمتد الزمان وتوسع المكان،ويعلم سر الإنسان وطبيعة نفسه، وهذا سر من أسرار إعجاز القرآن الكريم،ودليل من أدلته ،الذي يدل على أن محمدا لا دخل له بهذا القرآن وإنما أوحاه الله تعالى إليه فلو كان فيه أثر من عقله وفكره لاعتراه ما يعتري سائر التشريعات والنظم من النقص والخلل والإضطراب،وهذا أحد مظاهر الإعجاز التشريعي في القرآن الكريم، أما المظهر الأخر فهو يتمثل فيما يلي.

ب. الجمع بين الثبات والمرونة في التشريع :

مما يتميز به القرآن الكريم الثبات والإستقرار، فإستقرار القرآن وهو شريعة وأخبار وآداب هو بعض أدلة إعجازه، بل أقواها فهو ثابت من جهة ومن جهة أخرى يتسع لكل الأزمنة، ولتقلب كل الطباع ولتنوع القلوب. وإختلافها ،قول الرافعي في كتابه إعجاز القرآن « ومن ثم تراه يجمع في نفسه الثبات الزمني فلا يتغير ولا يتبدل على ما يمتد الزمن ويتغير ثم يجمع إلى ذلك لكل جيل قوة التأويل في معانيه الحادثة الصحيحة وقوة التكوين في آدابه الصالحة القوية كأنه ليس في زمن مضي ولا كان لأمه سلف ولا هو لتاريخ وقع وانقطع، فإذا أنت تدبرت هذا واستدللت عليه بما أظهره هذا الجيل العلمي في القرآن مما يوافق الحقائق الطبيعية والكونية والإجتماعية فلن يأت لك من ذلك إلا معنى واحد تستخرجه وتقنع به وهو أن هذا الكتاب الكريم أثر غيبي كان في علم الله قبل كل الأزمنة، فهو يحويها كلها وكأنه يوجد معها كلها، بذلك يتعين أنه هداية إلهية في أسلوب إنساني يحمل في نفسه دليل إعجازه، ويكون القرآن منفردا في التاريخ بأنه منذ أنزل لا يبرح في كل عصر يظهر من ناحيتين صادقتين: ناحية الماضي وناحية الحاضر، فثباته على خلاف قاعدة الثبات الإنسانية، إعجاز ليس في العجب أبدع منه إلا تحول معانيه على غير قاعدة التحول. إنه وجود لغوي ركب كل ما فيه على أن يبقى خالدا مع الإنسانية، إذ يكون في إعجازه مشغلة العقل البياني العربي في كل الأزمنة يأتي الجيل من الناس ويمضي وهو باق

بحقائقه ينتظر الجيل الذي يخلفه، كما أنه مشغلة الفكر الإنساني إذ أريد درس أسمى نظام للإنسانية في حرامها وحلالها مما تحله مصلحة الإجتماع أو تحرمه »[116].

فالقرآن هو الكتاب الوحيد الذي يمتلك هذه الميزة وطريقة تشريعه بهذا الصفة يكون هوالكتاب الوحيد المعجز للبشرية، وهذه الطريقة في حد ذاتها من الإعجاز كما قلنا سابقًا.

ج. طريقة عرض التشريع :

إن من مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم أيضا ما يتجلى في طريقة تشريعه. فطريقة تشريع القرآن الكريم تمتاز عن طرق التشريع الوضعية، فهو يبدأ بالتدرج ويأخذ بأسلوب الرفق والمرونة، ويبدأ بالجانب العقائدي الإيماني كأرضية وقاعدة صلبة لما يأمر به من أحكام شرعية، ويقود الإنسان من داخله ومن ضميره ويسعى إلى جعله ينقاد ويندفع بقوة ذاتية دائمة وحيوية يقول الشيخ الزرقاني وهو يوضح طريقة القرآن في التشريع:« التمهيد لكمال تحليهم بالعقائد الصحيحة والأخلاق الفاضلة بمثل تلك السياسة الرشيدة ولهذا بدأ الإسلام بفطامهم عن الشرك والإباحة وأحيا قلوبهم بعقائد التوحيد والجزاء من جراء ما فتح عيونهم عليه من أدلة التوحيد وبراهين البعث بعد الموت، وحجج الحساب والمسؤولية والجزاء، ثم انتقل بهم بعد هذه المرحلة إلى العبادات فبدأهم بفرضية الصلاة قبل الهجرة وثنى بالزكاة وبالصوم في السنة الثانية من الهجرة، وختم بالحج في السنة السادسة منها وكذلك كان الشأن في العادات زجرهم عن الكبائر وشدد النكير عليهم فيها، ثم نهاهم عن الصغائر في شيء من الرفق، وتدرج بهم في تحريم ما كان مستأصلا فيهم كالخمر، تدرجا حكيما حقق الغاية وأنقذهم من كابوسها في النهاية، وكان الإسلام في انتهاج هذه الخطة المثلى أبعد نظرا وأهدى سبيلا وأنجح سياسة من تلكم الأمم المتمدينة والمتحضرة التي أفلست في تحريم الخمر على شعوبها أفضع إفلاس، وفشلت أمر فشل، وما عهد أمريكا في مهزلة تحريمها الخمر ببعيد »[117].

أليس ذلك إعجاز للإسلام في سياسة الشعوب، وتهذيب الجماعات وتربية الأمم بلى والتاريخ على ذلك من الشاهدين، **فالتشريع الإسلامي كما جاء في القرآن تشريع** سام بلغ

---

[116]. الرافعي: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص(13-14)
[117]. الزرقاني: المرجع السابق، ص(56-57)

في عهد الإنحطاط والعبودية والعنصرية غاية العدالة وغاية السمو، يقول الزرقاني:« ومنها ما جاء به من شرائع بلغت السمو والعدالة في الوقت الذي كانت فيه الأمم المتحضرة تقوم على العنصرية في تشريعها فاعجازه العلمي والتشريعي المستمران على مدى الإيام كافيان التزام غير العرب الذين يعجزون عن الإتيان بأي كلام عربي فضلا عن الإتيان بمثل القرآن فلزمت الحجة على الجميع ووجب التسليم بأنه كلام الله وأن مبلغه رسول الله »[318].

ويقول مصطفى شلبي عن هذا الجانب من الإعجاز :« ومنها ما يحويه هذا التنزيل من المعارف السامية والتعاليم العالية في العقائد والعبادات وفي التشريعات المدنية والجنائية والحربية والمالية والحقوق الشخصية والإجتماعية والدولية. وإن مقارنة بسيطة بين تلك الهدايات القرآنية وبين ما يوجد على وجه الأرض من سائر التشريعات الدينية وغير الدينية، توضح لك الإعجاز الباهر خصوصا إذا لاحظت أن الذي جاء بتلك التشريعات والمعارف الخارقة كان رجلا أميا »[319]. فإذا كان القرآن الكريم يحوي هذه المعارف كلها وهذه الهدايات السامية والذي أنزل عليه وجاء به هو رجل أمي فإن ذلك من أقوى الأدلة على أنه كلام الله وأن ما فيه إعجاز تحدى به سائر التشريعات الأخرى، وهناك جانب أخر من جوانب التشريع لا يقل أهمية عما سبق هو جانب الأخلاق، سنبحثه الآن.

4. إعجاز القرآن الكريم في تشريعه الأخلاقي :

إن القرآن الكريم قد أثر بصفة خاصة على عقول جد مختلفة ولابد أن يكون هذا التأثير راجع إلى ما فيه من جاذبية خاصة بتوافقه الكامل مع أسلوب الناس الفطري في التفكير والشعور، واستجابته لما تتطلع إليه نفوسهم في شؤون العقيدة والسلوك، ولكونه وضع الحلول الناجعة للمشكلات الكبرى التي تقلق بالهم، فلابد أنه ينطوي على ما يشبع حاجتهم إلى الحق والخير والجمال بما يجمع من صفات العمل الديني والأخلاقي والأدبي في آن واحد. فما موقع العنصر الأخلاقي في القرآن الكريم؟

---

[318]. الزرقاني: المرجع السابق، ص82

[319]. محمد مصطفى شلبي: أصول الفقه الإسلامي، ص104

إن النفس الإنسانية لا تتغذى بالحقائق النظرية وحدها، فبجانب حاجة الإنسان إلى المعرفة والإعتقاد، يحتاج كذلك وبصورة ملحة إلى القواعد العملية القادرة على توجيه نشاطه في كل لحظة من حياته، سواء في تصرفاته مع نفسه أو في علاقاته مع غيره أو مع خالقه. فماذا قدم القرآن الكريم للإنسان من القواعد في هذا المجال ؟

لقد أعطى القرآن الكريم للإنسان ما لم تعطه له التشريعات والنظم الأخرى، وما لم تقدمه له سائر الدساتير، وقد بين دراز هذه المسألة فقال:« ولقد قدم القرآن في هذه الحاجة النظام الوافي بأوسع وأدق طريقة ممكنة وخط في كل فرع من فروع النشاط الإنساني خطا واضحا يسلكه الإنسان في أمان واطمئنان.فلا يكفي لكي يكون الإنسان مؤمنا حقيقيا أن يؤمن إيمانا عميقا بالحقائق المنزلة، وإنما يجب أن يكرس حياته وأمواله في خدمة هذه العقيدة، فعليه الإضطلاع بواجبه كمؤمن وأيضا كمواطن أي عبادة الله وفعل الخير، فالدين عقيدة وقانون أي اعتقاد وطاعة وتعريف القرآن للبر بمعناه الحقيقي هو الإيمان بالحقائق السامية والتحلي بالفضائل الخلقية سواءا في السلوك الشخصي أو في المعاملة مع الغير »[120].

أ. **الأساس الذي يقوم عليه النظام الأخلاقي في القرآن :**

لقد جعل الله تعالى في داخل كل إنسان بصيرة أخلاقية تجعله مهما بلغت درجة انحرافه وفساده يعترف ويحب ويقدر الفضيلة في ذاتها، وتجعل الإنسان يكره عيوبه الذاتية وإن كانت تنقصه الشجاعة الكافية في نبذ عيوبه فيلتمس لنفسه المعاذير،وأحيانا لا يقبل أن يوصف بما كان يفعله وعلى هذا الشعور الإنساني العام يقيم القرآن نظامه الأخلاقي، يقول دراز« فعلى الشعور العام القادر على التمييز بين العدل والظلم وبين الخير والشر يستند القرآن الكريم في أغلب الأحيان ليؤسس نظامه الأخلاقي ويعتمد عليه في تعريف فكرته العملية. وبدلا من سرد الآيات الكثيرة نذكر أن إستناد القرآن الكريم على الضمير الأخلاقي في عمومه في التمييز بين الخير والشر،وقد ذكر في أكثر من خمسة وأربعين موضعا منه »[121].

---

120. عبد الله دراز: مدخل إلى القرآن الكريم، ص(87-88)
121. عبد الله دراز: المرجع ذاته، ص105

وإلى جانب اعتماد القرآن على الضمير، هناك أمر آخر يعتمد عليه لإكمال ما يطرأ على الضمير من الفتور هو فكرة الواجب العام والمتعارف عليه عالميا ومن أجل ذلك ارتبط القرآن الكريم بالكتب السماوية السابقة فهو يقدم لنا الواجبات الأساسية وعلم الحقيقة على أنها دعوة السابقين وسبيلهم المستقيم فلقد حمل جميع الرسل السابقين ميزان العدل والقسط كما جاء في القرآن.

ب. تجديد القرآن للتعاليم الأخلاقية :

جاء القرآن الكريم بمباديء أخلاقية في مجال الفضيلة الشخصية وفي مجال الفضيلة في العلاقات بين الأفراد وفي الفضائل الجماعية والعامة وفي المعاملات بين الدول وبين الأديان، ففي مجال الفضيلة الفردية جاء بقاعدة جديدة ومبدأ جديد هو تحريم الخمر والقضاء على مصادرها بمنع أي مشروب مسكر وبمنع وجودها في جميع مرافق الحياة وحرم الإقتراب منها بأي شكل من الأشكال ثم جاء بمبدأ جديد آخر هو النية فجعل النية لب العمل الأخلاقي، يقول دراز « وأخيرا يأتي القرآن بمنهجه البناء يجمع بين هذين الوعدين ويوفق بينهما لا باعتبارهما الباعث المحرك للإنسان وإنما باعتبار الهدف الذي ينبغي على الإنسان أن يقصده ليس في ملكوت السماء ولا في ملك الدنيا وإنما هو أعلى من هذا كله إنه في الخير المطلق أي في ابتغاء وجه الله تعالى الذي يجب استحضاره في القلب عند اداء العمل الإنساني بتنفيذ أوامره »[122] وإن القرآن حقق تقدما آخر لم يكن يخطر على بال البشرية في مجال العلاقات الإجتماعية فقد عني بالعدل والمحبة وأوجد فصلا رائعا من الحضارة الأخلاقية وقنن تقنينا حقيقيا في مجال الأدب والذوق الإجتماعي والتحشم في المظهر فأمر بآداب الإستئذان في الدخول على الجميع أباء أو أبناء وأوجب على المرأة الستر والحياء ونهى عن الظن السيء ومنع الحديث عن أخبار الزنا وما يخدش الحياء فانشأ حضارة أخلاقية لا توجد في أي تشريع أو نظام من قبل أو من بعد.

وإذا كان القرآن جاء بالفضيلة على مستوى الأفراد فإنه كذلك شرع للفضيلة الجماعية والعامة يقول دراز « إن هذا الجمع الموفق بين الفضيلة العامة والجماعية هو الذي أبرمه القرآن الكريم إذ يعلمنا في الواقع أن خارج الأخوة في الله توجد الأخوة في

---

[122]. عبد الله دراز: المرجع السابق، ص106

آدم وإن اختلاف المشاعر الدينية لا يجوز أن يحول بيننا وبين أن نبادل إخواننا في الإنسانية المحبة والإحسان وإن قسوة الكفار علينا لا ينبغي أن تدفعنا إلى العدوان ولا لأن نكون غير مقسطين ولا عادلين في معاملتهم »[121]. وهذا المعنى تؤكده آيات القرآن وتوضحه يقول تعالى ﴿ إنما المؤمنون إخوة ﴾[124] وفي آية أخرى يقول ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[125] ويقول في آية أخرى مخاطبا المؤمنين ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾[126]. فأي قانون أو تشريع يحمل هذه القيم الأخلاقية والتشريعات السمحة السامية ؟ قطعا لا يوجد غير القرآن الكريم، وهو ما يدل على الإعجاز في هذا الجانب من التشريع، وإلى جانب هذا جاء تشريع حقوق الإنسان ليشمل حيزا هاما في نظام الإسلام، وبيان ذلك فيما يلي.

5. تشريع حقوق الإنسان في القرآن الكريم :

إن الغربيين يتباهون كثيرا بأن حضارتهم كانت أول من سبق وأعلن حقوق الإنسان رسميا في مختلف دولها وبأنهم وضعوا الإعلان العالمي لحقوق الإنسان في القرن العشرين واعتبروه النموذج الأساسي لهذه الحقوق ولكن في الواقع هذا غير صحيح لأنهم لا يضعون في الحسبان التشريع الإسلامي الذي سبقهم إلى تقرير حقوق الإنسان كاملة منذ أربعة عشر قرنا، وما جاء به الإسلام في هذا الشأن أعم وأشمل وأسمى مما جاء به الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لأن الميثاق إذا ما دققنا فيه النظر نجده نتيجة سطو على ما قرره الإسلام من قبل، وقد بيّن محمد الغزالي في كتابه حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة وذلك بقوله : « ترجع أهم حقوق الإنسان إلى حقين رئيسيين المساواة والحرية وقد ادعت الأمم الديمقراطية الحديثة أن العالم الإنساني مدين لها بتقرير هذين الحقين فذهب الإنجليز إلى أنهم أعرف الشعوب في هذا المضمار وزعم الفرنسيون أن هذه الإتجاهات جميعا كانت وليدة ثورتهم وأنكرت أمم أخرى على الإنجليز والفرنسيين هذا الفضل وادعته لنفسها، والحق أن الإسلام هو أول من قرر المبادىء الخاصة بحقوق الإنسان في أكمل صورة وأوسع نطاق وإن الأمم

---

121. عبد الله دراز: المرجع السابق، ص108
124. سورة الحجرات الآية 10
125. سورة الحجرات الآية 13
126. سورة الممتحنة الآية 8

الإسلامية في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام والخلفاء الراشدين من بعده كانت أسبق الأمم في السير عليها »[127].

فإذا كان الإسلام بهذا قد قرر منذ أمد بعيد حقوق الإنسان فإن أوروبا لم تتنبه إلى ذلك إلا أخيرا. يقول الدكتور عبد العزيز سرحان:« إنه في قرن متأخر منذ حوالي القرن السادس عشر انتبهت أوربا إلى القانون الدولي الذي أصبح بعد هو الإطار الذي ظهرت ونمت بداخله فكرة حقوق الإنسان إلى أن أصبحت اتفاقية تعرف باسم اتفاقية روما سنة 1950م، ثم انتهت إلى إصدار ما يعرف بإسم:" ميثاق حقوق الإنسان 1960 "، ويبين أسبقية الإسلام فيقول:« ومما لاشك فيه عند الباحثين المنصفين من علماء العالم أن الشريعة الإسلامية كان لها الفضل الأول طوال الفترة التي سادت فيها الحضارة العربية الإسلامية على المجتمع الإنساني في غرس البذور الأولى لمبادىء القانون الدولي، والمبادىء العالمية الملتزمة بجميع حقوق الإنسان »[128].

وما قررته القوانين والمواثيق الدولية في مجال هذه الحقوق لا يزال حديث العهد ولا يزال بين الأخذ والرد، ولم تتخذ إجراءات عملية لحماية هذه الحقوق. كما أن ما اتخذ من إجراء محدود الأفق ومرتبط ببعض الدول ولا يفرض على الأفراد وهذا خلاف ما جاء في شريعة الإسلام يقول الدكتور فتحي عثمان:« وما زالت الوثائق الدولية لحقوق الإنسان حديثة العهد، فالإعلان العالمي عمره ثلاثين عاما، وهو لم يتخذ أي إجراء لحماية ما قرره من حقوق الإنسان في حالة الإعتداء عليها. والعهد الدولي عمره زهاء عشر سنوات ومازات الحماية التي قررها قاصرة، فهي محدودة بالدول دون الأفراد ماعدا الدول التي تقبل البرتوكول الإختياري وهي مقصورة على إبلاغ وجهة نظر لجنة حقوق الإنسان في الشكوى إلى الطرفين »[129].

فتقرير حقوق الإنسان كما أعلنته الأمم المتحدة والمنظمات العالمية والإقليمية والمحلية لحقوق الإنسان قاصر من حيث الزمن وحديث العهد ومتأخر جدا وقاصر من حيث المكان لأنه غير ملزم للدول لا تعترف به وكثير من الحكومات لا تسمح بالحديث

---

127. محمد الغزالي: حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة، ص7
128. يحي أحمد العكي: معالم النظام الإجتماعي في الإسلام،ص150
129. يحي أحمد العكي: المرجع ذاته، ص150

عنه وتعتبر الحديث عنه تدخلا في شؤونها واعتداء على سيادتها، فما الذي يتميز به الإسلام عن غيره في مجال حقوق الإنسان ؟

أ. مميزات حقوق الإنسان في شريعة الإسلام:

إن حقوق الإنسان في القرآن وشريعة الإسلام يميزها عن غيرها من الحقوق، أن هذه الحقوق تأخذ طابع الضرورة المؤسس على العقيدة والمرتبط بها فكأنها جزء من نظام العقيدة في الإسلام، يقول الدكتور عبد العزيز سرحان:« إن لحقوق الإنسان في القرآن الكريم وشريعة الإسلام طابع الضرورة المؤسس على العقيدة، أي طابع الإلتزام الناشيء بمحض الإيمان وهو طابع يرتكز على ضمان معنى الإنسانية للإنسان »[110]. ويبين الدكتور محمد فتي عثمان أهمية ارتكاز حقوق الإنسان على العقيدة وبأنها الضمان الحقيقي لها بقوله :

« فارتكاز حقوق الإنسان على العقيدة وعلى الإيمان هو خير ضمان لها وهو ما يجعلها دائمة ومستمرة وملزمة وليست مجرد نظريات تعرض ثم تنسى، فالإيمان بالله خير ضمان لحقوق الإنسان من ناحية تقريرها، ومن ناحية إنفاذها وتدعيمها والنضال لأجلها، حتى لا يتكرر تسلط أمثال فرعون وقارون وسائر طغاة السلطة والثروة »[111]. وتقرير الحقوق من قبل الحكمة الإلهية والعدالة الربانية ليس معناه تخدير المشاعر وتبرير الإسلام والخضوع والتواكل، بل إنه يرفع مرتبة حقوق الإنسان إذ يجعلها مستمدة من العقيدة، ويجعل الإيمان حارسا عليها دافعا إلى الحفاظ عليها والنضال لأجلها.

وإذا كانت حقوق الإنسان في الإسلام تقوم على العقيدة والإيمان وتأخذ طابع الضرورة، فإنها تتميز بطابع الشمول أيضا لأنها تشمل حق حماية النفس والمال والحرية والعرض والمعتقد، وتعتبر في الشريعة كليات وضروريات يجب حفظها لكل إنسان يعيش تحت سلطة تحكم بشريعة الله بغض النظر عن صفة هذا الشخص وعن لونه وانتمائه ومعتقده. كما أن الشريعة تعتبر هذه الكليات الخمس تدخل تحت الضروريات التي يجب توفيرها قبل أي شيء آخر، إذ لا يجوز إهمالها والإنتقال إلى غيرها، يقول الدكتور سرحان:« هذا بعض ما أنزل الله تعالى في شريعته من حقوق الإنسان التي امتدت إلى

---

[110]. محمد فتحي عثمان: من أصول الفكر السياسي في الإسلام، ص123

[111]. محمد فتحي عثمان: المرجع ذاته، ص123

كل أبعاد النشاط الإنساني في المجتمع فكفلت فيه ما تصلح به حياة الفرد وحياة المجتمع وحياة النوع الإنساني متغلغلة في أدق ما تبحث فيه النظريات الحديثة للحرية والملكية»[112].

فحقوق الإنسان كما قررها القرآن الكريم إنما هي أمور أساسية وشاملة لا تقوم الحياة إلا بها، ولا يسمح للمساس بأي منها، بل الإسلام عد من مات دفاعا عن أحد حقوقه الأساسية كالمال والعرض والمعتقد شهيدا، وما يضفي على هذه الحقوق القداسة والإحترام هو مصدرها.

ب. مصدر حقوق الإنسان:

ما هو مصدر حقوق الإنسان في الإسلام ومن أين نستمدها ؟ حقوق الإنسان في النظام الإسلامي وفي شريعته تتميز عن غيرها في كون مصدرها هو الله تعالى، فهو الذي يقرر هذه الحقوق ويحدد الواجباب وهذا يضمن لها أهم خاصية ينبغي أن تتوفر في حقوق الإنسان وهي العدالة والحيادية والفعالية، ويعطيها بعدا عقيديا، ويجعل الفرد يطالب بحقه في إصرار وثبات ويجاهد لأجله لأنه من أمر الله تعالى الذي لا ينبغي التفريط فيه وإلا كان من الظالمين أنفسهم الذين قبلوا الإستذلال والهوان قال الله تعالى:﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ﴾[111].

فتقرير الحقوق والواجبات في الإسلام مصدرها هو الله تعالى الذي هو الحق المبين وتشريعه هو العدل المطلق الذي لا يحابي ولا يتعامل على أسس متحيزة عرقية أو مذهبية، قال الله تعالى:﴿ ولقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ﴾[110].

« فجعل ميزان الحق والواجب منصوبا من قبل العدالة الإلهية يعطي تقرير الحق والواجب عمقا عقيديا. وميزان الله تعالى لا يحيد ولا يحيف ولا يزيغ فلا يظلم عرقا ولا فيئة ولا طبقة ولا حزبا، إن رب الناس ملك الناس إله الناس هو الذي يقرر هذه الحقوق

---

112. يحى أحمد العكي: المرجع السابق، ص
111. سورة النساء الآية 75
110. سورة الحديد الآية 25

بحكمته وعدالته للناس أجمعين، فاختلاف الألسنة والألوان من آيات الله في البشر لا مبرر استعلاء وعصبية »[115].

فالقرآن عندما أشار إلى أصل الإنسان واختلاف خلقه إنما ليذكر الإنسان بأصله لكي لا يتعالى ويتكبر وليبين له أن الإختلاف أية من الأيات الدالة على القدرة والحكمة الإلهية وليست مبررا للظلم والطغيان، قال الله تعالى:﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين ﴾[116]، وقال تعالى:﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾[117].

بهذه النصوص القرآنية الصريحة يتقرر أن الإنسان أصله واحد، وأن اختلافه ما هو إلا ضرورة وحكمة للتعارف والتعاون، وبذلك يضع الإسلام حلا نهائيا لمشكلة من أخطر المشكلات التي تهدد حقوق الإنسان وهي الطبقية والعرقية والمذهبية الحزبية أو السياسية، وليس هذا فحسب بل إن إرتباط الحق بالشارع الحكيم جعل الحقوق تكون متوازنة بين حق الفرد وحق الجماعة، فارتباط الحقوق في الإسلام بالله ﷻ سن لها التوازن ومنع تضارب مصالح الفرد والجماعة لأن الله تعالى لا يحابي أحدا ولا يتحامل على أحد ومن صفاته تعالى العدل، وكتابه الكريم يعلم المؤمنين العدل في كل أحكامهم وتعاملاتهم حتى ولو كان حكمهم على أقرب المقربين إليهم في خصوماتهم مع غيرهم، قال الله تعالى: ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا ﴾[118].

فشريعة الإسلام تعطي للفرد حقه، وتعطي للجماعة حقها، وللأمة كيانها ودورها وتحمل كل واحد مسؤولية فردية شخصية مهما كان موقعه ومركزه وعمله، يقول تعالى:﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا، اقرأ

---

115. محمد فتحي عثمان: المرجع السابق، ص152
116. سورة الروم الآية 22
117. سورة الحجرات الآية 12
118. سورة النساء الآية 135

كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[139].

وتحمل الجماعة المسلمة مسؤولية جماعية، فيجعل الإسلام المسلمين كالجسد الواحد ويجعل فضيلة وواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مسؤولية فردية لدى العام والخاص، ويعرفها كل من يعيش في ظل الإسلام وتحت سلطته، قال الله تعالى:﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[140].

ومما يكفل رعاية هذه الحقوق والمصالح الفردية والجماعية أن الإسلام إعتبر كل حق لفرد أو جماعة هو حقا لله تعالى فمن يرعى هذه الحقوق فإنما يرعى حق الله تعالى فالدولة حين ترعى حقوق الأفراد إنما ترعى حقوق الله تعالى، والفرد حين يرعى حق الجماعة والدولة التي يعيش معها وفيها إنما يرعى حق الله تعالى، وهكذا تتوازن الأمور توازنا منقطع النظير وتضمن الحقوق ضمانا تاما دائما، وإن إجراء مقارنة بسيطة بين هذا التشريع وما توصلت إليه البشرية رغم توالي القرون يجد أن التشريع الإسلامي معجز إعجازا دائما، وبهذا يكون القرآن الكريم أعظم المعجزات وأهمها وأقواها دلالة على النبوة كما يقول إبن خلدون في المقدمة « أعظم المعجزات وأشرفها وأوضحها دلالة القرآن الكريم المنزل على نبينا محمد ﷺ، فإن الخوارق في الغالب تقع مغايرة للوحي الذي يتلقاه النبي وتأتي المعجزة شاهدة بصدقه والقرآن هو بنفسه الوحي المدعى وهو الخارق المعجز، فشاهده في عينه لا يفتقر إلى دليل مغاير كسائر المعجزات مع الوحي، فهو أوضح دلالة لاتحاد الدليل والمدلول فيه »[141].

6. شهادة بعض أعلام الحضارة الغربية :

قد شهد بعض فلاسفة القانون وأعلام الحضارة من الغرب –بعد بحث طويل في أصول التشريع الإسلامي وخصائصه–بما يتميز به من التفوق وسمو المنزلة على سائر التشريعات والقوانين الأخرى، ولا بأس أن نذكر هنا شهادات بعض هؤلاء العلماء المنصفين من المستشرقين وغيرهم والتي تدل على الإقرار

---

[139]. سورة الإسراء الآية (13-14-15)
[140]. سورة آل عمران الآية 110
[141]. إبن خلدون: تاريخ إبن خلدون، ج1، ص165

والإعتراف بإعجاز القرآن في أسلوبه ولغته وتشريعه، هذا الإعتراف طبيعي في نظرنا لأن دارس القرآن بعقل مفتوح وبموضوعية وحيادية سيعرف الحقيقة.

« قال المستشرق سيل: إن أسلوب القرآن جميل وفياض ومن العجب أنه يأسر بأسلوبه أذهان المسيحيين فيجذبهم إلى تلاوته سواء في ذلك الذين آمنوا به أم الذين لم يؤمنوا به وعارضوه.

وقال هرتسفلد: ليس للقرآن مثيل في قوة إقناعه وبلاغته وتركيبه، وإليه يرجع الفضل في إزدهار العلوم بكافة نواحيها في العالم الإسلامي.

وقال الدكتور موريس بوكاي: إن القرآن أفضل كتاب أخرجته العناية الأزلية لبني البشر، وإنه كتاب لا ريب فيه.

وقال ليون: حسب القرآن جلالة ومجدا أن الأربعة عشرة قرنا التي مرت عليه لم تستطع أن تخفف ولو بعض الشيء من أسلوبه الذي لا يزال غضا كأن عهده بالوجود أمس.

وقال فارس الخوري: إن محمدا أعظم عظماء العالم ولم يجد الدهر بمثله والدين الذي جاء به أرقى الأديان وأتمها وأكملها وقد أودع شريعته المطهرة أربعة آلاف مسألة علمية وإجتماعية وتشريعية، ولم يستطع علماء القانون المنصفون إلا الإعتراف بفضله وبأن مبادئه متفقة مع العقل مطابقة لأرقى النظم والحقائق.

وقال سيرل عميد كلية الحقوق بجامعة فيينا في مؤتمر الحقوق سنة 1927م: إن البشرية لتفخر بانتساب رجل كمحمد إليها فإنه رغم أميته استطاع قبل بضعة عشر قرنا أن يأتي بتشريع سنكون نحن الأروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمته بعد ألفي سنة»[1.12].

ولا غرابة في هذا الكلام الذي سقناه، فالقرآن كتاب مفتوح لعقل الإنسان مهما كان جنسه ولونه وبلده، فمن قرأه بذهن مفتوح خال من الخلفيات والمذهبيات وصل إلى هذه الحقائق وإلى غيرها.

[1.12]. عبد المجيد الزنداني: كتاب التوحيد، جـ1، ص62

ونختم هذا المبحث بكلمة موجزة للشيخ رشيد رضا يجمع فيها جوانب الإعجاز التي سقناها في المباحث السابقة، يقول فيها:« ولاشك أن هذا الوجه من أظهر وجوه الإعجاز، فإن علوم العقائد الإلهية والغيبية والآداب والتشريع الديني والمدني والسياسي هي أعلى العلوم وقلما ينبغ فيها من الذين ينقطعون لدراستها السنين الطوال إلا الأفراد القليلون، فكيف يستطيع رجل أمي لم يقرأ ولم يكتب ولا نشأ في بلد علم وتشريع أن يأتي بمثل ما في القرآن منها تحقيقا وكمالا، ويؤكده بالحجج والبراهين، بعد أن قضى ثلثي عمره لا يعرف شيئا منها، ولم ينطق بقاعدة ولا أصل من أصولها، ولا حكم بفرع من فروعها إلا أن يكون ذلك وحيا من الله تعالى»[111].

فالنتيجة التي ننتهي إليها من خلال ما عرضناه من الكلام ومن أراء العلماء أن القرآن الكريم كتاب معجز، وإعجازه لا يقتصر على ناحية واحدة ولا يخص زمنا وموطنا بعينه، إنما يمتد إلى خارج هذه الأطر ويبقى على الدوام، وكلما تقدم الفكر والعلم عند الإنسان كلما تجلى الإعجاز في كتاب الله تعالى، وينبغي أن يهتم الدارسون المسلمون في مختلف مجالات العلوم بإبراز جوانب الإعجاز في القرآن الكريم كل حسب اختصاصه للدفاع عن العقيدة الإسلامية وإثبات النبوة وبيان الحاجة إليها.

---

[111]. رشيد رضا: تفسير المنار، جـ1، ص207

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفي الختام أشير إلى أهم نتائج البحث في النقاط التالية :

1. العقل ليس هو المصدر الوحيد للمعرفة الإنسانية ولا يمكن أن تكون نظرية المعرفة كاملة إلا إذا اعتمدت على مصدر أخر غير العقل، لأن المعارف العقلية محدودة ونسبية لوجود عوامل كثيرة تؤثر فيه وتحد من قدرته.

2. الوحي الإلهي هو أحد أهم وأقوى مصادر المعرفة والعلم ويحصل للنبي إما بواسطة الملك أو الوحي الإلهي المباشر كما يقول المتكلمون وإما بواسطة فيض العقل الفعال على المتخيلة القوية التي تتصل به كما يقول الفلاسفة.

3. نسبية المعارف العقلية وعدم كفايتها في تلبية الحاجة المعرفية الإنسانية في أهم وأعقد المجالات المعرفية وإحتياج الإنسانية إلى الوحي والنبوة.

4. النبوة منحة إلهية إلى البشرية ورحمة مهداة إليهم لإرشادهم إلى ما يحقق سعادتهم ولا يمكن أن يكتسبها عبقري أو مصلح أو حكيم أو فيلسوف والإبتعاد عن الوحي والنبوة إبتعاد عن المصدر الصحيح للمعرفة.

5. الأنبياء والرسل هم أكمل البشر صفاتا وأحسنهم أخلاقا وهم القدوة ولا يمكن لأي عبقري أو زعيم أو حكيم أو فيلسوف أن يبلغ درجتهم، وبدون الإقتداء بهم تتجه البشرية نحو التيه والضلال ولو بلغت ما بلغت من العلم والتمدن، وقد اتفق المتكلمون والفلاسفة على كمال صفات الأنبياء والرسل وعلو مكانتهم بين سائر الناس.

6. أدلة النبوة هي المعجزات بنوعيها الحسي والعقلي فهي دليل صدق الأنبياء سواء عند الفلاسفة أو عند المتكلمين.

7. أكبر وأعظم المعجزات وأقواها دلالة على النبوة القرآن الكريم.

8. الإعجاز في القرآن الكريم لا ينحصر في جانب دون أخر ولا في زمن دون زمن فهو معجز بكل جوانبه اللغوية والعلمية والتشريعية.

9. نظرية المعرفة في الإسلام هي الأقوى لأنها تعتمد على مصدر أخر إلى جانب المعارف العقلية هو الوحي فهي بذلك تكون نظرية متكاملة وتبقى المثل الأعلى للعقول البشرية.

10. موضوع النبوة من الموضوعات الحيوية الهامة في العقيدة الإسلامية التي تحتاج إلى بحث وصياغة وفق منهجية تخدم العقيدة اليوم كما خدمتها في العهد الأول.

وفي الأخير أشير إلى أن الفلاسفة الإسلاميين والمتكلمين بحثوا مسائل العقيدة ومنها النبوة كل بحسب التحديات التي كانت تواجه الفكر الإسلامي في زمنه ووفقه منهج عصره ولا يمكن لنا أن نعيد ما قالوه وما فعلوه بنفس الكيفية ووفق ذات المنهجية تغنيا بالمجد القديم وارتباطا بالماضي وإنما على الباحث المسلم اليوم أن يعيد النظر في طريق عرض العقائد الإسلامية وقضايا التشريع والنظم بما يتوافق وثقافة العصر ويحقق مصلحة الإسلام ويظهر الوجه المشرق لحضارته التي تحمل من القيم والمبادىء والقواعد الكفيلة بإسعاد الإنسانية لو عرفت طريقها إلى عقولهم وواقعهم ونظم حياتهم ولا يمكن أن يتم ذلك إلا إذا عرضت نقية صافية واضحة مقنعة، وهذا هو ميدان الصراع الحضاري اليوم.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفهـــارس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الآيات القرآنية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
صم بكم	سورة البقرة	271	24
تلك الرسل	سورة البقرة	30	33
إلى الدين	سورة البقرة	257	90
فاتبعوني	سورة ال عمران	31	105
كنتم خير أمة	سورة ال عمران	110	171
وكلم الله موسى	سورة ال عمران	166	33
وما أرسلنا	سورة الناس	64	100
وما لكم	سورة النساء	75	169
يا أيها الذين امنوا	سورة النساء	135	170
يا أيها النبي	سورة المائدة	67	102
وما كان	سورة الانعام	112	32
يوحي	سورة الانعام	112	35
وما قدروا	سورة الانعام	94	83
فجعلهم جذاذا	سورة الأنعام	83	90
ولقد أتينا	سورة الأنعام	51	90
خذ العفو	سورة الأعراف	19	61
إذ يوحي	سورة الانفال	12	32
قل فأتوا بعشر سور	سورة هود	13	32
ما من دابة	سورة هود	56	156
وأوحي	سورة النحل	68	31
وأوحي	سورة النحل	67	36
إن الله	سورة النحل	90	61
وما منع الناس	سورة الأسراء	94	83

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
وقالوا	سورة الإسراء	93/90	149
قل لئن اجتمعت الإنس والجنّ	سورة الإسراء	84	149
وكل إنسان	سورة الإسراء	15/13	170
قل إنما	سورة الكهف	110	110
ولقد آتينا	سورة الأنبياء	51	85
ألم تر أن الله	سورة النور	42	155
وهو الذي مرج	سورة الفرقان	53	155
نزل به الروح	سورة الشعراء	193	37
وأوحينا	سورة القصص	04	31
فلما اتاها	سورة القصص	30	37
وما كنت	سورة العنكبوت	48	141-140
ومن ايته	سورة الروم	22	170
ان الذين	سورة الأحزاب	57	105
كن فيكون	سورة يس	83	68
وعجبوا	سورة ص	04	83
لئن أشركت	سورة الزمر	65	111
شرع لكم	سورة الشورى	13	159
إذ قال ربك	سورة الحجرات	26	14
إن جاءكم	سورة الحجرات	06	105
يا أيها الناس	سورة الحجرات	13	166
يا أيها الذين	سورة الحجرات	12	170
أم خلقوا	سورة الطور	25	143
ثم دنا فتدلى	سورة النجم	14	34
والنجم إذا هوى	سورة النجم	04-01	102

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
مرج البحرين	سورة الرحمن	20-19	165
ولقد أرسلنا	سورة الحديد	25	169
لا ينهاكم الله	سورة الممتحنة	08	166
يا أيها النبي	سورة التحريم	66	88
ولو تقول علينا	سورة التحريم	66	86
ألا يعلم	سورة الملك	14	62
ولو تقول	سورة الحاقة	44	110-102-88
أيحسب	سورة القيامة	43	155
إنا هديناه	سورة الإنسان	03	110
أما من استغنى	سورة عبس	05	88
ألم نجعل	سورة البلد	08-07	120

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأحاديث

« إنا روح القدس ..... الطلب » ص22

« إن أول ..... جـواد» ص32

« بينما أمشي ..... رملوني» ص34

« يا رسول ..... ما قال» ص34

« ولقد رأيته ..... عرقا» ص35

« وأحيانا ..... ما أقول» ص35

« ما الايمان ..... بينهم» ص35

« وما تركت ..... عنه» ص103

« رأيت ..... عند اخرهم» ص137

« أوتي رسول الله..... ثلاثمئة» ص137

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الأعلام

(أ)

آدم: 186.124.78.57.37.36

أرسطو: 76.76.67.51

ادوين هبل: 51

انشتاين: 50

أرستيب: 60

أفلاطون: 76

الأسكندر: 76

أفلاطون: 76

إبراهيم: 159.138.129.90.85

الأشعري: 186.124.78.57.37.36

أنس بن مالك: 137

الأصفهاني: 110

أرتوليوزد: 156

(ب)

البغدادي: 44

بحيرا: 140

(ت)

ابن تيمية: 76.71.75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ج)

جبريل: 37.36.35.34

جبور عبد النور: 77.76

الجرجاني: 148.96

الجباني: 103

الجويني: 103

جرتيه: 156

جورج ستانسيو: 21

(ح)

أبو حنيفة: 134.140

(خ)

خديجة: 89

ابن خلدون: 131.54

(د)

دحية: 35

دي بور: 76

(ر)

روبرت غروس: 21

الرازي: 103.55.50

الرافعي: 161

ابن رشد: 134.140

(ز)

الزرقاني: 117

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(س)

سفيان: 87
سليمان: 138.129
سيل: 171
ابن سينا: 172

(ش)

الشهرستاني: 140.147.105
الشافعي: 105

(ص)

صالح: 138

(ط)

طه الدسوقي: 151

(ع)

عبد الجبار: 46.17
عبد الله: 142.139.136.128.33
عائشة: 34
عبده: 55
عبد القادر: 65
عاطف العراقي: 67
عبد الله بن سلام: 86
عياض: 103
عيسى: 159.129
عبد العزيز: 167

(غ)

الغزالي أبو حامد: 25
الغزالي محمد: 166.75

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ف)

الفيروز أبادي: 30

الفارابي: 134.127.93.78.77.76.75.71.41.17

فالتزر: 75

فارس الحوزي: 172

(ك)

الكندي: 68.66

(م)

موسى: 31.33

محمد: 33.62.65.71.86.87.91.97.102.125.133.134.136.139.140.141.

146.147.148.149.156.15..158.171.172.

الماتريدي: 35.50.96

محمد سالم رشاد: 75

مالك: 105

موسى: 128.129.159

مالك بن نبي: 143

موريس بو كاي: 172

محمد باقر الصدر: 159

(ن)

نوح: 138.158

نيوتن: 50

(د)

ليون: 172

(هـ)

هرتسفيلد: 172

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

التعريف بالأعلام

01. **أليكونت دونوي:** عالم ومخترع وفيلسوف فرنسي ولد بباريس 1883 وتوفي عام 1947. من مؤلفاته مصير الإنسان.

02. **ابن تيمية:** أحمد عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن محمد بن تيمية العراقي الدمشقي، الملقب بتقي الدين مجتهد، مفسر أصولي، ولد سنة 661هـ/ 828. 1262م/ 1327. توفي بدمشق.

03. **ابن خلدون:** أبو يزيد عبد الرحمان بن أبي بكر محمد بن خلدون الحضرمي، ولد في تونس سنة 732هـ، درس وتعلم بتونس، من أشهر كتبه المقدمة وكتاب العبر، توفي في القاهرة سنة 808هـ.

04. **ابن رشد:** أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد، ولد في قرطبة سنة 520هـ، درس وتعلم العلوم المختلفة نبغ في الفقه والفلسفة تعرض لهجوم شرح من قبل الفقهاء فحاكموه وكفروه ونفوه لمدة من الزمن، ظل ابن رشد في مراكش إلى أن توفي سنة 595هـ، ونقلت رفاته إلى قرطبة.

05. **ابن سينا:** أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا، ولد سنة 370هـ في قرية أفشنة بالقرب من بخاري، طبيب وفيلسوف، له مؤلفات كثيرة جدا بلغت 276 أشهرها الإشارات والتنبيهات وأحوال النفس، توفي سنة 428هـ ودفن بهمذان.

06. **الامدي:** علي بن علي بن محمد بن سالم التغلبي، فقيه أصولي ومتكلم شافعي المذهب، ولد بامد من ديار بكر سنة 551هـ، وتوفي سنة 631هـ ودفن بسفح جبل قاسيون بدمشق، من مؤلفاته: الاحكام، منتهى السول، ابكار الأفكار والكلام.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

07. **الأصفهاني:** أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الراغب الإصفهاني. من أئمة البلاغة واللغة وعلوم الدين، له مولفات مشهورة منها: مفردات ألفاظ القرآن. الذريعة إلى مكارم الشريعة، تفصيل النشأتين وباب السعادتين. توفي سنة 502هـ.

08. **الإيجي:** عبد الرحمان بن أحمد عضد الدين. فقيه شافعي إمام في علم الكلام والأصول، له مولفات منها كتاب المواقف والعقائد العضدية. توفي سنة 756 هـ 1355 م

09. **الباقلاني:** محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم المعروف بالباقلاني المصري المالكي. الفقيه المتكلم الأصولي. نشأ بالبصرة وسكن بغداد. له مولفات كثيرة منها إعجاز القرآن وكتاب الفرق بين المعجزات والكرامات والسحر. توفي 403هـ.

10. **البغدادي:** عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي. أديب أصولي. فقيه متكلم شافعي. ولد ببغداد عام 429هـ/ 137م ثم رحل إلى خراسان واستقرّ في نيسابور. له مصنفات كثيرة منها: الفرق بين الفرق. الملل والنحل. توفي باستفرايين عام 429 ودفن بها.

11. **الجويني:** أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد. ولد عام 419هـ وتوفي عام 478هـ/1085/1028م. متكلم وأصولي. له مولفات كثيرة منها كتاب الإرشاد وكتاب البرهان والشامل في أصول الدين.

12. **الرازي:** أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين فخر الدين الرازي. ولد عام 544هـ وتوفي 606هـ/ 1209/1148م. مفسر ومتكلم وفقيه وفيلسوف. له كتب كثيرة أشهرها تفسير مفاتيح الغيب. وكتاب محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين.

13. **الشهرستاني:** محمد بن عبد الكريم بن أحمد وكنيته أبو الفتح المعروف بالشهرستاني. نسبه نسبة إلى بلدة شهرستان في خراسان فقيه ومتكلم شافعي المذهب. أشعري العقيدة ولد وتوفي (474-548هـ). (1087/1153م). من مولفاته: نهاية الإقدام في علم الكلام. الممل والنحل.

14. **الغزالي:** أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد: ولد سنة 450 في مدينة طوس، فيلسوف وفقيه ومتكلم ومتصوف كبير، توفي بمدينة طوس سنة 505هـ. ألف كتبا كثيرة منها كتاب إحياء علوم الدين وتهافت الفلاسفة والمنقذ من الضلال.

15. **الفارابي:** أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، ولد سنة 257هـ في بلده فاراب من تركستان، توفي في دمشق سنة 339هـ، فيلسوف كبير، درس الفلسفة اليونانية والمنطق والسياسة، وله كتب كثيرة من أشهرها آراء أهل المدينة الفاضلة ورسالة في العقل وكتاب السياسة المدنية ويسمى بالمعلم الأول

16. **القرطبي:** أبو عبد الله محمد بن أحمد، توفي (671هـ)، فقيه من فقهاء المذهب المالكي عاش بالأندلس، له مؤلفات كثيرة من أهمها تفسيره الجامع لأحكام القرآن.

17. **الماتريدي:** أبو نصر محمد بن محمد بن محمود الماتريدي: (238/333هـ). (862/944م) مؤسس للمذهب الماتريدي في العقيدة عاش في آسيا ونشر مذهبه، له كتب كثيرة منها كتاب التوحيد.

18. **كارل غاوس:** (1772/ 1855) رياضي ألماني من كبار علماء الرياضيات، فلكي قضى الشطر الأكبر من حياته أستاذا بالجامعة في القرن التاسع عشر.

19. **هبل إيدوين:** فلكي أمريكي، عمل اعتبارا من عام 1919 في مرصد جبل ويلسن بالولايات المتحدة الأمريكية إكتشف ثلاث مجرات عملاقة، ولد سنة 1889 ومات سنة 1953.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع

(أ)

1. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: الإعتقادات. تحقيق شمس العجلان/ موسسة الأشرف/ بيروت - لبنان ط1/1988.

2. الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد: المفردات في القرآن. تحقيق محمد رشيد كيلاني/ دار المعرفة/ لبنان.

3. الأمدي سيف الدين أبو الحسين ابن علي ابن محمد : الاحكام في أصول الأحكام/ دار الكتب العلمية - لبنان 1983.

4. ابن رشد أبو الوليد محمد ابن أحمد: الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة/ دار الافاق الجديدة - بيروت ط1/1982.

5. ابن سينا أبو على الحسين بن عبد الله: كتاب الشفاء/ المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع - لبنان 1988.

6. ابن سينا أبو على الحسين بن عبد الله: الإشارات والتنبيهات. تحقيق سليمان دنيا/ طبعة دار المعارف - القاهرة - مصر.

7. ابن سينا أبو على الحسين بن عبد الله: تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات/ دار العرب للبستاني - القاهرة.

8. ابن سينا أبو على الحسين بن عبد الله: كتاب أحوال النفس/ دار الأحياء - القاهرة 1958.

9. ابن سينا أبو على الحسين بن عبد الله: كتاب النجاة/ مطبعة السعادة - مصر ط2/1937.

10. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: كتاب النبوات/ دار الكتب العلمية - لبنان 1985.

11. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: كتاب النبوات. تحقيق ابراهيم رمضان/ دار الفكر لبنان - بيروت ط1/1992.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

12. ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم: نقض المنطق، تحقيق محمد عبد الرحمن حمزة وسليمان بن عبد الرحمن/ مكتبة السنة المحمدية ـ القاهرة.

13. ابن حزم أبو محمد على بن أحمد: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد ابراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة/ دار الجيل ـ بيروت/ لبنان 1985.

14. ابن الوزير أبو عبد الله محمد المرتضي اليماني: ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان، دار الكتب العلمية/ بيروت- لبنان/ ط1 1984.

15. ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد: كتاب العقل وفضله، تحقيق لطفي محمد الصغير/ دار الراية ـ الرياض ط1/1989.

16. ابن نبي مالك: الظاهرة القرآنية، ترجمة عبد الصبور شاهين: دار الفكر/ دمشق 1986.

17. ابن عاشور محمد الطاهر: التحرير والتنوير/ الشركة التونسية للتوزيع 1982.

18. ابن عاشور محمد الطاهر: تحقيقات وأنظار في الكتاب والسنة/ الشركة التونسية للتوزيع 1986.

19. ابن منظور جمال الدين أبو الفضل ابن محمد ابن مكرم : لسان العرب المحيط، إعداد وتصنيف يوسف خياط/ دار لسان العرب/ بيروت.

20. ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون/ دار الكتاب اللبناني / بيروت ـ لبنان 1989.

21. ابن أبي الدنيا أبو بكر عبد الله بن محمد: كتاب العقل وفضله، تحقيق لطفي محمد الصغير/ دار الراية ـ الرياض ط1/1989.

22. ابراهيم محمد إسماعيل: القرآن وإعجازه التشريعي/ دار الفكر العربي ـ لبنان.

23. أنيس ابراهيم: موسيقى الشعر/ مكتبة الأنغلو مصرية ط3/1956.

24. آل ياسين جعفر : فيلوسوفان، راندان، الكندي، الفارابي، دار الأندلس/ بيروت ـ لبنان ط2/1983.

(ب)

25. الباقلاني أبو بكر محمد بن الطيب: كتاب البيان في الفرق بين المعجزات والكرامات/ المكتبة الشرقية ـ ساحة النجمة ـ بيروت 1958.

26. الباجوري إبراهيم: شرح جوهرة التوحيد 1972.

27. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري/ دار الهدى ـ وموخم للنشر ـ الجزائر 1992.

28. البهي محمد: الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي/ دار الفكر لبنان ط1972/5.

29. البوطي محمد سعيد رمضان: كبرى اليقينيات الكونية/ دار الفكر ـ دمشق ط1985/8.

30. البغدادي عبد القهار بن طاهر محمد: أصول الدين/ دار الكتب العلمية/ بيروت ـ بيروت ط1981/2.

31. البغدادي عبد القهار بن طاهر محمد: الفرق بين الفرق/ دار المعرفة/ بيروت ـ لبنان.

32. البعلبكي منير: المنجد في اللغة والأعلام/ دار المشرق بيروت/ط31. 1991

(ج)

32. الجرجاني عبد القاهر أبو بكر عبد الرحمان: دلائل الإعجاز/ موخم للنشر ـ الجزائر 1991.

33 الجويني أو المعالي عبد الملك: كتاب الإرشاد تحقيق أسعد تميم/ موسسة الكتاب الثقافية ط1985/1.

(ح)

34. الحسيني عبد المجيد هاشم: الوحي الإلهي. المكتبة العصرية صيدا/ بيروت.

(د)

35. الدمشقي محمد منير: معجم آيات القران الكريم/ دار الجيل/ بيروت ـ مكتبة التراث الإسلامي ـ القاهرة ط1984/3.

36. الدسوقي طه: نظرية النبوة في الإسلام/ دار الهدي للطباعة ـ القاهرة 1981.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

37. دسوقي أحمد فاروق: استخلاف الإنسان في الأرض/دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع ـ مصر.

38. دراز عبد الله محمد: مدخل إلى القرآن الكريم، ترجمة محمد عبد العظيم على/ دار القلم ـ الكويت.

39. دراز عبد الله محمد: دستور الأخلاق في القرآن الكريم، تحقيق عبد الصبور شاهين/ مؤسسة الرسالة ط2/1980.

40. دراز عبد الله محمد: النبأ العظيم/ دار القلم ـ الكويت ط4/1977.

(ر)

41. رضا محمد رشيد: تفسر المنار/ دار المعرفة/ بيروت ـ لبنان.

42. رضا محمد رشيد: الوحي المحمدي/ دار الكتب ـ الجزائر.

43. الرافعي مصطفي صادق: إعجاز القرآن البلاغة النبوية/ دار الكتاب العربي/ بيروت ـ لبنان.

44. روبرت غروس وجورج ستانسير: العلم في منظوره الجديد، تعريب كمال حلايلي/ المجلس الوطني للثقافة والفنون ـ الكويت 1989.

45. الرازي أبو عبد عبد الله عمر بن حسين: كتاب المحصل في أفكار المتقدمين والمتأخرين، تحقيق حسين أتاي/ مكتبة القاهرة ط1/1991.

46. الرازي أبو عبد عبد الله عمر بن حسين: عصمة الأنبياء/ دار المطبوعات الحديثة، جدة ط1/1986.

47. الرازي أبو عبد عبد الله عمر بن حسين: أصول الدين، مراجعة وتقديم طه عبد الرؤوف سعد/ مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة.

(ز)

48. الزاوي أحمد الطاهر: ترتيب القاموس المحيط/ الدار العربية للكتاب ط3/1980.

49. الزرقاني عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن/ دار الفكر ـ بيروت.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

50. الزمخشري جار الله المحمود: أساس البلاغة/ دار المعرفة ـ بيروت – لبنان بتحقيق عبد الرحمان محمود.

51. الزنداني عبد المجيد: منطقة المصب والحواجز بين البحار/ منشورات دحلب ـ الجزائر.

52. الزنداني عبد المجيد: كتاب التوحيد/ دار الخير ـ لبنان ط1/1990.

(س)

53. سالم محمد رشاد: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية/ دار العلم/ الكويت ـ لبنان 1980.

(ش)

54. شلبي هند: التفسير العلمي بين النظرية والتطبيق مطبعة تونس 1985 قرطاج.

55. شلبي محمد مصطفى: أصول الفقه الإسلامي/ الدار الجامعية/ بيروت ـ لبنان ط1/1982.

56. شعبان محمد إسماعيل: أصول الفقه تاريخه ورجاله/دار المريخ/الرياض. ط1/ 1981

(ص)

57. صبحي الصالح: الإسلام ومستقبل الحضارة. دار الشورى. بيروت 1982 الطبعة الأولى.

58. الصدر محمد باقر: خلافة الإنسان وشهادة الأنبياء/ طهران ـ إيران.

59. الصدر محمد باقر: نظرة عامة في العبادات/ الدار الجامعية للمطبوعات/ لبنان.

60. الصدر محمد باقر: فلسفتنا/ دار التعارف للمطبوعات/ بيروت ط13/1982.

61. الصابوني محمد علي: النبوة والأنبياء/ دار الهدى/ الجزائر.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ط)

62. الطويل توفيق : أسس الفلسفة، دار النهضة العربية-القاهرة- الطبعة 5، 1967

(ع)

63. العكي أحمد يحيى: معالم النظام الإجتماعي في الإسلام/ دار النهضة العربية/ بيروت ـ لبنان 1981.

64. عباس محمود العقاد: التفكير فريضة إسلامية/ منشورات المكتبة العصرية/ صيدا ـ بيروت ـ لبنان.

65. عثمان محمد فتحي: من أصول الفكر السياسي الإسلامي/ موسسة الرسالة/ بيروت ـ لبنان ط 1984/2.

66. عثمان محمد فتحي: القيم الحضارية في رسالة الإسلام، الدار السعودية. ط1985.

67. عبده محمد: رسالة التوحيد/ دار إحياء العلوم/ بيروت ـ لبنان ط 1985/5.

68. عبد القادر الجزائر بن محي الدين الأمير: المقراض الحاد لقطع منتقص دين الإسلام من ذوي الإلحاد/ دار الطاسلي ـ الجزائر ط1989/1.

69. العجمي أبو اليزيد: الأخلاق بين العقل والنقل/ دار الثقافة العربية ـ القاهرة ط1988/1.

70. العجمي أبو اليزيد: فقه العقيدة عند الشافعي/ دار الهداية/ دار الصحف القاهرة ط1987/1.

71. العجوز محي الدين: مناهج الشرعة/ مكتبة المعارف/ بيروت ـ لبنان 1983.

72. عبد الخالق عبد الغني: حجية السنة/ المعهد العالمي للفكر الإسلامي/ بيروت ـ لبنان ط1986/1.

73. عبد الأمير شمس الدين - الفكر التربوي عند ابن طفيل - دار لبنان ط1984/1.

74. عبد الجبار القاضي المعتزلي : شرح الأصول الخمسة ط. موخم للنشر/ الجزائر 1990.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(غ)

75. الغزالي أبو حامد محمد: معارج القدس في معرفة مدارج النفس/ دار الآفاق الجديدة - بيروت ط6/1981.

76. الغزالي محمد : حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلامي وإعلان الأمم المتحدة/ المكتبة التجارية - القاهرة ط1/1963.

77. الغزالي محمد : مع الله دراسة في الدعوة والدعاة، المكتبة الإسلامية مطبعة حسان/ القاهرة ط05 /1981.

78. الغزالي محمد : فن الذكر والدعاء عند خاتم الأنبياء، قصر الكتاب البليدة 1989.

(ف)

79. الفارابي أو نصر محمد بن محمد: المدينة الفاضلة ط. موخم للنشر/ الجزائر1987.

80.الفارابي أو نصر محمد بن محمد: كتاب الملة، تحقيق محسن مهدي/ دار المشرق - لبنان.

81. الفارابي أو نصر محمد بن محمد: فصوص الحكم، تحقيق محسن مهدي/ دار المشرق - لبنان.

82. فخري ماجد: مختصر تاريخ الفلسفة العربية/ دار الشورى/ بيروت – لبنان ط1/1981.

83. فرانك فليب: فلسفة العلم، ترجمة الدكتور علي علي ناصيف - المؤسسة العربية للدراسات / بيروت لبنان ط1/1983.

(ق)

84. القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد: الجامع لأحكام القران/ لبنان.

85. قطب محمد: منهج علم التوحيد/ مكتبة رحاب الجزائر ط6/1990.

86. قطب سيد: التصوير الفني في القرآن/ دار الشروق/ لبنان.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(ك)

87. كاريل الكسيس: الإنسان ذلك المجهول، تعريب: شفيق أسعد نحريد/ مكتبة المعارف - بيروت 1986.

88. كمال أحمد مصطفى: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة/ مطبعة دحلب - الجزائر.

(ل)

89. الكونت دي نوي: مصير الإنسان، ترجمة د. خليل الجر.

(م)

90. المبارك محمد: دراسة أدبية لنصوص القرآن الكريم/ دار الفكر - بيروي - لبنان ط4/1973.

91. المغربي علي عبد الفتاح: النبوة والأنبياء في الفكر الإسلامي/ مكتبة الحرية الحديثة - مصر.

92. موسوي مجتبى اللاني: أصول الإعتقاد في الإسلام، تعريب محمد عبدالمنعم الخاقاني-طهران-

93. الماتريدي أبو منصور محمد بن محمود: كتاب التوحيد، تحقيق الدكتور فتحي خلف الله/ دار المشرق/ بيروت - لبنان ط2.

94. مرحبا عبد الرحمن: من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية/منشورات عويدات/بيروت و باريس، وديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، ط3/ 1983.

(ن)

95. الندوي أبو الحسن على الحسني: النبوة والأنبياء في ضوء القرآن والسنة/ دار القلم/ دمشق ط6/1984.

96. الندوي أبو الحسن على الحسني: بين الدين والمدينة/ موسسة الرسالة/ بيروت - لبنان.

97. النجار عبد المجيد: مباحث في منهجية الفكر الإسلامي: دار الغرب الإسلامي/ بيروت - لبنان ط1/1987.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

98. النجار عبد المجيد: خلافة الإنسان بين الوحي والعقل/ دار الغرب الإسلامي/ بيروت - لبنان ط1/1987.

99. نادر البير نصري: النفس البشرية عند ابن سينا/ دار المشرق/ لبنان ط2/1986.

100. نادر البير نصري: أراء أهل المدينة الفاضلة/ دار المشرق/ لبنان ط4/1986.

الدوريـــــات

1). مجلة الجامعة الإسلامية: العدد الأول من السنة الثانية عشرة (عدد خاص) العدد 45 محرم، صفر، ربيع الأول، سنة 1400هـ.

2). مجلة المورد، عدد خاص بالفارابي، وزارة الإعلام العراقية. المجلد الرابع العدد الثالث 1975.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الموضوعات

المقدمة 04
التمهيد : العقل والمعرفة 12
1. طبيعة الإنسان 14
أ. إزدواجية التكوين والطبيعة 14
ب. الإستعداد للمعرفة 14
2. مفهوم العقل 15
أ. العقل في اللغة 16
ب. العقل إصطلاحا 16
3. مصدر المعرفة الإنسانية 18
أ.النظرية الأفلاطونية 18
ب. المذهب العقلي 19
ج. المذهب التجريبي 19
4. حدود المعرفة العقلية 20
5. العوامل التي تؤثر على العقل 22
أ. العجلة والهوى 22
ب. إرتباط العقل بالحواس والزمان والمكان 23
6. نسبية المعرفة العقلية 24
7. العقل والوحي 25

الفصل الأول
الوحي والنبوة

المبحث الأول : الوحي وأنواعه 30
1. مفهوم الوحي 30
أ. الوحي في اللغة 30
ب. الوحي إصطلاحا 31
2. أنواع الوحي 32
أ. الوحي القلبي 32
ب. الوحي التكليمي 33

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج. الوحي بإرسال الملك وصوره 33
1. مجيء الملك على صورته الملائكية 33
2. مجيء الملك على حالة غير مرئية 34
3. مجيء الملك في صورة بشرية 35
3. الوحي عند المتكلمين 36
أ. طريقة الوحي إلى الرسول محمد بن عبد الله ﷺ 37
4. الوحي عند الفلاسفة 37
أ. الوحي عند الفارابي 38
ب. طريقة المعرفة عند الفارابي 38
ج. الوحي عند ابن سينا 40
د. كيف يحدث الاتصال بالوحي 40
المبحث الثاني : النبي والرسول 42
1. مفهوم النبي 42
أ. النبي في اللغة 42
ب. النبي اصطلاحا 42
2. مفهوم الرسول 43
أ. الرسول في اللغة 43
ب. الرسول اصطلاحا 43
3. الفرق بين النبي والرسول 44
أ. عند المتكلمين 44
ب. عند الفلاسفة 45

الفصل الثاني
الحاجة إلى النبوة

المبحث الأول : مجالات الحاجة إلى النبوة 48
1. في المجال المعرفي وعالم الغيب 48
2. في المجال الإجتماعي 52
3. المتكلمون والحاجة إلى النبوة 53
أ. الماتريدي 54
ب. الرازي 54
ج. محمد عبده 55
4. الفلاسفة والحاجة إلى النبوة 57
أ. الفارابي 57
ب. إبن سينا 58
5. الحاجة إلى النبوة في مجال الأخلاق والتشريع 59
أ. المذهب الوضعي والأخلاق 59

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب. الوحي كمصدر للمعرفة الأخلاقية 61
المبحث الثاني : النبوة بين المنحة و الإكتساب 64
1. مصدر النبوة 64
أ. المتكلمون ومصدر النبوة 64
ب. الفلاسفة ومصدر النبوة 66
1. النبوة عند الكندي 66
2. النبوة عند الفارابي 69
3. النبوة عند ابن سينا 71
2. حقيقة النبوة 74
3. مناقشة نظرية الفلاسفة في النبوة 75

الفصل الثالث

الصفات الضرورية للأنبياء

المبحث الأول : أهم صفات الأنبياء عند المتكلمين و الفلاسفة 82
1. بشرية الرسول 82
2. كمال العقل 84
3. الصدق 85
4. الأمانة 87
5. الفطانة و الذكاء 89
6. السلامة من العيوب 90
7. ضبط النفس 91
المبحث الثاني : صفات الأنبياء عند الفلاسفة 93
1. عند الفارابي 93
2. ابن سينا 94
المبحث الثالث : العصمة 95
1. مفهوم العصمة 95
أ. العصمة لغة 95
ب. العصمة إصطلاحا 95
2. العصمة عند الفلاسفة و المتكلمين 96
أ. عند المتكلمين 96
ب. عند الفلاسفة 97
3. تأثير المعاصي و الذنوب في مسار تربية الأنبياء للناس 98
4. الحاجة إلى العصمة 100
5. عصمة الأنبياء و الرسل عند الذنوب و المعاصي 101
أ. مما يخل بالتبليغ 102
ب. مما لا يتصل بالتبليغ 103

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج. أفعال الرسل قبل البعثة 104
د. أفعال الرسل بعد البعثة 106
6. العصمة و الإختيار 109

الفصل الرابع
دلائل النبوة

المبحث الأول : المعجزة 117
1. مفهوم المعجزة 117
أ. المعجزة في اللغة 117
ب. المعجزة في الاصطلاح 117
ج. المعجزة عند المتكلمين 118
د. المعجزة عند الفلاسفة 120
2. مفهوم الكرامة 124
أ. الكرامة لغة 124
ب. الكرامة إصطلاحا 125
ج. الفرق بين الكرامة و المعجزة عند المتكلمين. 125
د. الفرق بين الكرامة و المعجزة عند الفلاسفة. 126
المبحث الثاني : أنواع المعجزات 128
1. المعجزة الحسية 128
2. المعجزة العقلية 129
3. الفرق بين المعجزة العقلية و الحسية 130
المبحث الثالث : دلالة المعجزة على النبوة 132
1. دلالة المعجزة على النبوة عند المتكلمين 132
2. دلالة المعجزة على النبوة عند الفلاسفة 133
المبحث الرابع : أدلة نبي الإسلام 136
1. الخبر المتواتر 137
2. أمّية الرسول ودلالتها على النبوة عند الفلاسفة و المتكلمين 139
3. مضمون الرسالة 141
أ. العقيدة 142
ب. الأخلاق و التشريع 144
4. إعجاز القران 146
أ. المتكلمون ودلالة اعجاز القرآن على النبوة 147
ب. دلالة اعجاز القرآن على النبوة عند ابن رشد 149
المبحث الخامس : جوانب الإعجاز في القران 151
1. الإعجاز اللغوي 151
أ. الأسلوب 151

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ب. التنويع في طريقة العرض 152
ج. بلاغة القرآن 152
2. الإعجاز العلمي 154
أ. أمثلة الإعجاز العلمي في القران الكريم 155
ب. ركائز الإعجاز في القران 157
1. الأسبقية الزمنية في تصوير الحقائق 157
2. الأسبقية في معجزات الأنبياء 157
3. الإعجاز التشريعي 158
أ. الثبات في العقائد والعبادات 159
ب. الجمع بين الثبات والمرونة 161
ج. طريقة القران في عرض التشريع 162
4. إعجاز القران في تشريعه الأخلاقي 163
أ. الأساس الذي تقوم عليه النظم في القرآن 164
ب. تجديد القران للتعاليم الأخلاقية 165
5. تشريع حقوق الإنسان في القرآن الكريم 166
أ. مميزات حقوق الإنسان في الإسلام 168
ب. مصدر حقوق الإنسان 169
6. شهادة بعض أعلام الحضارة الغربية 171
الخاتمة 174
الفهارس 177
فهرس الآيات 178
فهرس الأحاديث 181
فهرس الأعلام 182
التعريف بالأعلام 186
قائمة المراجع 189
فهرس الموضوعات 198

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية